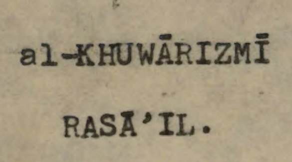
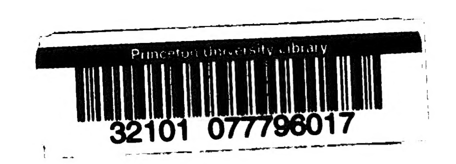
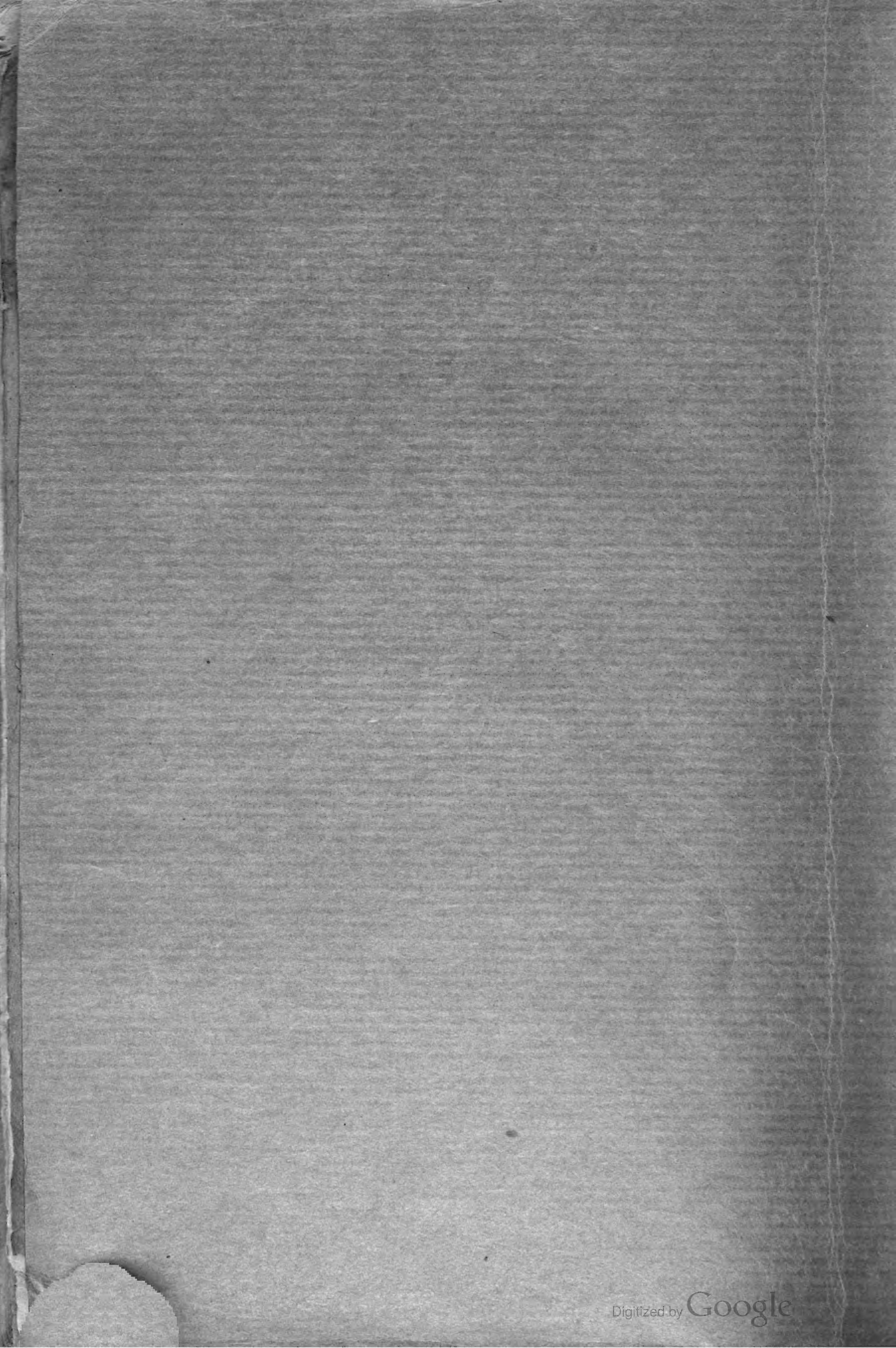
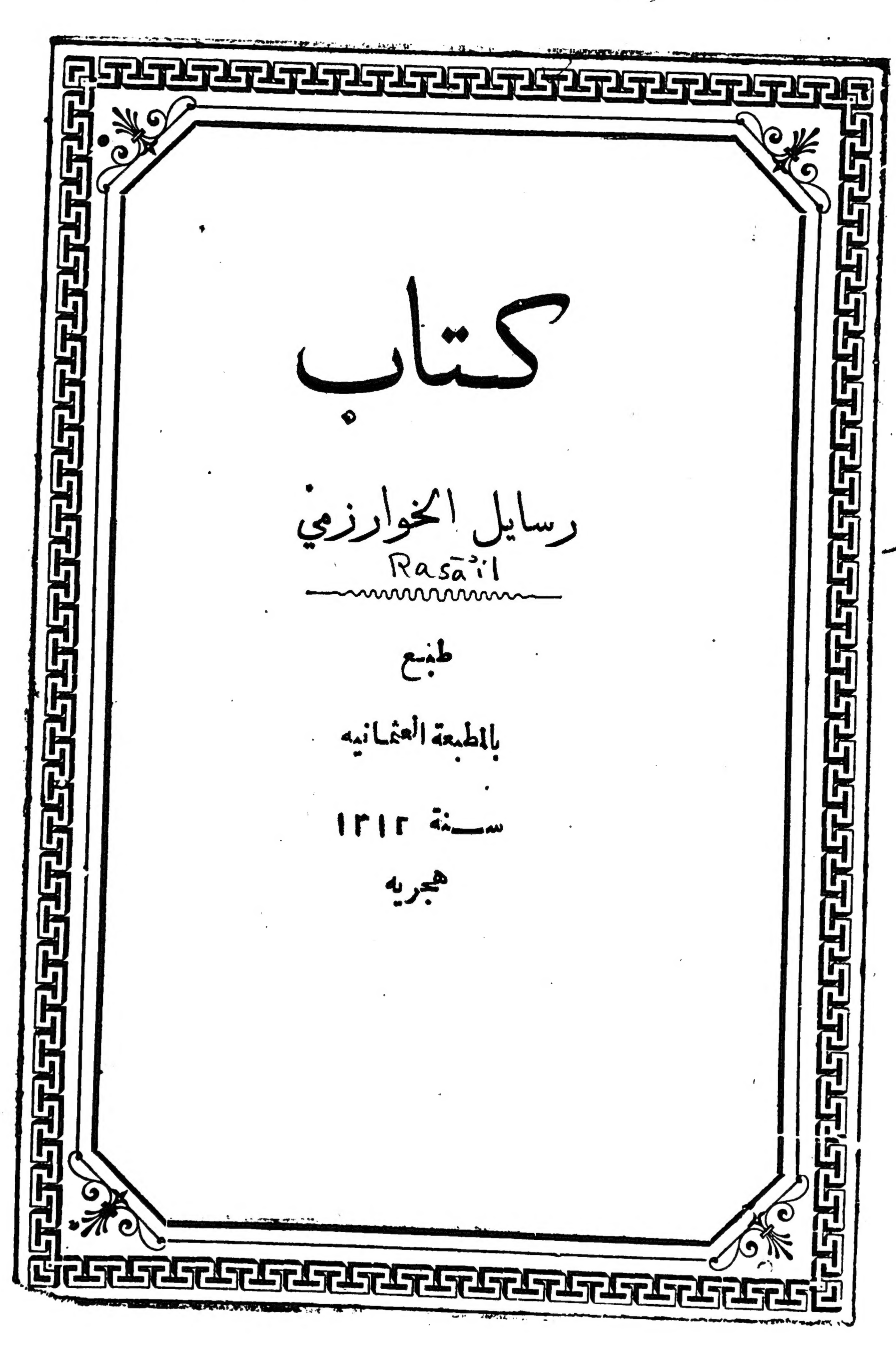

al-KHUWĀRIZMĪ

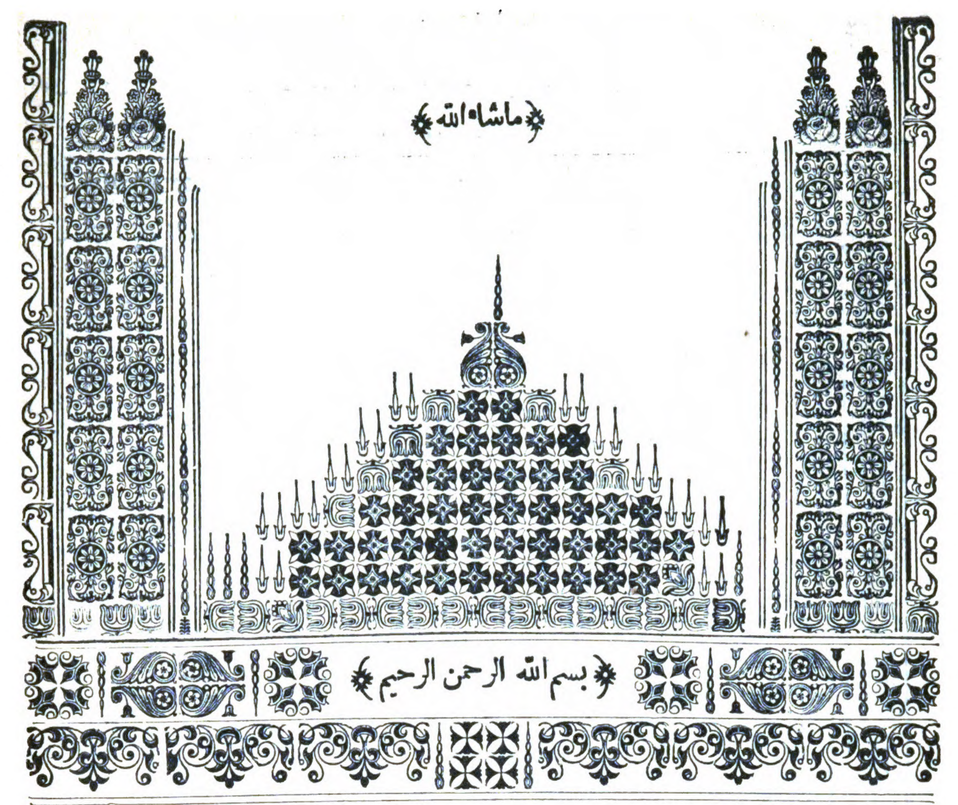
RASĀ'IL.


Princeton University Library
32101 077796017






كتاب
رسايل الخوارزمي
Rasā'il
طبع
بالمطبعة العثمانيه
سنة ١٣١٢
هجريه



الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين هذه رسائل الاستاذ أبي بكر الخوارزمي رحمه الله تعالى

كتب الى الحاجب أبي اسحق لما نكبه الوزير ابن عباد رحمه الله تعالى

وفقك الله فى مراجعة الحق لما تستحق به انتهاء محنتك وألهمك فى استيفاء شرائط التوبة ما يطرق لك النهوض من صرعتك ولا خلصك الله مما أنت فيه من جناية غيرك عليك حتى يخلصك مما كنت فيه من اساءة نفسك اليك فان نفسك أعظم خصميك وان كانت أصغرهما اليك وقد مثلت أيدك الله بين أن أحرش لك كلامى وأفوق نحوك سهامى وأقضى بذلك حق عظتك وأخرج من عهدة ما يلزمنى فى هدايتك وبين أن يلين مس قولى لك فتبقى فى نفسى حاجة من نصيحتك فرأيت الأول على أوجب والى الصواب أقرب هذا وأنا أقول

أخوك الذى ان أجرضتك ملمة * من الدهر لم يبرح لها الدهر واجما

ولا أقول

وليس أخوك بالذى ان تشعبت * عليك أمور ظل يلحاك لائما

أصاب المرقش أيدك الله فى بيت الواجم ولم يصب فى بيت اللائم وكيف يهدى الطريق لرشده فى غده دون أن يلام على غيه فى أمسه وكيف يتوصل الى تحسين الصواب الآنف الا بتقبيح الخطا السالف وكيف لا يلام المسيء والنهى عما بعد يقتضى اللوم على ما قبل وكما لا بد فى الكلام من الاثبات والنفى كذلك لا بد فى العظة والنصيحة من الامر والنهى فاللوم اذا على هذه القضية أجدر اذ كانت النصيحة التى عليها قامت وبها استقامت وهل يلوم المرء الا اخوانه الاقارب وهل يرخى له عنان العذل ويتجوز معه فى اللوم الا معارفه الاجانب واذا فرغت للحق زاوية من قلبك وحكمت

على هواك لعقلك علمت أن ما تكره فيما تحب خير لك مما تحب فيما تكره وأن دواء تبشعه وفيه شفاؤك خير من غذاء تستلذه وفيه داؤك ولئن كان ظاهر كلامي يلذعك فان باطنه لينفعك أنت أيدك الله تعالى انك كنت من الذل في مكان يتخطاك الناظر ويدوسك الخف والحافر لا يشرفك نسب ولا يرفعك أدب ولا يرجوك صديقك ولا يخافك عدوك عن يمينك الخمول وعن يسارك الذبول وبينهما الفقر الذي لو قسم على الاغنياء لصاروا فقراء والضعف الذي لو فرق على الاقوياء لعادوا ضعفاء تصبح في قل وتمسي في ذل وتروح الى أنثى وتغدو الى طفل فأنصفك الدهر الظالم وانتبه لك البخت النائم وأراد الله تعالى أن يرفع من حكمتك ويقوم من حدبتك فينظر كيف تعملون والله يعلم ما تبدون وما تكتمون فاتصلت من ولي نعمتك برجل لو اتصل به الادبار لتقدم الاقبال ولو خدمه النقص لفضل الكمال ولو تعرف اليه الجماد لنطق بجده ولو استجار به أمس الدابر لرجع بسعده فما هو الا أن نسبت اليه وحسبت في آثار يديه حتى قاتلت الايام بسلاحه وطرت الى المنى والمطالب بجناحه وحتى طمحت الى أمور كنت عنها مصروفا وخطوت الى أشياء كنت عنها مقطوفا

ومثل الذي نلته حافيا * يؤثر في قدم ناعل

وحتى زارك قوم لو زرتهم فيما قبل لطال وقوفك بين الدار والباب وكثر ترددك بين الاذن والحجاب وخدمك أناس ما منهم أحد الا وقد لاحظته بعين هائب ونقلت اليه قدم راغب أو راهب هذا الى استنقاذه لك من الردى بيد الهدى واخراجه اياك من ظلمة العمى والتقليد الى نور العدل والتوحيد فلزمك ولاؤه مرتين وأحاطت برقبتك نعمته من جهتين لانه أنقذك من النار كما أنقذك من العار وأعتق رقبتك من اسار الضلال كما أعتقها من ذل السؤال فكانت نعمته عليك مضاعفه وصنيعته اليك مداخله وكل ذلك بعين احسان الله تعالى يعد نفيس احسانه اليك لتؤدي زكاة الاحسان وترتهن الصنيعة باليد واللسان ويريك يقظان ما تحتلم وسنان ويزف اليك من أبكار الصنع ما لم تخطبه بهمتك ولم تستوجبه بقيمتك الى أن أصلح عليك الدهر الطالح وملكك عنان البخت الجامح وأنت سكران من خمر اليسار والغنى غريق في لجج المطالب والمنى لو طلبت النجم لرقيت اليه بسلمه أو طرت نحوه بجناح لك والاقبال يستر عيوبك والامهال يغفر ذنوبك ولا ستر أكثف من اقبال ولا شفيع أنجح من امهال والدولة تجعل البعيد قريبا والجديري المخطئ مصيبا والمجدود يعس بيديه ما لا يراه المحدود بعينيه ويتناول قاعدا ما لا يتناوله غيره قائما ولا رسول أسرع من دهر ولا مستحث أوحى من يسر بلا عسر فلما جازيت النعمة بالكفران ونسيت هل جزاء الاحسان الا الاحسان نظرت الايام اليك شزرا وبدلتك باليسر عسرا فأصبحت تلك البوارق وهي صواعق واستحالت تلك المواهب وهي مصائب وتقاضاك دهرك ما أسلف واستأنف بك خلاف ما سلف والدهر غريم لا يماطل اذا اقتضى وحاكم لا يراجع اذا قضى ومعير اذا لم تحفظ عاريته ارتجع ومعط اذا لم تشكر عطيته منع ومؤدب اذا لم يتعلم منه عاقب واذا تعلم منه أدب وهذب على أني ما رأيت معلما أحسن تعليما من زمان ولا متعلما أسوأ

تعلما من انسان فها أنت قد ذممت حامدك ورحمك حاسدك واحتقبت أوزار الندامه ورضيت من
الغنيمة بالسلامه وكانت الايام تعدنا بك فأوعد تنافيك وخاف ليل الشك نهار ووراء سكر النعمة
خمار فأنت الآن عليل دواؤه التوبه وجريح شفاؤه الرجعة والفيئه فان قبلت توبتك فقد
انقطعت مدة الداء وظهرت بركة الدواء وان تكن الاخرى فربما قد أخلف الدواء شاربه وخان
الرجاء صاحبه فيا طبيب نفسه ارفق بها ويا مداوى جراحه الطف بها واعلم أنه قد كان شكر
الرخاء أهون من مصابرة البلاء وكان حفظ الصحه أيسر من معالجة العله ولو وجدتك العافية
من أكفائها لما طلقتك ولو رأتك النعمة من رفقائها لما فارقتك وأقل ما كان يجب لصاحبك
عليك أن لا تستعين بنعمته على كفران نعمته ولا تكتب حسنته فى جريدة سيئته ولا تسل عليه
من لسانك سيفا يده صقلته ولا تشرع اليه من كلامك رمحا يده قومته

لقد جازيت بالاحسان سوأ * اذن وصبغت عرضك بالسواد
ورحت تسوق عير الكفر حتى * أنخت الشرك فى دار الجهاد

يا أيها الرجل وكلكم ذلك الرجل كم تم تكونون حجب العوارف بيد الكفران وكم تصافحون النعم بالبغى
والعدوان وكم تفضون ختام العافية بالغدر وكم تسترون الخيرات بقلة الشكر وكم لا تبرزون
الصنائع فى معرض من حسن الذكر ولا تقلدونها حليـة من طيب النشر وكم تتبعون الوفاء بالملق
وتنادون على الأمانة كما ينادى على الثوب الخلق وكم تقبحون فى النعم وتحسنون فى النقم وكم
تجهلون ما عرفه الحطيئة مع خبث مذهبه ولؤم مركبه حيث يقول

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه * لا يذهب العرف بين الله والناس

اعلم أن كفران النعمة لو أحله الشرع لحرمه الطبع ولو جاز من طريق الملة والديانه لحظر من
طريق المروءة والصيانه فان للمحسن من الله عينا كالئة لا تنام وان وراء من واقية الاحسان ركنا
منيعا الابرام ومن تقلد نعمة الله من انسان فقد ضمن له عهده وصار فى حكم الاحسان عبده واذا
خدم غيره وهو حى فقد خان الأول فى نعمته وغش الثانى بخدمته وهل يبرأ العليل بين طبيبين
وهل يسع الغمد سيفين وهل ينطق لسان واحد بشكرين أو يتسع قلب واحد لمحبة اثنين ولهذا
الشان طلقت الناس ثلاثا وفارقت المدح بتاتا لما وردت من الوزير على من خدمة غيره تعد كبيرة
ليس لها غفران وسيئة لا يمحوها احسان فلما رأيته علمت أن الأيام قد خبأته لى ذخرا وأعدته لى
عذرا وأراد الله تعالى أن أعاشر الناس حزونا وسهلا وأجوب البلاد حزنا وسهلا حتى اذا جبت
الآفاق وقلبت الاخلاق وصارت الأرض فى عينى دارا هجم بى السعد على حسنة الأيام وغريبة
الأنام ونصفة الدهر الظلوم ومكرمة العالم اللئيم فاذا هو ضالة رجائى الحائم وبغية قلبى الهائم
فختمت به جريدة المدح والثناء وأغلقت باسمه باب الاستماحة والرجاء وفتحت له مغاليق فكرى
ودفعت اليه مقاليد نظمى ونثرى وأقطعته لسانى غير منقطع ووهبت له قلبى غير مرتجع
ونظرت الى أبى الطيب والى تناقض حكمته وتفاوت طرفى فعلته حيث قال فى سيف الدولة

لا تطلبن كريما بعد رؤيته * ان الكرام بأسخاهم يدا ختموا

ثم قال فى كافور الاخشيدى

قواصد

قوله فربما الخ فى نسخة فقد ربما قد قيل اخلف الخ اه

٥

قواصد كافور توارك غيره * ومن قصد البحر استقل السواقيا

فلقد باع من الوفاء علقا خطيرا واعتاض من الطمع ثمنا يسيرا وحال ضباب الحرص والرجاء بينه وبين العهد والوفاء وكان يضايق نفسه فى اختيار المتاع ويسامحها فى اختيار المبتاع ويخلع خلعة من نظمه تساوى بدره على عرض من لا يساوى بعره ويزف كريمة من كرائم شعره الى من لم تقم عنده كريمه ولم تعرف له قيمه لو رأى الطمع فى جحر فأرة لدخله ولو أتاه الدرهم من است كلب لما غسله فلا جرم أن الناس كما استحسنوا قوله استقبحوا فعله وكما أعجبوا بشعره تعجبوا من غدره يشكر ثم يشكو ويمدح ثم يهجو ويشهد ثم يجرح شهادته ويعطى ثم يسترجع عطيته وكم من حر فضله ثم ثلبه وكم من عرض كساه ثم سلبه وكم من صحيفة أكل منها ثم بصق فيها ولكن فى قميص أبى بكر رجلا اذا أعطى لم يرتجع واذا اطلق لم يراجع واذا بنى لم يعد على بنائه بالهدم واذا مدح لم يطأ على عقب مديحه بالذم واذا طيب فكيه بالمدح لكريم لم يلطخهما بمدح للئيم واذا زوج كرائمه كفؤا حجبهن أن يتبرجن الا لديه ويجتليهن غير عينيه وانما الغدر من أخلاق النساء فمن تعلق بطرف منه فقد رغب بنفسه عن كمال الذكران وجذبها الى شق النسوان وهو اذن مخنث من حيث الخلق غير مخنث من حيث الخلق وقد يصلح الانسان خلقه ولا يمكنه أن يغير خلقه فالغدر اذن على هذه القضية هو التخنيث الأكبر والتأنيث الأعم الأكثر والوفاء حمية القلب كما أن التوقى من الطعام والشراب حمية الجسم وثبات الحمية من قوة الحميه وحفظ العهد من شرائط الرجوليه وانى لأعجب ممن يعادى المقبل والله معه والأيام مدد له وداعية الجد خلفه وقدامه وقد رأيت ما صارت اليه مصارع أعداء هذه الدوله وختمت به أحوال حساد هذه النعمه فقد غمز واقناتها وقرعوا صفاتها فاخترسوا واصطلوا فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا طافت الايام على الوزير بمنايا هم فأبقاه الله تعالى وأفناهم ولم يزل نقصهم يحارب كماله وادبارهم يزاحف اقباله حتى أجلت معركة العواقب عنه راضيا وعنهم ساخطين وأقشعت غبرة الايام والليالى عنه قائما وعنهم مصروعين

فلو لم تبق لم تعش البقايا * وفى الماضى لمن يبقى اعتبار

عافاك الله امش مع الدهر كما يمشى واجر مع الفلك كما يجرى وارفق بمن رفقت الايام به وارع لمن رعت السعادة له ولا تزاحم الفلك الدوار ولا تناطح الاقسام والاقدار ولا تصغر الكبار ولا تحكم على الدهر فان الدهر حاكم لا يحكم عليه ومسلط لا يؤخذ على يديه وانزل حيث أنزلك الاستحقاق وخذ ما سمحت به لك الارزاق ولا تجلس على طريق السيل الراعب ولا تطعن فى نحر القضاء الغالب ولا تحارب جيش السعد ولا تطاعن حد الجد ولا تستسلف أجلك ولا تتناول مالم يوضع لك واحذر قوس الخذلان فانها نافذة الرميه صريعة الرميه قد والله أوجعت بهذا العتاب قلبك وجاوزت بالعقاب ذنبك ولكنى عاتبتك لك وحاربتك عنك رجاء أن يستخشن مس هذا الكلام لك ويستحسن تألم وقع هذه السهام بك ولولا ذلك لم أذقك مرارته ولم أعرض لطيف ما بينى وبينك له وما أغتم لك من الحبس وروعته ولا من الهوان ولذعته كما أغتم من نظرو لى نعمتك اليك ووقوع بصره عليك وقد قعدت تحت أعباء بره وقابلت احسانه بكفره وزرعت منك النعمة فى بقعة

لم تزد ريعا ولم تجلب نفعا فأنا أبكي لك من يوم اطلاقك لا من يوم حبسك وأتفكر في ساعة سعدك لا في ساعة نحسك فقد شغلني الخجل عن الوجل ونسيت لقبح الموقف الثاني هول الموقف الاول فلا غضاضة عليك من امتداد يد الدهر اليك

فان أمير المؤمنين وفعله * لكالدهر لا عار بما صنع الدهر

﴿وكتب الى كثير بن أحمد لما هرب من الامير أبي الحسن﴾

كتابي الى الشيخ وأنا في خمار شربتي من يد الدهر فقد كانت بشعة الخمر طويلة السكر قليلة النفع كثيرة الضر والحمد لله تعالى على حفظه على الدين وان ذهبت الدنيا وعلى أن صودرت على المال لا على العرض والتقوى وصلى الله على محمد خير الورى خرجت أيها الشيخ من نيسابور وأنا زاملة شكر وثناء وحمال مدح ودعاء وتمثيل خجل وحياء اذا تفكرت في كثرة أعدائي وقلة شفعائي وفي ضعف أعواني وقوة خصمائي ثم نظرت الى وقد خرجت من تلك الغمه وشققت رداء تلك الظلمه موفر الحال والمال صحيح العرض والجمال لم تنشب في أظافير الفقر ولم ينفذ في حكم الدهر علمت أن الشيخ قصر عني يد المحنة وهي طويله وصرف عني ولاية النحوس وهي بسيطه ولو بلغه غاية مراده امكانه وساعده على نيته في زمانه لحجب صروف الدهر عن فنائي واقام بين الحوادث وبين لقائي عرف الله تعالى له نيته وبلغه في الدنيا والآخرة أمنيته ولا زالت نعم الله تعالى عليه ضافيه وأيامه من الغير صافيه ولا زال كما لم يزل عليه رقيب من عدله ومعه وزير من عقله وله مادح من فضله وطوله ووراءه واق من قوله وفعله فلعمري لئن كنت أشكر لمن وهب لي مالا اني لمن وهب لي روحي أشكر ولئن توفر على افضال من أغناني ان افضال من استبقاني ولو شاء لأفناني أوفر فقد جادت على الملوك بالصلات وجاد على ذلك الأمير بالحياة فهناه الله بهذا الشكر الغريب وهذا الثناء العجيب وذلك اني أشكر الملوك على أنهم أغنوني وأشكره على أنه لم يفقرني وأمدحهم لانهم أحيوني وأمدحه على أنه لم يقتلني وأعتد لغيره أن بذل لي كل خيره وأعتد له أنه كف عني بعض شره والشكر على قدر الاحسان والسلم بازاء الائتمان والسلام

﴿وكتب الى محمد العلوي من الري في هذه المحنة﴾

كتابي أطال الله بقاء سيدنا من بعض مطارح الغربه ومساقط النكبه فانا فل من فلول هذا الزمان لا بل فل من فلول هذا السلطان والحمد لله على سلامة الروح والمهجه وان كانت سلامة ضعيفة المنه رقيقة الكسوه ثقيلة الحركه قليلة البركه ليس بينها وبين الهلاك الا أقرب من خطوه وأسرع من لحظه ذكر الشوق فيما بيني وبين السيد رجيع من القول وكلفة من كلف العقل والفضل على أني والله مشتاق اليه شوقه الى ابتناء العلا ومشتهه للقائه شهوته لبذل الندى أذكره وان كنت لا أنساه وألقاه بقلبي وان كنت لا ألقاه وأسأل الله تعالى أن يرينا سلامته سليمه واستقامة أحواله مستقيمه فلا شيء أحوج من السلامة الى السلامه ولا الى الاستقامة من الاستقامه وأن يجعل أقسام صنعه لديه متقاطره واحساناته اليه متناصره مترادفه ومتلاحقة متوالده قد رأى السيد ما كان من العلانية حين فوقت نحوي سهامها ونشرت الحربي أعلامها وتسلطت على

بالسعاية

بالسعاية وهي سلاحها الذي به تقاتل ويدها التي بها تطاول والسعاية سلاح من لا سلاح له والنميمة كيد من لا كيد عنده وشرّ من الساعي من أنصت له وشرّ من متاع السوء من قبله فلما رأيت بيني وبين الموت حجابا رقيقا وجدارا ضعيفا دقيقا ورأيت نفسي قد اكتنفها أربعة أشياء ما منها شيء الا وهو يقرب عليها مسافة الممات ويقطع عنها علائق الحياة خصم فاجر وسلطان جائر وبخت عاثر وزمان غادر آثرت الغربة على وطن معه أذى واخترت الظمأ على شراب فيه قذى وفارقت دار الهوان والحمية تتبعني وعزة النفس تشيعني ولي من الصيانة رفيق وزميل ومعي من العزم هاد ودليل وليست تبعد على العزم مسافة ولا تصعب على الارادة شقة ولا مشقة وما علمت أني أعيش حتى أصادر على اللسان وأساف الشكر قبل الاحسان وقد كنت رأيت حاكما يحجر على يتيم أو معتوه في وفره ولم أر أميرا يحجر على كاتب في كتابته أو على شاعر في شعره وانما الشكر أيد الله السيد فرس جامح ان منع عن سننه قطع أرسانه واستلب عنانه فشقي به سائسه وهلك معه فارسه والشعر يتقلب مع الجود حيث كان ويرتاد المعروف والاحسان وانما هو ماء سارب بل سيل راعب اذا سد عليه طريقه خرق في الأرض خرقا وجعل لنفسه طريقا بل طرقا وما أشبه من أكره الالسن على مدحته الا بمن أكره القلوب على محبته

يحب المديح أبو خالد * ويفجر من صلة المادح
كبكر تحب شديد النكاح * وتفرق من صولة الناكح

وكتب الى تلميذ له فوض اليه أشغاله

كتابي هذا ولو استقبلت من أمري ما استدبرت وقدمت من رأيي ما أخرت لما أمضى فينا الفراق حكمه ولا أنفذ فينا سهمه ولا قدنا جميعا أو رحلنا معا واني لاظلم الفراق اذا شكوته وأتعنف الدهر اذا هجوته وبيدي ضربني ومن سهمي رماني فأنا كالقاطع يده بيده والفاجع نفسه بنفسه ومطرّق الفراق الى قلبه ومتجرّع غصص البين وكربه

أطوي المنازل عن حبيبي دائما * وأظلّ أبكيه بدمع ساجم
هلا أقمت ولو على جمر الغضا * قلبت أوحدّ الحسام الصارم

ما تذكرت تلك الايام التي سلبنيها الدهر بل سرقنيها وغبنني بل داس على فيها وكانت أرق من حاشية البرد وأحسن من طلوع السعد وأحلى من انجاز الوعد وأعذب من القند بل من النقد وأعبق من الورد وما أردت الاورد الخد بل من المسك والند وأطيب من القرب بعد البعد ومن الوصل في أثر الصد بل كانت أرق من نسيم الزهر في السحر ومن قضاء الوطر على الخطر بل كانت أقصر من ليل السكارى أونهار الحيارى الا كات الوجع وشربت الجزع وانثنيت على كبدي خشية أن تتقطع

ولو أنني أعطيت من دهري المنى * وما كل من يعطى المنى بمسدد
لقلت لايام مضين ألا ارجعي * وقلت لايام أتين ألا ابعدي

وله البستان قد وعدتني ياسيدي اقامة وظيفته بالشجر وبالنور والزهر وأنت ياسيدي بالانجاز

قين ووفاؤك به ضمين وذلك المكان مرتع ناظري ومتنفس خاطري ومجال بصري ومدار فكري ومنهلي اذا شربت ومحدّثي اذا خلوت وسلاتي اذا اغتممت وشمامتي اذا اشتممت وما ظنك بمكان ليست فيه زاوية الا وقد صبّ علىّ فيها كاس بل طاس وشرب عليها انسان بل أناس ونام في حافتها وجه صبيح وتقلب في أطرافها قدّ مليح وكأني بك وقد عرضت هذا الفصل على الناس فظنوا أني أصف بستان الزاهر أو دار ابن طاهر أو اذكر الجعفريه أو البركه المتوكليه أو أعني سغد خراسان أو شعب بوّان أو أنعت نهر الابله أو متنزه الغوطه أو شعب انطاكيه ولا يعلمون أني انما أذكر بقيعة طولها باع وعرضها ذراع أعني باع البقه وذراع الذرّه وأقل من لا وأصغر من الجزء الذي لا يتجزى لو طارت عليها ذبابة لغطتها أو دخلتها نملة لسدّتها تسقى بالسعوط صباحا وتمسك بالخلال مساء أشجارها مائة الا تسعة وتسعين وأنهارها خمسون الا تسعة وأربعين واني لشاعر اذا أحس من لسانه بسطه ووجد في خاطره فضله وأصاب من القول جريانا ووجد ميدانا قال ما وجدت بيانا وما ظنك بقوم الاقتصاد محمود الا منهم والكذب مذموم الا فيهم اذا ذموا ثلبوا واذا مدحوا سلبوا واذا رضوا رفعوا الوضيع واذا غضبوا وضعوا الرفيع واذا أقرّوا على أنفسهم بالكبائر لم يلزمهم حدّ ولم تمتد اليهم بالعقوبة يد غنيهم لا يصادر وفقيرهم لا يحتقر وشيخهم يوقر وحدثهم لا يستصغر وسهامهم تنفذ في الاعراض اذا نبت السهام عن الاغراض وتصل الى البعيد كما تصل الى القريب شهادتهم مقبولة وان لم ينطق بها سجل ولم يشهد بها عدل وسرقتهم مغفورة وان جاوزت ربع دينار ولو بلغت ألف قنطار ان باعوا المغشوش لم يرد عليهم وان صارموا الصديق لم يستوحش منهم بل ما ظنك بقوم هم صيارفة أخلاق الرجال وسماسرة النقص والكمال بل ما ظنك بقوم اسمهم ناطق بالفضل واسم صناعتهم مشتق من العقل بل ما ظنك بقوم هم أمراء الكلام يقصرون طويله ويخففون ثقيله ويقصرون ممدوده ولم لا أقول ما ظنك بقوم يتبعهم الغاوون وفي كل واد يهيمون ويقولون ما لا يفعلون

﴿وله الى تلميذ قطع في مجلس أدب وكابر واختلط فيه﴾

بلغني انك ناظرت فلما توجهت عليك الحجة كابرت ولما وضع نير الحق على عنقك ضجرت وتضاجرت وقد كنت أحسب أنك أعرف بالحق من أن تعقه وأهيب لجناب العدل والانصاف من أن تشقه كأنك لم تعلم أن لسان الضجر ناطق بالعجز وأن وجه الظلم مبرقع بالقبح وأنك اذا استدركت على نقد الصيارفه وتتبعت خطأ الحكماء والفلاسفه فقد طرقت الى عيبك لعائبك ونصرت عدوك على صاحبك وقد عجبت من حسن ظنك بك وأنت انسان والله المستعان

﴿وكتب الى أبي عمر المنكدري وزير صاحب جرجان﴾

وعد الشيخ يكتب على الجلمد اذا كتب وعد غيره على الجمد ولكن صاحب الحاجة سيّء الظن بالايام مريض الثقة بالأنام لكثرة من يلقاه من اللئام وقلة من يسمع به من الكرام وفلان قد نفض عندي غرارة شكره واستعان بي على تحمل ما أثقله من أعباء برّه فأعلمته أني أثقل منه بنعمة الشيخ ظهرا وأضيق منه عما لزمني أداؤه صدرا وأنشدته شعرا

أعيين

أعيين هـــلا اذ كلفت بها * كنت استعنت بقارع العقل
أقبلت ترجو العون من قبلي * والمستعان به لـفي شـــغل

ثم انى تذممت أن أردّ اخوانى فى ماعون طلبوه من لسانى فأصحبته هـذه الاحرف والشيخ يلحظه بالزيادة حـلاوة الشـكر و يعرّفه فعلا لا قولا حميد عاقبة ما أفاض فيـه من طيب النشر فمثله عرف الشاكرين الصنعه ونفق بينهم هذه السلعه

(وكتب الى صاحب ديوان الحضرة وقد طولب أبو بكر بحضور الديوان فلم يفعل)

هذا أطال الله بقاء الشيخ الرئيس حال نيسابور وأهليها بل حالى وحال الاحرار فيها
وأصبح أقوام يقولون ما اشتهوا * وغاب أبو عمرو وغابت رواحـله

وقد كنت آوى من الشيخ أيام مقامه بهـذه الجنبة الى كنف رحيب وجناب خصيب وباب واسع ونائل شائع ووجه اذا نظرت اليه قرأت نسخة الكرام فى وجنتيه تلمع آثار الكرم بنور أساريره وتعرف بشرى النجاح فى تباشيره وفم يبشرنى بابتسامه قبل أن يبشرنى بكلامه ويحيينى بالنجح باشارته قبـل أن يترجم بعبارته واذا رأيتـه رأيت بختى قد أقبـل الىّ فى معرض الكمال وطالع سعدى قد اطلع عـلىّ بنيل الآمال عن يمينى الجمال وعن يسارى الجلال فأغدو الى بابه يقدمنى الأمل والرجاء وأروح عنه فيشيعنى الشكر والدعاء وأحمـل حوايجى منه على جبل الجود الذى لا تحرّكه المطالب ولا تثقل عليه الرغبات والرغائب بل عـلى بحره الذى لا ينزفه الاستقاء ولا تكدره الدلاء ولا يرى قعره ولا يدرك غوره وانما يصبر عـلى حوايج النـاس و يلتذعه باستماع صوت رحى الاضراس من ولد فى طالع السخاء وغـذى فى حجور الكرماء وقرع سمعه منذ صباه بأصوات الأدباء والشعراء ومرن على البذل والعطاء

والثقل ليس مضاعفا لمطيـة * الا اذا ما كان وهمـا بازلا

حتى اذا ما كادت غصون آمالى ترف بعـد ما يبست ووجوه مطالبى تضحك بعـد ما عبست رمتنى الأيام بفراق الشيخ فأخدج رجائى الحامل وجف ضرع أملى الحافل وسكت لسانى القائل وفترت فتور التاجر بارمتاعه وغاب مبتاعه وخجلت خجل أبى البنت زهد فيه أختانه وضحك منه جيرانه وردت عليه بكره وسيق اليه مهره وقلت لو أراد الله بالأدب خيرا ما غاب من كان يجمع شمله ويكرم أهـله ويعرف فضلهم وفضله ولو انصفت الأدب بعـد غيبة الشيخ لرثيته مرثية الأموات ولأقمت عليه مأتم الممات ومحوت اسمه من جريدة الحياة هـذا وقد ورد على عمل الخراج من لا أطريه بحرمه ولا أتناوله بطرف ذريعة أو وسيـله وكأنى به وقـد حشـدنى فى جملة العامه وأدخلنى فى غمار سائر الرعيه وأوقفنى على جسر قدامه الخسران وخلفه الهوان وخصنى بدريهمات جمعت بتقحم المهالك واختراق المسالك والممالك ودنانير قطعت القفار وخاضت البحار وناطحت الحوادث والاقدار فان بذلتها أبرزت وفرا لما كان مخزونا وان منعتها ابتذلت عرضا لم يزل مصونا على أنى أحمـل على الجمال التجمل وأوثر البذل على التبذل وأنشـد شعرا * حنانيك بعض الشرّ أهون من بعض * وما أيسر دواء هذا الداء لو طاوعتنى نفسى العاصيه وتابعتنى رجلى الآبيه فدخلت الديوان وصانعت

الزمان وفتحت جراب النفاق والرياء وأغلقت باب الحفاظ والوفاء ولكن النظر الى عين الشمس أيسر على وأهون على عيني من أن أنظر الى هذا الصدر وقد جلس فيه غير ذلك البدر وانى لأغار على الكرم كما يغار على الحرم وأبخل بالمراتب كما يبخل غيري بالمكاسب وأستحيي لعيني أن أفتحها على الصغير وقد جلس مجلس الكبير لا ابتلاني الله بمجالس الغيره ولا أقامني في مقامات الغم والحيره فان ابتلاني بذلك وجدني ضيق ساحة الصدر قريب غور الصبر كثير المباراه قليل المداراه هذه أطال الله بقاء الشيخ حالي فهل لي عنده فرج أرتجيه أو نظر أتجمع فيه وهل يحرك لفظة من ألفاظه أو لحظة من ألحاظه يرد بها على وجهي ما نضب من مائه وعلى عرضي ما ذهب من بهائه ولعمري ان حاجتي الى الشيخ في هذا الخراج صغيرة ولكني لا أستصغر منه يسيرا كما لا أستعظم منه كبيرا واعلم أن الحر يسع الدقيق بفطنته والجليل بهمته وان أبطأ عني كتابه بالفرج خشيت أن يسري في السم العريطي الى أن يصل الى الترياق البطي أعوذ بالله من أن يكون دائي نقدا ودوائي وعدا

❊ وكتب الى رئيس طوس يعزيه في شقيق له ❊

كتابي عن سلامة وما سلامة من يرى كل يوم ركنا مهدودا ولحدا ملحودا وأخا مفقودا وحوضا من المنية مورودا ويعلم أن أيامه مكتوبه وأنفاسه محسوبه وأن شباك المنايا له منصوبه أف لهذه الدنيا ما أكدر صافيها وأخيب راجيها وأغدر أيامها ولياليها وأنغص لذاتها وملاهيها تفرق بين الأحبة والأحباب بالفوات وبين الأحياء والأموات بالوفاة وورد على خبر وفاة فلان فدارت بي الارض حيره وأظلمت في عيني الدنيا حسره وملأ الوله والوهل قلبي وسواسا وفكره وتذكرت ما كان يجمعني واياه من سكري الشباب والشراب فعلمت أنه شرب بكاس أنا شارب من شرابها ورمي بقوس سوف أرمى بها فبكيت عليه بكاء لي نصفه وحزنت له حزنا لنفسي شطره وسألت الله تعالى فانه أكرم مسؤل وأعظم مأمول أن يفيض عليه من رحمته ما يتمم به سهمه من نعمته وأن يتغمد كل زلة ارتكبها بمغفرته ويضاعف له كل حسنة اكتسبها بمنته وأن يذكر له تلك الاخلاق الكريمه وتلك المروءة الواسعة العظيمه فان الله تعالى يحب السخاء في الجحد فكيف في الموحد وان سخاء النفس ونصب المائدة خلق من أخلاق الصديقين وشعبة من شعب النبيين ثم تذكرت ما نزل بسيدي من الوحشة لفقده والغمة من بعده والتحسر على قربه وبعده فخاص الى قلبي وجع ثان أنساني الماضي وثالث أنساني الثاني حتى استفرغ ذلك ما في صبري بل ما في صدري وحتى صار الوجع وجعين والمصاب اثنين ثم رجعت الى أدب الله تعالى فقلت انا لله وانا اليه راجعون اللهم لا شكاية لقضائك ولا استبطاء لجزائك ولا كفران لنعمتك ولا مناصبة لقدرتك اللهم ارحم الماضي رحمة تحبب اليه مماته وأبق الحي بقاء تهنئه فيه حياته واطبع على قلبه حتى لا يطيع داعية الجزع ولا يضع عنانه بيد الهلع ولا يثلم جانب الأجر والذخر بالاثم والوزر ولا يجد عدوه الشيطان سبيلا اليه ولا سلطانا عليه اقتصرت من تعزية سيدي على هذا المقدار لا جريا على مذهبي في الاقتصار والاختصار ولكني لم أجد من لساني بسطه ولا من قريحتي فضله ويحق

لهذه

هذه الفادحة الحادثة أن تدع اللسان محصورا والبيان مقصورا وأن تحدث فى العقل خللا وفى البنان شللا وليعرفنى سيدى خبر ماهداه الله اليه من جميل العزاء الذى لم يعدم جميل الجزاء ليكون سكونى الى ما أعرفه من سلوته اضعاف قلق كان عما ظننته من حرقته وان كنت أعلم أنه لا يخلى ساحة الحلم والعلم ولا يخل بالواجب من التمسك بالحزم ولا يحل عقدة صبره ولا تتداعى أركان صدره ولا يعمى عليه الرشد فى جميع أمره وهذه شريطة الكمال وسجية الرجال

﴿وكتب الى أبى الحسن الطرجودى بندارطوس﴾

فلا ترتفع عنا بشغل وليته * كما لم يصغر عند نا قدرك العزل

ليت شعرى ما الذى رآه فى الكبر حتى اعتقد ملته واستقبل قبلته وفى العجب حتى تبوّأ ساحته واستوطن راحته وفى الجفاء حتى علق أسبابه ولبس جلبابه وما الذى ارتكبته من بين اخوانه حتى أفردهم عنى وكاتبهم دونى حتى كأنى قطعته ووصلوه ونسيته وذكروه وجفوته وبرّوه حتى كأنه عرض جريدتهم فوجدا سمى ملحقا بحواشيها ومثبتا فى أخريات أسامها فهلا اذ لم يؤهلنى لمرتبة الخاصه جعلنى أسوة بالعامه وهلا اذ لم أستحق منه فضلا رزقت منه عدلا وهلا تصدق علىّ بكتابه الىّ فألزمنى على المساكين صدقه وللفتح هديه فكنت أجعل يوم وصول كتابه الى عيدا ونيروزا جديدا وأتصدق بمالى فيه طريفا وتليدا وأطوف بكتابه فى اخوانه واخوانى وأباهيهم به مباهاة الأخ بأخيه الذى مساعيه مساعيه ومساويه مساويه وكل شئ من فضيلة ورذيلة فهو شريكه فيه صفحت أيد الله سيدى عن هذا الذنب الفظيع والجرم الشنيع فهل لسيدى أن يستأنف لنا حالة أخرى ويأخذ بنا فى طريقة غير الأولى فان الاستقالة تأتى على العثرات وان الحسنات يذهبن السيئات وان قليل الاستغفار ينسى كثير الخطايا والاوزار خرج فلان الى ناحية سيدى وهو جوهرة من جواهر الشرف لا من جواهر الصدف وياقوتة من يواقيت الافكار لا من يواقيت الاحجار واذا نظر اليه عن مرآة الخبره وقلبه بيد العشره استدل به على حسن انتقادى وصائب ارتيادى وعلم أنى لا أختار غير الخيار ولا أجنى غير خير الثمار ولا أصادق غير الاحرار فلينطق سيدى لسانه بشكره وليكفه الدقيق والجليل من أمره وليمش على عقبى لا بل مقدمتى الى ألطافه وبرّه عرض سيدى هدايا تلك الناحية وكيف أطمع فى هدية من يبخل بردّ السلام ويحاسب أصدقاءه على الرسالة والكلام وكيف يسمح بالجوهر الحاصل من يبخل بالعرض الحائل وكيف يتوسع فى النافله من تضايق بالفريضه أنصفنا الله تعالى من أصدقائنا فانا بحوله وقوته ننتصف من أعدائنا

﴿وكتب الى وزير قابوس بن وشمكير﴾

وكل ولاية لابد يوما * مغيرة الصديق على الصديق

قد كنت أنتظر مصداق هذا البيت من سيدى حتى حققى الله تعالى ظنى ولو أكذبه كان أحب الىّ وأوقع لدىّ فسبحان من جعل حصتى من وفاء الاخوان مبخوسه وتجارتى فيما أعاملهم به ويعاملونى موكوسه فان كان سيدى عم بهذا الجفاء اخوانه فخلطنى بهم وجعلنى واحدا منهم لقد أخلف ثقتى

بانفرادى عن صحبه وأخلف ظنى بناحيتى من قلبه وكنت أحسب أنه يخصنى من بينهم بفضل الثقه كما خصصته من بينهم بفضل الثقه وان كان وصلهم وقطعنى دونهم لقد عكس حكم الرجاء وغرس الجفاء فى منبت الوفاء وأساء الترتيب بين الاصدقاء وما أدرى له فى واحد من الفعلين عذرا وان كان أحدهما أثقل وزرا واسوأ برا وأقبح ذكرا وقد كنت طويت بيد اليأس بساط العتاب وأغلقت باب المراجعة ووضعت مفتاح الباب ثم استظهرت بهذه الاحرف وسترد من سيدى على أذن عن العتاب صماء وعين عن الوفاء عمياء ونفس تبغض الوفاء كما يبغض الناس الاعداء وتعشق الجفاء كما يعشق الرجل المرأة الحسناء وتشتهيه كما يشتهى الظمآن الماء وانتظارى الجواب عنها أكذوبة من أكاذيب الامانى وأغلوطة من أغاليط زمانى ومناقضة الحكم القياس وارجاف من أراجيف الوسواس ولكنها سخرة من سخر الفراغ تكلفتها وحاجة فى نفسى قضيتها

❊ وكتب الى رئيس هراة يعزيه بابن أخته وبنته ❊

كتابى أيد الله الشيخ الرئيس وأنا سليم المهجه سقيم القلب والمنه صحيح العرض والجسد عليل الخاطر والجلد للمصيبة فى فلان رحمه الله فانها مصيبة خرجت من كمين الدهر قبل أن يستعد لها بعدد الصبر وجاءت مجىء البغته ووثبت وثبة المسارقه وغلبت الايام على ذلك الحر أطرى ما كان غصنا وأتم ما كان حسنا وأبعد ما كان أملا وأظهر ما كان جذلا حتى كأن المنون أخذته خلسه وانتهزت فيه فرصه وفقد الشباب الطرى أكثر حزنا وكسر العود الرطب أشد وجعا

ان الفجيعة بالرياض نواضرا ❊ لاشد منها بالرياض ذوابلا

ولو كان الدهر يجيب من خاطبه ويعتب من عاتبه لاستدركت هذه الفعلة عليه ولفوقت سهام اللوم اليه لكنه أصم عن الكلام صبور على وقع سهام الملام يخضر العيدان ويهتصر الاغصان ويخترم الشبان ويبلى الآمال والابدان ويلحق من يكون بمن كان والشيخ جدير بأن يتدرع لهذه الفجيعة درعا من كريم التسلى وجميل التعزى لا تخرقها يد التذكر ولا تهب عليها ريح الهم والتحسر ولا تطمح نحوها عين التغير والتنكر وأن يلقى هذا الخطب الكبير والغم الكثير بصبر هو منهما أكبر وتجلد هو منهما أكثر فان الكبير فى قلب الكبير صغير وان العظيم على العظيم حقير

والثقل ليس مضاعفا لمطية ❊ الا اذا ما كان وهما بازلا

وليحذر أن يجمع على نفسه ذل الغربه وثقل الكربه وان كان لا غربة على عاقل ولا وحدة لفاضل فان الداء اذا قابل داء لم يقبل دواء ولم يرج لصاحبهما شفاء وليعلم أن الله تعالى قد أخذ منه اليسير وأبقى له الكثير وسلبه الصغير ومنحه الكبير سلبه أخا كان يعتضد باخوته ومنحه أبا يجمع خير الدارين بأبوته وأبقى له اخوة هم قوة اليد والعضد وغاية الايد والمدد وزينة العدد والعدد وجمال الدهر والأبد فسبحان من اذا سلبنا من هو أملك به منا أجرنا واذا صبرنا على ما لا بد من الصبر عليه شكرنا واذا امتحن كانت محنته خيره واذا منح كانت منحته نعمة كبيره ورحم الله فلانا اذا الحلق المعسول والكنف المأهول والطعام المبذول صاحب المرعى الخصيب والقلب الرحيب والوجه الطلق والجناب الغدق الشاب سناء وجلادا والشيخ حلما وسدادا

الذى

الذى كان زيننا اذا دنا وذخرا اذا نأى وعدة للآخرة والأولى الذى كان يهين ماله ليكرم نزاله و يبذل دينارة وداره ليصون زواره و يضحك فى وجه النازل عليه عند نظره اليه كأن الموت ينتقد الافاضل و يبهرج الاراذل وكأن الآخرة تختار الاخيار و تترك على الدنيا الأشرار وكأن أعمار الكرام مشاهره وأعمار اللئام مداهره قال الطائى

عليك سلام الله وقفا فاننى * رأيت الكريم الحر ليس له عمر

فأما البنت رحمها الله تعالى فقد كانت حياتها عفافا وسترا ووفاتها ثوابا وذخرا ولقد كانت فى زمان النجابة فى رجاله غريبه وفى نسائه عجيبه والعفاف فى ذكرانه معوز وفى اناثه معجز والعقل فى شيوخه نادرة تفقد وفى شبانه ضالة لا توجد فالحمد لله الذى سترها بالحياء فى حياتها و بالتراب بعد وفاتها فأسبل الله تعالى على سيدنا سترين واستوجب منه ومنا له شكرين ولقد ثكلتها ثكل الرجل لأخص أخواته بل لأكرم بناته فقد كانت لى من جهة ميلادها والحال بينى و بين والدها بنتا ومن جهة تربيتها معنا أختا والمستور عزيز فى كل مكان ومحبب الى كل انسان وممدوح بكل لسان فان تكن خلقت أنثى لقد خلقت * كريمة غير أنثى العقل والحسب

فرحمها الله تعالى رحمة تلحقها بمريم وآسية فى الأولين و بخديجة وفاطمة فى الآخرين و بأم الدرداء ورابعة فى نساء الصحابة رحمة الله تعالى عليهم أجمعين ولولا ما ذكرته من سترها ووقفت عليه من غرائب أمرها لكنت الى التهنئة أقرب منى الى التعزيه فان ستر العورات من الحسنات ودفن البنات من المكرمات ونحن فى زمان اذا قدم أحدنا فيه الحرمه فقد استكمل النعمه واذا زف كريمته الى القبر فقد بلغ أمنيته من الصهر وقال الأول

ولم أر نعمة شملت كريما * كنعمة عورة سترت بقبر

وقال الثانى تهوى حياتى وأهوى موتها أبدا * والموت أكرم نزال على الحرم

وقال الثالث وددت بنيتى ووددت أنى * وضعت بنيتى فى لحد قبر

وقال الرابع ومن غاية المجد والمكرمات * بقاء البنين وموت البنات

وقال الخامس سميتها اذ ولدت تموت * والقبر صهر ضامن زميت

وقد كنت على أن أفرد فى معناها كتابا الى الشيخ ثم تطيرت له من تناسق التعزيتين كما توجعت له من تواتر المصيبتين وأرجو أن تكون هاتان الحادثتان خاتمة الكروب وقافية الخطوب ثم تجىء النعم بعدها مترادفة بل مترافده ومتظاهرة بل متواتره ومتناسقة بل متطابقه فان المحن اذا تناهت انتهت والرزايا اذا توالت تولت ولكل غمرة محنة معبر ولكل مورد غمة مصدر وسيجعل الله بعد عسر يسرا ولعل الله يحدث بعد ذلك أمرا

على انها تعفو الكلوم وانما * نوكل بالادنى وان جل ما يمضى

أسأل الشيخ أن يكتب الى بخبر ما وجده من برد السلوه لاشركه فيه كما شركته فى حرارة اللذعة والفجعه والسلام

وكتب الى صديق له جواب كتابه

ما تأخر جواب كتاب سيدى وشيخى جهلا بحقه الواجب اللازم اللازب ولا انكار الافضاله المترا كم

المتراكب ولكني تحريت وقتاينشط فيه اللسان للبيان والبنان للجريان ويوما يحسن فيه الدهر وينشرح فيه الصدر ويقل فيه الفكر فلا والله ماوجدته وقد كنت أشتاق الى غدى فانا الآن ألهف على أمسي ومامن وقت كرهته الا وأنا أحن اليه ولا من يوم بكيت منه الا بكيت عليه

﴿وله الى حاكم نسا﴾

ورد كتاب الحاكم عاملا لأني سرورا وحبورا وصار في رجائي الميت حركة ونشورا وشكرته على ما بذله شكر الا أرضاه مهر الاساءته لو أساء الي فكيف لاحسانه المتظاهر علي ولكن لن تتجاوز الطاقة ذرعها ولا يكلف الله نفسا الا وسعها وماعندنا غير خلق لا يشترى بثمن ولا يعاوض باثمه بقبيح ولا حسن وهو الدعاء استجاب الله في الحاكم صالحه وأسبغ عليه منائحه وأعطاه من كل خير مقاليده ومفاتحه

﴿وكتب الى نائب الوزير ابن عباد بأصفهان﴾

كتبت الى الاستاذ معاتبا مرة ومستعتبا كرة فما وجدت للعتاب أعتابا ولا قرأت عن الكتاب جوابا وليت شعرى ما الذى منعه عن صلة لا تضره وتنفعني وعن تواضع لا يضعه ويرفعنى

ولم عابخل الجواد ومابه * بخل ولكن سوء حظ الطالب

فلان قد عييت بجواب كتبه وغرقت بين أعتابه وعتبه يكلفنى أن أورد على الاستاذ خبر شكره وأن أجمله بعض وداثيي عند احسانه وبره وقد أخبرته أنني قد ركبت من التقصير في شكر الأستاذ عن خاصتي مركبا سقطت معه شهادتي وأخفقت بعده شفاعتي وان شكرى له عن غيرى بعد ماضيعت الواجب منه على نفسي نافلة أقيمها بعد ماضيعت الفريضه وتفصيل أصلحه بعد ماأفسدت الجمله ولن تقبل النافلة أوتؤدى الفريضه فلم تقابل حجتي الا بالجحد وعذرى الا بالرد ومازادنى على كتبه العريضة الطويله ومعاتباته الوخيمة الثقيله فذكرته الآن للاستاذ فان كنت أسأت فالاساءة بيني وبينه وان كنت أحسنت فالاحسان لى دونه ويا عجبا مني أعجز عن تحمل نعمة ثم أخطب نعمتين ولا أقوم تحت عارفة ثم أطلب عارفتين ولا أرضى البر الا مداخلا ولا أقبل الاحسان الا مضاعفا ومايستبدع منه بذل الرغيبة بعد الرغيبه ولا مني اقتراح الغريبة بعد الغريبه فانه أيده الله أوحد في النوال كما أنى أوحد في السؤال

﴿وله الى أبي الحسن الحكمي﴾

خرج الشيخ من ههنا على حالة ان كان الذنب فيها له فقد غفرت وعذرت وان كان لى فقد استغفرت واستعذرت والدهر يوزع بافساد الأحوال وتكدير ماء الوصال وقطع قرائن الرجال ثم يعود العاقل منهم لما يرفو به الخرق ويرتق به الفتق فيقبل الزله ويراجع الوصله وينشد

اذا نزغات الحب أورش بيننا * عتابا تراجعنا وعاد العواطف

فأما الجاهل فانه اذا هجر لم يبق في القوس منزعا ولم يترك للصلح موضعا والحمد لله الذى وفقني في أثناء هذه الحال حتى كبحت فرس العرامه وغمدت سيف الشكوى والملامه وأبقيت الحال في صوانها ولم أتقدم منها حكم زمانها هجرت هجر متارك كريم المقاطعه ووصلت وصل مراجع حميد المراجعه لتكون الأولى بذرة مغفوره والثانية كفارة مشكوره والعتبي عروس ليس لها غير الصلح مهر والاعتذار

والاعتذار يسعى ماله غير القبول أجر وقد كنت قلمت من عرض الشيخ بنانا حديد المخالب وفللت عن جانبه سيفا مرهف المضارب وانما سلطان الغضب ساعة تورث ندامة الابد ويوم يثمر حياة الغد الا من أعين بالعصمة وأطاع داعية العقل والحكمة والسلام

﴿وكتب الى صاحب ديوان الخراج بالحضرة﴾

قد كنت أرجو أن تعلق بالشيخ يا سوجراح الايام بى وينزع نصالها الواقعة بجنبى فطالما تعلق المدبر بذيل المقبل فأقبل باقباله وصارت حاله قطعة من حاله

وكم صاحب قد جل عن قدر صاحب * فألقى له الاسباب فارتفعا معا

ويا عجبا كيف لا يغار الشيخ على جانبى منه وكيف لا يخاف على حظى فيه وكيف يرضى بأن يرى مصون قولى فيه وقد ابتذلته وكيف يستحسن أن أسأل غيره بعد ما سألته فوالله تعالى ان لسانا جرى بمدح سواه بعد مدحه لأهل أن ينزع وان كلاما كان فيه ثم صار فى غيره لجدير بأن لا يسمع وقد كنت زففت الى الشيخ عروسا من كلامى عاتبته فيها فان كانت حسناء فأين حق الزوجية وان كانت قبيحة فأين حق النية ولا أقل من أن يرضى بالمجان ان لم يشتر بالاثمان وأن يمسك بالمعروف أو يسرح بالاحسان وان درهما يؤخذ منى لدرهم ثقيل الوضع على عرض السلطان قبيح الاحدوثة فى البلدان ولئن كان يعمر به بيت المال انه يخرب به بيت الجمال ولئن كان يزيد به عدد الدراهم انه لينقص من عدد المكارم ولئن كان يسمى فى العامة جبايه انه ليسمى فى الخاصة خزايه ولبس أكفان الموتى وسرقة أدوية المرضى وقطع الطريق على حجاج بيت الله الحرام وزوار قبر النبى عليه السلام أحسن فى الاحدوثه وأبعد من العار والنقيصه من الزام مثلى خراجا وسومه غرامة واستخراجا وانما يحاسب نفسه فى مثل هذا من وزن أفعاله بمعيار الحريه وأخذ نفسه بشرائط الانسانيه وغار على نفسه كما يغار على عرسه وضن بقدره كما يضن بوفره وهذه خصائص لا يؤاخذ بها الا الاحرار والشيخ بحمد الله تعالى صدرهم وبدرهم وعليه مدار أمرهم وهو أولى من غضب للادب وحافظ على الاقدار والرتب

﴿وكتب الى أبى الحسن على بن دامة﴾

لم ينقطع عنى كتاب سيدى مع ضنى به وعشقى له الا لانه يبخل على بأن أحفظه وأرويه ويخشى على أن أنتحله وأدعيه فعهدى به لا يبخل على الفقراء ولا يرضى لاسمه أن يكتب فى جريدة البخلاء أم لانه يكره أن يصير نظيرا اذا كاتب من دونه كثيرا فهذا ظن غير صائب ورأى غير ثاقب فقد يكاتب الكبير الصغير فلا الكبير يصغر ولا الصغير يكبر أم لانه يخاف أن لا أعرف حقيقة خطابه ولا أبلغ غور كتابه فقد علم أن الله تعالى خاطب العامة بوحيه كما خاطب به الخاصه أم لانه يأنف لكتابه اللطيف من جوابى الكثيف فما زال الخطأ منبها على مقدار الصواب وما زال توسط المجيب دليلا على تقدم المجاب أم لان اخوانه الذين استظرفهم من بعدى واعتاضهم منى قد شغلوا يده عنى فما كنت أظن أنه يحفظ لكل جديد لذه وينسى لكل عتيق حرمه أم لان الايام أعدته فاحسبته يقبل عدواها ويتحلى بحلاها ويرضى لنفسه أن يسعى مسعاها أم لان سمرقند بعدت عليه

والكاغدعزلديه فأناأجهزاليه قوافل تحمل اليه من الكاغد أوقارا وتتصل منى اليه قطارا قطارا أم لانه يتكاسل عن مكاتبتى فأناأكتب عنه الى وأرضى قلبى بيدى هذا اذا تواضع وقبلنى كاتبا فأماأنافقد رضيت به صاحبا على أننى منتظر منه أن تعطفه على العواطف وأن تعود الى نعمه السوالف فلم يغاغط الدهرالمسىء الى بالاحسان وعاد على الهدم بالبنيان هذا والكتاب ماقى لاموقى تسرع اليه اليد الحامله وتعرض له الآفات السانحه فالماء يغرقه والنار تحرقه والريح تطيره كما أن الأيام تغيره والدخان يسوّد بياضه كما أن الحك يبيض سواده والرطوبة تضره كما أن اليبوسة لاتنفعه فآفاته أكثر من آفات الزجاج الذى يسرع اليه الكسر و يبطىء عنه الجبر وحوادثه أكثر من حوادث الغنم التى هى لكل يدغنيمه ولكل سبع فريسه وأول آفاته خيانة الحامل ووقوع الشاغل وعوائق الفتوح والقوافل وهذا التطويل كله ارتياد لعذر أجده لسيدى وان رجلا أعتذر عنه الى قلبى وأبرز ذنبه فى معرض ذنبى لأعظم فى عينى من كل عظيم وأكرم على قلبى من كل كريم وكأنه فى وفيه قيل

اذا مرضنا أتيناكم نعودكم * وتذنبون فنأتيكم ونعتذر

(وكتب الى أبى الحسن الحكمى)

طالت أيام الشيخ بتلك الناحية حتى ظننت أن الدهر فطن لاقامتنا فى ظله ولدعتنا فى فضله فزاحمنا عليه وسابقنا اليه وسلبنا النعم به لاسلبنا الله نعمته فانها نعمة متجاوزة الى كل من قدح بزنده واستظل بظل احسانه ورفده واغاير يد الناس النوال للمال وهو يريد المال للنوال فالنعمة عليه نعمة على من سواه والنعمة على غيره نعمة لاتتعداه على أنى عارف بأن الله تعالى لن يختم للشيخ الا بأحسن العواقب ولن يعدل بحاله الا الى ألين الجوانب وعلى الكريم واقية من فعله وله حصن حصين من فضله فاذا زلت به النعل زله أوصال عليه الدهر صوله أقامته يد احسانه وانتزعته من مخالب زمانه فليمد الشيخ عنان رجائه وليتوقع الفرج فى صباحه ومسائه وليعلم أن وراءه ربا لايخذله وسريرة صالحة لاتسلمه وسلطانا عادلا لايظلمه أراه الله تعالى وأرانى فى حساده مايصيرهم نكالا بين عباده وبلاده وأراهم فيه من رغائب النعم وغرائب القسم مايتمنون العمى قبل رؤيته والصمم قبل روايته وأطال لغمهم ورغمهم بقاءه وجعلهم فداءه ثم جعلنى فداءه

(وكتب الى أبى الفرج لما قلد خلافة البندار بطوس)

وردت كتب ولدى على يد جماعة أصدقائه وكافة أوليائه وطالبت حصتى منها فلم أجدها فيها فليت شعرى كيف قصدنى من بينهم الزمان وكيف خصنى منه بالحرمان وكيف صرت المستثنى وقعدت على طريق الاوكيف عدنى ولدى فى الاجانب وكنت أعد نفسى فى الأقارب وهلا اذلم يدخلنى فى جملة اخوانه وأصفيائه أدخلنى فى جملة شيعته وأوليائه وقد اغتفرت هذه الواحده وسأؤاخذه ان عاد اليها ثانيه فما يسع عفوى لاكثر من مره ولاتنال اقالتى أكثر من عثره هذا العمل أول ماجرى ولدى فى ميدانه وسابق أهل زمانه فان طلب الغايه وبذل الجهد والطاقه لحق السابق وفات اللاحق وان قصر فاته المراد وسبقته الجياد وهو ابن رجل ان سبق ابنه لم يشكر وان

سبق

سبق لم يعذر فليتعب نفسه فلا راحة مع الهمه وليسهر عينه فلا نوم مع طلب الغايه وليحذر فلتات اليد واللسان وسكرات الشبان فان سكر الشباب أشد من سكر الشراب وليكتب فى قلبه بيد عقله قول الأول

خدمة السلطان والكا * سات من أيدى الملاح
ليس يالتامان فاخـتر * رفعـة أو شرب راح

وانى لاعلم أن لولدى عرقا سيرخى عنانه ويخلف عنه أقرانه وانه لن يستقبل الاقبلة حسبه ولن يفعل الا ما يليق به ولكن أحزم الحزمة لا يستغنى عن عظة الاخوان كما أن أعتق الجياد لا يستغنى عن ركض الفرسان كنت كتبت كتابا قبل هذا أرخيت فيه عنان لسانى وأتعبت فى تطويله قلبى وبنانى والتطويل فى شكر الجميل اختصار والاطناب فى قضاء الواجب تقصير واقتصار فلان قد ألف طوس حتى عشقها وهجر نيسابور حتى طلقها وتمد طلاقه الى طلاق اخوانه بها وأنا أحسد ولدى على ما خص به من قربه وأود لو شركته فيه كما شركته فى حبه والحسد على مثل هذا سنة متبعه وفى غير هذا بدعة مبتدعه وقد كنت أشكو الأيام وهى تفارقنى باخوانى فرادى وهى اليوم تفارقنى بهم مثنى فتكلفنى أن أقيم للشوق نوبتين وأوجه قلبى الهم من طريقين

﴿وكتب الى وزير خوارزمشاه لما نكب وكان خرّجه﴾

أصبحت أيد الله الشيخ وأمسيت شبعان من كل بغيه ريان من كل مراد ومنيه غير خبر انقشاع هذه الضبابه وانجلاء هذه السحابه فانى يعلم الله ظمآن الى خبر بديل فرحى على غمى ويهزم بسرورى عساكر همى فما أسرع خبر السوء حتى كأنه يخب وما أبطأ خبر السرور حتى كأنه يدب وما أولع الدهر بهدم ركن الفضل وثلم جانب العقل وما أسرع الأيام الى الكريم فيما يضره والى اللئيم فيما يسره وما أبين مجانسة الدهر لأهله وأكثر مناسبته للجاهل فى جهله وما أشد غيظى على فلتات الأيام فى الكرام وعلى نفحات الأرزاق فى اللئام وما أشوقنى أن أسمع من أخبار تلك النفس النفيسة ما أبكى له طربا كما ضحكت من ضدته عجبا والى الله تعالى أشكو حالا ضحكها سخريه ومجازوعاريه وبكاؤها حق وحقيقه واياه أسأل أن يفنى مدة النقص فقد طالت ويضع من غرة الجهالة فقد استطالت ويعيد للفضل الكره ويزيل عنه الفتور والفتره ويصب فى سمعى من خبر انحسام دواعى هذه المحنة ما يعيد شبابى الذى ولى ويطرد شيبى الذى تجلى فحق لمن شاب من سماع ما يسوءه أن يشب من سماع ما يسره وحق لجسم هدمه الغم الامس أن يبنيه الفرح اليومى وحق للدهر أن يكف فقد بالغ فى العقاب وتناهى فى العتاب وحق لصروفه أن تنصرف فقد أشفت وشفت واكتفت وكفت وزادت على ما فى الامكان وأوفت وحق لها أن تخاطبها بقول ابن المعتز

يا محنة الدهر كفى * ان لم تكفى فخفى
قد آن أن ترحمينا * من طول هذا التشفى

على أنى أرجو أن يكون فى طى هذه المحنة من الصالح ما يغمض مسلكه ويخفى مذهبه وأن يكون أقل ما يكسبه الشيخ فيها ويستفيده منها تمييزه عارفه من اخوانه والوقوف على من لا يصادقه

الا بصداقة زمانه واذابة المغشوش من الدعوى بنار الاختبار والبلوى كما قال البحترى وصدق فى المقال

لئن ثنى الدهر من عزمى فلم يصل * وكف من يدى الطولى فلم تطل
لقد حمدت صروفا منه عرفنى * مذمومها عقبا محمودة لى ولى

ومما سرنى فى الشيخ أن المحنة لم تثلم جوانب جلادته وأن طول مدة الذلة والقلة لم يعتصر ماء احتماله وصلابته وأن الوحدة والوحشة لم تقدحا فى لسانه وقلبه ولم يظهر أثرهما على صفحات ثباته وعزمه وأنه لم تصفر على تلون الزمان نفسه ولم يلن على أكف أعدائه مسه وأنهم كبتهم الله تعالى وان توصلوا الى تغيير نعمته فقد عجزوا عن تغيير همته وان تطرقوا الى كيده باطنا فقد اضطروا الى تبجيله والتملق له ظاهرا وقد قيل فى ذلك لعلى بن الجهم

وما المكر الا للنساء وانما * عدوك من أشجاك حين تصارمه

حتى اجتلت عنه غبرة العواقب والعرض نقى والقلب بالله تعالى قوى والفضل بحمد الله تعالى مرضى والنفس تلك النفس الا ما نقص من مال وتضعضع من حال والجملة تلك الجملة لا الرخاء أكسبها بطرا ولا البلاء أورثها ضجرا ولا أساء مجاورة النعمة فتطاول ولا مجاورة المحنة فتضاءل والحمد لله الذى كشف عن مقداره فى ميزان الاختبار والابتلاء وأظهر عن حقيقته وكيفيته فى مرآتى الرخاء والبلاء والأيام مرآة الرجال والاطوار معيار النقص فيهم والكمال والعثرة بعد الدولة تخرج خبث الاخلاق وتكشف عن مقادير الاصول والاعراق ثم الحمد لله الذى ابتلى فى الصغير وهو المال وعافى فى الكبير وهو الصيانة والجمال وقد قيل ما يليق بهذا الحال من حسن المقال

ولا عار ان زالت عن الحر نعمة * ولكن عارا أن يزول التجمل

المال أيدك الله حطام ينقص ثم يزيد وظل ينحسر ثم يعود والشيخ يقضيه قول أمير المؤمنين رضى الله تعالى عنه قيمة كل امرئ ما يحسنه أنت أيدك الله أغنى أهل خوارزم يوم تصير أفقرهم وأكبرهم ساعة تظن أصغرهم وهو الوزير يوم يعزل والمصون ساعة يبتذل والكثير بنفسه وان انفرد عن غيره والمستأنس بفضله وان استوحش من دهره

ان الامير هو الذى * يضحى أميرا يوم عزله
ان زال سلطان الولا * ية كان فى سلطان فضله

﴿وكتب الى أبى على البلعمى لما فارق الحضرة وورد نيسابور﴾

كتابى الى الشيخ وقد أمضت الأيام فى حكمها وأنفذت فى صبرى وتجلدى سهمها والحمد لله على كل شئ الا على غيبتى عن الشيخ فانى أخشى أن أزداد منها اذا حمدت الله لها حيث انتهت بى المحنة بعد فراق الشيخ الى غاية ليس بينها وبين الموت مجاز ولا وراءها للبلاء مجاز حتى لقد ركبت غير دابتى وأكلت غير نفقتى ونزلت بيتا بكراء وأكلت خبزا بشراء وحرمت العنبى وشربت الزبيبى ولبست الصوف فى الصيف والتوزى فى الخريف وكوتبت مواجهة وخوطبت بالكاف مشافهة وأجلست فى صف النعال أعنى أخريات الرجال وناظرنى من كان يدرس على وخالفنى من كان يختلف الى وحتى لقد نشزت على جاريتى وحرنت على دابتى وتقدمنى فى المسير رفيقى الذى

الذى جمعنى وإياه طريقى وحتى انى أخذت الدرهم الجيد فصار فى يدى ستوقا وقطعت الثوب المشترى فصار على بدنى مسروقا وغسلت ثيابى فى تموز فغابت الشمس وطلع السحاب وسافرت فى حزيران فعصفت الريح وسد الأفق الضباب وفقدت كل شئ ملكته غير عرضى الذى عهده الشيخ معى وصبرى الذى عرفه منى ومن لم يكن على المحنة صبورا لم يوجد للنعمة شكورا ومن لم يحتقر سوء ما يلى لم يحمد حسن ما يولى أنكر الشيخ عزوف نفسى عن مواقف البذله وصعوبة جانبى على من جرنى الى مظنة الهوان والذلة ولأدب سلطان ينسى هيبة السلطان ولطول العشرة دالة تقيم الملوك مقام النظراء والاخوان ولاذنب الاوله فى العفو ساحة عريضه كما أنه لاذنب الاوله من العذر مسافة قصيره وانما المدار على الرضى فانه يقرب البعيد وعلى الغضب فانه يبعد القريب اللهم الله رؤساءنا عنا الرضى وأتمم لهم باحسانهم الينا الحسنى قد علم الشيخ أنى مذ كنت لم يسم خدى عذار الهوان ولم يوضع على رقبتى نير التبذل والامتهان ولم تطرق الأيام حريم عرضى فتنتهكه ولانالت ستر صيانتى فتهتكه ولاماء وجهى فتسفكه ولقد اخترقت البدو والحضر ودخلت ديار ربيعة ومضر فما رأيتنى بحمد الله تعالى أؤخر عن رتبه ولا أخلف عن الغاية فى موطن رغبة أو رهبه ومعى اذ ذاك سكر الشباب وذل الاغتراب والقوم قد باينونى بالنسبه وفارقونى بالتربه وان عرضا صنته فى غير مظنة الصيانه لجدير أن لا أهينه فى غير موضع الاهانه فقد يبتذل الشاب ويقول أتصون اذا شبت ويمتهن الغريب ويقول أتعزز اذا أبت فما عذر من يحتمل الذل وقد رجع الى الوطن من الغربه وخرج من حد الشبيبة الى الشيبه وهل وراء الغاية منزله أم هل بعد الشيب الى الموت مرحله ورد على كتاب سيدى يدعونى ومثلى لا يجيب داعى القول دون أن يصدقه داعى الفعل وبالجملة انا قد تفارقنا على حالة فان كنا عليها والتقينا فيها فآخر التلاق أول الفراق ولا يربح من هذا اللقاء غير تجرع فراق جديد وتولد حزن شديد والمرة من الفراق مرة فكيف المرتان والسهم منه نافذ فكيف السهمان وان كنا تغيرنا عن ذلك الخلق ومشينا فى غير تلك الطرق فيجب أن ندل على ذلك بالأحوال لا بالأقوال والشيخ خليق أن لا يفل سيفا شحذه ولا يضيع علقا اتخذه ولا يعطش زرعا سقاه ولا يميت خاطرا أحياه ولقد أرخيت عنان خطابه وأوسعت ذرع عتابه ولكن لا خير للشيخ فيمن لا يحمى عرضه ولا يسخو ببعضه الا اذا أفسد بعضه ويد الشيخ أطول من لسانى وأمره أمضى من قلمى وبنانى فليملنى لين مسها وأنا بعيد كما نالتنى خشونتها وأنا قريب وليعلم أنه متى أراد بى خيرا أرجف لى به الناس وحملته الى الانفاس وكان أول رسله الى عزمى المتذبذب وقلبى المتقلب وفى الارض متحول وعلى الله المعول

﴿وكتب الى أبى محمد العلوى﴾

بكتب الأنام كتاب ورد * فدت يد كاتبه كل يد
يخبر عن حاله عندنا * ويذكر من شوقه ما نجد

ورد كتاب السيد أطال الله بقاءه وأجزل من كل خير قسمه ووفر منه سهمه وجعل أمسه يحسد يومه ويومه يحسد غده فرتع الطرف منه فى روضة ممطوره وحلة منشوره ولآلى بل فرائد منثوره

وجال منه الخاطر فى حكم لا تعرف ولا تجهل وفقر لا تترك ولا تستعمل وفصول يحسد عليها الخاطر الناظر عند الرؤيه ثم يحسد عليها الناظر الخاطر عند الرويه وجملات أنافس فيه البياض الذى يحتوى عليه وأغبط به المداد الذى جرى فى طرفيه وأتمنى لو كانت أعضائى كلها نواظر تبصره وخواطر تتذكره وألسنة تكرره على شريطة أن يكون الناظر لا يمل لحظا والخاطر لا يكل حفظا واللسان لا يزل لفظا فسبحان الله كيف جعل محاسن القول والفعل الى السيد محشوره وعليه دون الأنام مقصوره وكيف لم يرض له بأن يسود العالم شرقا ونسبا حتى سادهم علما وأدبا وكنت أعتقد أن الكتابة سوادية ونبطيه فأنا الآن أعتقد أنها خراسانية وعلويه وكنت أرى أن المحاسن فى الناس متفرقه وأنا الآن أراها فى واحد منهم مجتمعه وكنت أحسب قول الحكمى

ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

كلام مسهب ومداق متكسب حتى علمت الآن أنه قال ما لا يمتنع امكانه ولا يتعذر وجدانه وليت شعرى ماذا أقول فى هذا الكتاب وقد سد على مسالك الصفات وحمى على قلبى ولسانى موارد التشبيهات فانى ان وقفت وقد أجريت لسانى وتوسطت ميدانى دلت على عرقى فى الكوادن وانسلخت عن عامر بلنيه السيد بشهادته لى من المحاسن وان جريت وقد سد على توسعه أنفاس بيانى وافترع دونى أبكار الألفاظ والمعانى ناديت على نفسى بأنه السابق وأنا اللاحق وشهدت له على بأنه المسروق منه وأنا السارق ولكن الحازم يختار خير الشرين ويرجح بين المتماثلين وأنا أستخير الله تعالى وأعدل عن الأولى الى الأخرى وأقول هذا الكتاب أحسن من كل حسن الامن وجه كاتبه ومن خلق صاحبه وأغرب من كل غريب الامن السيد فى زمان لا يسع فضله ولا يقتضى مثله وأعجب من كل عجيب الامن قيامى أعزنى الله مقام المجيب عن كتاب أقصى غايتى أن أدريه وأوسع حظى وهمى أن أرويه وأنور من كل نير الامن أوقاتى بلقاء السيد فانها أوقات أيامهن قصيرة * وسرورهن طويل وسعودهن طوالع * ونحوسهن أفول وأجل من كل جليل الامن مقدار أوبة السيد الى بلده وحالى بأوبته عاطل بغيبته عامر به وان خلا من سواه خراب منه وان جمع العالم الا اياه وتعرفت فيه من خبر سلامته أدامها الله ولى به ما أوجب على صيام أيام دهرى وقيام ليالى عمرى على شريطة أن تكون الأيام فى طول يوم يزيد ابن الطثريه والليالى فى وزن ليالى النابغة الذبيانى أردت قول ابن الطثرية (ويوم كظل الرمح قصر طوله) وقول النابغة (وليل أقاسيه بطىء الكواكب) لا بل على شريطة أن تكون شمس النهار كشمس ذى الرمة التميمى ونجم الليل كنجم العباس بن الأحنف الحنفى أردت قول ذى الرمة (والشمس حيرى لها فى الجو تدويم) وقول العباس بن الأحنف

والنجم فى جو السماء كأنه * أعمى تحير ماله من قائد

لا بل على شريطة أن تكون صفة الليل كما قال خالد الكاتب (وليل المحب بلا آخر) وصفة النهار كما قال الآخر

ويوم كأن المصطلين بحره * وان لم يكن جمر قعود على جمر

ولئن أصبحت كل أيام الزمان صائما وكل لياليه قائما شكرا لله تعالى على سلامته ثم تصدقت بعد

ذلك

قوله والنجم الخ فى بعض النسخ هكذا * والنجم فى كبد السماء كأنه * أعمى تحير ما لديه قائد

ذلك بعدد نخيل البصره وآجر الكوفة بل بعدد رمل الدهناء ونجوم السماء بل بعدد العالمين وعدد نبات الأرضين بل بعدد قطر كل بحر وتربة كل بر وسراب كل قفر وحوادث كل دهر وخواطر كل صدر بل بعدد فضائل علي الوصي ومحن محمد بن العباس الطبري فانها أكثر من الكثير وأكبر من الكبير لم أكن وفيت النعمة على مهرها ولا قدرتها حق قدرها ولا بلغت غورها ولا أديت شكرها ولا وفيتها بعض قيمتها ولا عشرها الا أني لما عرفت قصوري عن قضاء الحق ووقوفي دون أدنى مسافات المجهود والطوق قلت كلمة جعلها الله ثمنا لجنته ورضي بها ثوابا من نعمته وهي الحمد لله رب العالمين وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله الطيبين وعدني السيد من سرعة رجوعه عدة أخشى أن يحمله لؤم دهره على الرجوع فيها وأن يعلمه نكد أيامه تنغيص السرور بها فان الدهر بئس المعلم لبنيه وبئس المثال لمن يحتذيه وعهدي بالسيد لا يرجع في هبه ولا ينظر في أعقاب صله ولا يندم على حسنه اللهم الا أن أكون أصبت كرمه بعين حبي له وعجبي به فان عين الاستحسان آفة من آفات الاحسان وفرط عجب العاشق بالمعشوق باب من أبواب التغير والتنكر وسبب من أسباب التنقل والتحول وأنا والله أتهم على السيد عيني وان كنت لا أتهم قلبي وأرضى اودته نيتي وان كنت لا أرضى لها طاقتي

لي لسان كأنه لي معادي * ليس ينبي عن كنه ما في فؤادي
حكم الله لي عليه فلو أنـ * ـصف قلبي عرفت قدر ودادي

قرأت الفصل المسجع فشغلني الاقتباس منه عن الجواب عنه ولقد عمد السيد الى كل سجعة مختبئة في زاويه ملقاة في ناحيه فألجمها بلجام وقادها بزمام وغبر بها في وجه سجعي الملرق وكلامي الملفق وضربني ضربا آلم الخاطر وان لم يجرح الظاهر ونكأ في الفهم وان لم يؤثر في الجسم وأوجع الضرب ما لم يكن معه البكاء وأشد الشكوى ما لا يخففه الاشتكاء ومن بلغ من البلاغة مقداره واقتدر على التصرف اقتداره وأحسن أن يسيء في معرض الاحسان وأن يعطي في أثناء الحرمان وأن يمدح مدحا حقيقته هجا ويظهر رضا باطنه سخط فها أنا أيد الله السيد وقيذ التلي والقدامه وجريح الخبل والندامه اذا اشتهيت لقاءه لشوقي اليه وتلهفي عليه آثرت غيبته لحيائي منه وقصوري عنه فويلي من فراقه اذا نأى وويلي من لقائه اذا وافى كما قيل يا غيري مقبله ويا مهري مدبره ولكن

بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على أن قرب الدار خير من البعد

عجل الله تعالى أوبة هذا السيد على حالة تحكي وجهه ضياء وخلقه سناء ومجلسه بهاء وقدره علاء وعقله صفاء وقلبي له نقاء وودي له بقاء ونيتي فيه استواء وتراب تشيعي له ولاهل بيت هو فيه زكاء وغناء وأراني الله تعالى فيه من الصنع الجميل ما يستغرق نثر كل ناثر ونظم كل ناظم وشاعر ويقع وراء ذكر كل ذاكر وشكر كل شاكر ولا زالت أيامه تصبحه بكل فتح وتمسيه بكل نجح وتلاقيه بسعد وتصافحه بجد وتزوره بجد وتودعه بحمد لياليها أسحار وظلماتها أنوار وطوال أوقاتها قصار

ان الليالي للانام مناهل * تطوى وتبسط بينها الاعمار
فقصارهن مع الهموم طويلة * وطوالهن مع السرور قصار

وما أرضى للسيد دعائي بأن يخرج عن مقدار همتي وينزل على حكم قدري وقيمتي ولكني أقول جعل الله تعالى رزق سيدي في سعة همته وماله في كبر قيمته وعيشته في حسن شيمته ونعمته في كثرة نعمته ليكون دعائي له مداخلا ومدحي له مقابلا وذكري له بالجميل من كل أطرافه معما ومخولا ولتكون أقسام وصفه متعادله وأجناس فضله متماثله ذكر السيد أنه كتب جواب كتابي من وقت الظهر الى وقت العصر ولقد استبطأته مع ما أعرفه من بعد غوره وغزارة بحره ولكني أغلقت لهذا الجواب بابي وأرخيت له حجابي وضممت الي نشر كتب آدابي وجلست من الدواوين بين آل الجراح وآل ثوابه وبين بني الحصيب وبني مقله ونشرت من المقابر آل يزداد وآل شداد وحشرت من الآخرة ابن المقفع البصري وسهل بن هرون الفارسي وابن عبدان المصري والحسن بن وهب الحارثي وأحمد بن يوسف المأموني ووضعت عن يميني عهد اردشير بن بابكان وعن يساري كتاب التبيين والتبيان وبين يدي فصول بزرجمهر بن البختكان وقبل ذلك رسائل مولانا الصاحب عين الزمان وزين الشيب والشبان فما زلت أسرق من هذا كلمه وأطر من ذاك فقره وأستعير من هناك نادرة وثيقه أغصب الاحياء على بيانهم وأنبش الموتى من أكفانهم وأنا في أثناء ذلك رطب اللسان بالدعاء رطب العين بالبكاء أدعو الله بالتوفيق والتسديد وبالعصمة والتأييد وأسأله أن يحفظني من نفسي فانها أعدى الاعداء ومن عجبي فانه ادوأ الادواء ثم قمت فصليت ركعتين ختمت في كل ركعة منهما ختمتين واستعذت بالله تعالى من الشيطان الرجيم وقلت بسم الله الرحمن الرحيم وابتدأت فسوّدت هذا البياض كله ثم نظرت فاذا أنا قد تعبت وحبط العمل وأنفقت مالي وجح الجمل السيد أبو الحسن أكثر الله في آل أبي طالب مثله ولا سلبهم جماله وفضله فان كون مثله في آل أبي طالب رغم لانوف النواصب وهيهات لقد أعظمت غلطا وسألت الله شططا فنحن معاشر الشيعة أنحس وحظنا من الاقبال أبخس من أن يفلح في الدنيا طالبي أو يشقى فيها ناصبي ومن حصل مثل السيد والدا فقد حصل المجد تالدا وحق ان كان السيد أباه أن يكون الكرم أخاه فيستويا بالانتماء اليه في الميلاد وان اختلفا في الولاد فهذا بضعة من خلقه وهذا شعبة من خلقه ومن استقى عرقه من منبع النبوه ورضع من ثدى الرساله وتهدلت أغصانه على نبعة الامامه وتبحبحت أطرافه في عرصة الشرف والسياده وتفقأت بيضته عن سلالة الطهاره وتناول المعالي بيد طويله وأجرى اليها عن غاية قريبه لم تستكبر منه حسنة وان كبرت ولا استصغرت منه سيئة وان صغرت فأمتع الله هذا السيد بهذا الولد الذي لو لم ينتم اليه قولا لانتمى اليه فعلا ولو لم نعلم ولادته من طريق الضرورة لعلمناها من طريق القياس والفكره فان لسان الشبه ناطق وشاهد النجابة عدل صادق وقد تكرم الاعراق فتخون الاغصان وقد تسبق الشيوخ فيتخاف عن مضمارهم الشبان ولكن

بنو طاهر زينوا طاهرا * كما زان آباءه طاهر
وكم من أناس لهم أول * وليس لاولهم آخر

طوّلت على السيد بكلام أسفيد بايجي قليل الطعم منحل النظم والعي داعية الى التكرار والاختصار يمشي في طريق الاقتدار فان رأى السيد أن يعير هذا الهذيان أذنا واسعه ونفسا صابره ويتضاحك

له

له تضاحك المعجب به ليغلط به العامة وان عرفته الخاصة فعل

﴿وله الى تلميذ له كتب اليه قصيدة يسأله نسخة قصيدة مما أحدثه﴾

وصلت القصيدة الغراء الزهراء فكانت أرق من الماء بل من الهواء وألذ من الصهباء وأسر من اللقاء بين الاحباء ومن هجوم السراء غب الضراء وأعذب من مغازلة النساء ومن مجالسة الندماء ومن مساعدة القضاء ومن معاقرة الشراب على الغناء ومن استماع فوائد الحكماء وخطب البلغاء وقلائد الشعراء ومن أخذ جوائز الامراء وتحصيل مراتب الخلفاء فكانت معانيها أبدع من الوفاء وأعز من السخاء وأغرب من النصفة في الاصدقاء ومن الامانة في الشركاء لا بل أغرب من المغرب العنقاء وألفاظها أحسن من البدر في الظلماء وأطيب من وصال الحسناء ومن افتراع العذراء ومن الشماتة بالاعداء بل كما قالت الست سكينة بنت أمير المؤمنين الحسين رضي الله عنه كنت أحسن من السماء وأعذب من الماء لا بل كانت أهنأ من الشفاء بعد الداء ومن الرخاء عقب البلاء ومن النعماء في أثر البأساء ومن استجابة الدعاء وتحقيق الرجاء وفتحتها عن وشي الوشاء وعن الروضة الغناء لا بل نشرتها عن الزهرة الزهراء وعن الغرة الغراء وعن الدرة العذراء ورأيتك نطقت بها وعن يمينك التأييد وعن يسارك التسديد ومن ورائك الجد السعيد واغا صنعتها صنع من طب لمن حب فاني أشهد أنك أطب من كل طبيب واني اليك أحب من كل حبيب واذا صدر الكلام عن صفاء ود ونقاء عهد وخرج من متفضل الى مستأهل حضره من التوفيق أذن واعيه وهمة كاليه وصحبه من التسديد أعين راعيه وقوى مراعيه ولم يكن للخطأ طريق اليه ولا للخطل مجاز عليه واغا ان القول ينسجه القائل على مقدار حصة من يهديه اليه ورغبته فيه وموضعه منه وأنت أيدك الله تحفني بما لا أستأهله الا على قدر حصتي من قلبك وموضعي من حبك ولو عاملتني على طريق المجازاه لا على طريق المحاباه لخرج لك على غلط كثير وحاصل كبير وقد حملت اليك نسخة كاملة قلتها فرضيت بها عن شيطاني وصالحت لها قلبي ولساني ولعمري لقد كانتها من جراب الدق وورثتها من كيس اللب وعبأتها من رزمة الخاصه ونسجتها على منوال النصيحه وقلبت لها يد التصفح والتخير ونشرت فيها صحيفة التدبر ونظفت طرقها من اللفظ المستبرد ومن المعنى المردد وصقلتها بدوس النظر وجلوتها بكف الفكر ووكلت بها من التمييز جفنا ساهرا ولحاظا باصرا حتى دارت في لولب النظافه وخرجت في معرض الظرف واللطافه وحتى بدت عروسا تفتن الناظر وتغطي المناظر

وحتى حذت حذاء الحضرمية أرهفت * وأجادها التخصين والتلسين

﴿وكتب الى حاجب الوزير ابن عباد وقد وردت عليه كتبه ثم انقطعت﴾

أما قصور أجوبة كتبي فاني لا أعاتب الحاجب عليه ولا أوجه الشكاية فيه اليه فانا ولا كفران لله تعالى في زمان يجب أن تجرى الجفاء فيه مجرى العادة والسجيه وننضعه موضع السنة بل الفريضة ونقيمه مقام الجبلة والشيمه فننظر الى حفظ العهد بعين الشماتة والطرفه وننزله منزلة الغريبة والنادره ونحكم عليه بنقض العادة وخلاف الجمله على أني مذ كنت أستثني الحاجب من غيره وأميزه بالفضل

وسائر خصال الخير عن أبناء دهره وأعتقد انى قد صممت يدي منه على ذخيرة ليس للزمان فيها عمل ولا عليها للحوادث والغير مدخل فان صدق ظنى فقد غرست فى أرض كريمة وبنيت مساعيّ على عـلة صحيحة غير سقيمة وان تكن الأخرى فعادة من عادات الايام وغلطة من غلطات الاوهام وعين عانية من عيون الجد وعارضة من عوارض الوفاء وصحة العقد وما خلوت منذ تفارقنا من نفس تتقد له الاضلع وذكر تفيض له الادمع ولا أنسى تلك الايام الطويلة القصيرة بصحبته والليالى المظلمة المنيرة بطلعته ولا أتفكر فى صغر حجم ذلك المقام وتقارب خطو تلك الايام الا أنشدت

لم أستتم عناقه للقائه * حتى ابتدأت عناقه لوداعه

واذا كان فى قصة الشعراء وفى شريطة الوصافين والبلغاء أن الوقت الطيب قصير وان لم يقصر كما أن غيره كبير وان لم يكبر فعلى هذا القياس ان أيامنا كانت قصيرة مرتين وقليلة من جهتين أما الأولى فقصر الامد وقلة العدد وأما الثانية فصفاء الوقت من الكدر ونقاؤه من وضر الحوادث والغير فسبحان من جعل محنتى زائدة على محن الناس وفاضلة على معايير العادة والقياس حتى ان نقصان أوقاتى السعوده وأيامى المحموده يحصل مثنى مثنى ورجحانها يحصل فرادى فرادى كما أن نحوسى لا تحب أن تجيئنى الاغريبة عجيبة ولا يمكنها أن تسلك طريقها الى حتى تقود جنيبه وصلت الرسالة والقصيدة وكانت الأولى ماء زلالا والأخرى سحرا حلالا وما منهما الا قريب شاسع ومطمع مانع كالشمس تقرب سناء وتبعد سناء وتنال ضياء وتفوت علاء وكالماء يرخص موجودا ويغلو مفقودا ورأيت فيهما من غرائب الرجحان ما نقض عادة الزمان حتى لقد قامت الحيرة منهما فى وجه علمى وحتى لقد توقفت بين فهمى ووهمى والآداب كلها زين وهى اذا تكافأت أزين والمعارف كلها حسنة وهى اذا تقابلت أجمل وأحسن والكتابة آلة عجيبة وهى من الشاعر أعجب كما أن الشعر صناعة غريبة وهى من الكاتب أغرب واذا ورد على من الحاجب كلام فضلته على ما قبله واستثنيت فى التفضيل ما بعده لعلمى انه قد امتطى من الاقبال مطية لن تقف به الا على الغايه وسلك من السعادة طريقا تؤديه الى الزياده وابتدأ فى وظيفة من الجمال لن تختم له الا بأقصى مراتب الكمال وأنا أسأل الله تعالى أن يجعله فى هذه الصناعة نجما يهتدى بأثره ودليلا يورد بورده ويصدر بصدره وأن يقيم الكلام علما يرمقه البعيد ويستدرى به القريب انه قريب مجيب والحمد لله الذى جعل الحاجب يضرب فى المحاسن بالقدح المعلى ويسمو فيها الى الشرف الأعلى ولم يجعل فيه موضعا للولا ولا محالا لالا فان الاستثناء اذا عرض فى الكلام أنضب ماءه وكدر نقاءه وصفاءه وأنطق فيه حساده وأعداءه ولذلك قالوا ما أملح الظبى لولا خنس أنفه وما أحسن البدر لولا كلف لونه وما أطيب الخمر لولا الخمار وما أشرف الجود لولا الاقتار وما أحمد مغبة الصبر لولا فناء العمر وما أطيب الدنيا لو دامت واستقامت

ما علم الناس أن الجود مكسبة * للمجد لكنه يأتى على النشب

(وكتب الى محمد بن حمزة رئيس خوارزم)

ورد كتاب الشيخ فأورد من السرور أضعاف ما كان فيه من السطور بل أعداد ما كان فيه من الحروف بل

بل أضعاف ذلك بألف بل ألوف وفهمته أمّا ما ذكره الشيخ من انثيال الناس عليه يستعيرونه نسخ كتبي اليه فاغا حملهم على ذلك عجبه بي فصار سببا لعجبه بكتبي وصار ذلك داعية للناس الى عجبهم بها وحاملا لهم على انتساخهم لها وهم في ذلك رجلان أمّا أحدهما فانه يتبرك باتباع رأيه والسير تحت لوائه وأما الآخر فانه يتقرب اليه بمجانسته و يتشرف بين الناس بمناسبته والا فهذه الكتب أيبس متونا واقل عيونا من أن يفخر بها عامل أو يرغب فيها مستعمل أو تشغل بها الاقلام والدفاتر أو يوقف عليها ناظر أو خاطر أو يحرص عليها كاتب أو شاعر ومما يحملني على التجوّز فيها وينهاني عن الاحتشاد والتكلف لها أني أصدرتها الى حضرة من اذا رأى سيئة ستر وغفر وعذر واعتذر وان رأى حسنة نشر وأظهر وقرر وكرر وفكر وصور وجعل الخمسة عشرة والعشرة خمسة عشر وسيرد كتابي بعد هذه الكرة الى الشيخ مشبع الفصول ضافي الذيول وافر القسم من العرض والطول فقد وافق مني هذه الكرة شاغر فصادأ وهن الآله وأورث الكلالة والملاله وعاجلني الفتح ملازما للباب مطالبا بالجواب مجاوزا باب المسئلة الى باب العتاب فكتبت وسرح البديهة عازب وماء القريحة ناضب

﴿ وكتب الى كاتب الرئيس بنيسابور ﴾

ليت شعري ماصنع بعد العهد بقلب سيدي هل غيره عما عهدته عليه من اقامة رسوم الودّ وتوثيق أطناب العقد أم أهب عليه رياح التنقل والتحوّل ومدّ اليه يد التغير والتبدّل فان ذلك صنيع الايام بالقلوب تقلبها يمينا وشمالا وتلونها حالا فحالا بل ليت شعري هل نسي سيدي من لا ينساه وسلا من لا يسلاه واستبدل بمن لا يريد الا اياه ولا يعتاض من لقياه غير ذكراه وهو صديقنا أبو بكر الخوارزمي الطبري أعزه الله تعالى أم هو على زعم ظني به وكذب وهمي عليه ثابت ركن الصفاء صافي شرب الاخاء حافظ على الغيب ما كان يحفظه على اللقاء فقد علم الله تعالى انه تقاسم قلبي هذان الظنان وتنازعني في علمي به هذان الطريقان فان ملت الى أوّلهما وهو أغلبهما عليّ وأقربهما اليّ ذهبت في القياس بالناس على الناس مذهبا شديدا ووقف بي سوء الظن بالزمان وأهله موقفا قريبا بعيدا وان ملت الى الثاني فسيدي أيده الله تعالى يستحق أن يستثنى من غيره وأن يحكم له بحكم يباين به أهل عصره وأن يكذب فيه الظن اذ انسبه الى مجانسة الدهر ويردّ له القياس اذا قضي عليه بمقارفة التلوّن والغدر وأنا الآن في هذه الجملة واقفيّ وعهده بي لا أتواضع لمذهب الواقفيه ومرجئ وما كانت تطمع في اقتناص مثلي شباك المرجيه فكيف أعاتب سيدي بل كيف أعاقبه بل كيف أخاصمه وأواثبه بل كيف أطاعنه وأضاربه وأقل ما جنيته على غيبته أني كنت معتزليا فصرت مرجيا وقاطعا على صحة مذهبي فعدت به واقفيا هذه أصغر جنايات فراقه عليّ وأقل صنيع وداعه اليّ ثم اني بعد هذا كله طويل الليل منذ فارقته بل قصيره وقليل الانس بعده بل كثيره أمّا طول ليلي فلتذكري طول غيبته وأمّا قصره فلقطعي له بتمني أوبته وأمّا قلة أنسي فلبعده عني الآن وأمّا كثرته فلتمثلي قربه كان ولتصوّري طلعته في قلبي وعيني ونظري اليه عن مرآة من هاجسي وظني على أني أرجو أن خطو أيام الفراق قد قصر وأن

بمها قد صغر وأن سيدي وارد قبل أن يبرني بالجواب عن هذا الكتاب ولعمري لئن ورد على قبل أن يكتب الجواب لقدر الكاتب وان عق الكتاب فيكون قدر بالكبير الكبير وعق بالصغير الصغير ولأن يونس عيني بلحظه أحب الى من أن يونس سمعي بلفظه وان كان كلامه في نفسي ماء زلالا وفي أذني سحرا حلالا وكلام الحبيب حبيب وكل شيء من القريب قريب قال جرير

ان البلية من عل كلامه * فانقع فؤادك من حديث الوامق

وقال غيره واذا كرهت فتى كرهت كلامه * واذا سمعت غناءه لم أطرب

أردت مكاتبة الرئيس ثم أشفقت على سمعه أن أملأه بالكلام الغث وعلى ناظره أن أشغله بالخط الرث ورأيت رشاء بلاغتي أقصر وقيمة ألفاظي التي فيها أقل وأحقر من أن أعرضها للنظر وأمرها على سمعه وبصره وأتعرض بها لحظة أسلم طرقها طريق العذر وآمن مسالكها مسالك التغافل والستر ومن فطن لعيبه فقد استتر ومن عرف ذنبه فقد اعتذر ومن مد يدا قصيرة ليتناول بها غاية بعيدة فقد استهدف لسهام التوقيف وقعد على قارعة التقريع والتعنيف وسيدي يعتذر عني اليه ويقرأ سلامي عليه ويعرفه عني أني أعد نيسابور رستاقا اذا غاب عنها وأعد الرساتيق قصبة اذا أقام فيها واني لا آنس بشيء اذا غبت عنه كما لا أستوحش من شيء اذا قربت منه والله تعالى أسأل أن يرد على نيسابور بقدومه بهاءها ويعيد اليها بطلعته سناءها وضياءها ويجلي بشمسه ظلماءها وأن يجعل نعمته عليه ألوفا لا عزوفا فان النعمة اذا ألفت قرت واذا عزفت فرت لانها لا تألف الامكانا تتزين بنزوله ولا تقيم الا على باب لا تأنف من دخوله ولا يطول مكثها الا في بيت للشرف فيه مجال وللمادح فيه مقال وللادب فيه مرح ولعصا الامل فيه مطرح فاذا أصابت مثل هذا المكان نفضت غبار الترحال ونسيت حديث الزوال والانتقال وخالطت خلطة الشركاء وواصلت وصلة الأقرباء وصارت من الاجداد الى الآباء ومن الآباء الى الابناء واذا كان نزولها في مكان هي فيه غريبة احتشمت حشمة الغرباء وانقبضت انقباض الاجانب البعداء وانقلبت الى الارتحال وأقامت بين الدلال والادلال ولم يكن مقامها الا عدد أيام وأضغاث أحلام وانما النعمة أنثى اذا أصابت كفؤا نكحت واذا صادفت غير كفؤ سافحت فهي تقيم مع أكفائها الشهر والدهر وترحل عن غير أكفائها الظهر أو العصر وأين يقع مقام الحليلة مع حليلها من مقام الحليلة مع حليلها ولئن ما أسسه الحق وبنته الشريعه خير مما أسسه الباطل وبنته البدعه والله تعالى يطيل بقاءه ويجعل من يحسده فداءه

وله الى أبي الحسن الحاكم بن أبي حاتم لما هرب من نيسابور الى بخارى بعد أن أرادوا القبض بها عليه وبعث خلفه فلم يجده

مازلت أنشد أيد الله الحاكم قول الأول

رب أمر تتقيه * جر نفعا ترتجيه

خفي المحبوب منه * وبدا المكروه فيه

فأنظر الى تنزيله ولا أقف على حقيقة تأويله وأرى ظاهره ولا أستشف باطنه حتى جرى من

خروج

خروج الحاكم ماجرى ووقى الله تعالى من المكروه فى ذلك ماوقى فعلمت حينئذ أن ألطاف الله تعالى تسرى الى عباده فى طرق خفية المذاهب دقيقة الجوانب وأن السلامة ربما نشأت فى معرض الخطر وأن الأمن ربما ظهر فى قالب الخوف والحذر وانا الشئ مما أمرنا أن نستعيذ من شر ماندرى ومالا ندرى وما كنت أشعر أن فراق الصديق يسر وأن الاجتماع معه يضر ولا كنت أصدق أن الداء يستحيل دواء ولا أن الدواء يجلب داء ولو رأيت فى المنام أنى فارقت الحاكم فلم تنفطر عليه كبدى حرقات ولم تذهب نفسى فى أثره حسرات لتعوّذت بالله من شر منامى وسألته العافية من طوارق أحلامى ولظننت أن تلك الرؤيا نتيجة فكر ردىّ وبخار خلط سوداوىّ وأنى انما دفعت فى منامى الى مثل هذا التخليط لأكل الباذنجان والقنبيط فانهما منابع السوداء على مذهب الأطباء والآن قد فارقت الحاكم وأنا ضاحك السنّ قرير العين قليل الحزن جلد على وقع سهام البين لانى نظرت الى العافية وهى متعلقة بذنب رحيله عنا والى البلايا وهى مشتملة على قربه منا فاخترت على مقامه رحيله وآثرت على قربه اعتمامى له وقلت ياعين الآن ترى فراق من تحبين خير من أن ترى فيمن تحبين ماتكرهين فالحمد لله الذى أفضى بى من المكروه الى أخفه وقعا وأقله لذعا وانتهى بى من المحنة الى غاية لم تستغرق أقصى امكان الدهر ولم تستوعب أبعد غايات التجلد والصبر ومانقص من الشر فهو زائد فى أقسام الخير وماوقع من المكروه فهو محبوب وان كره ظاهره ومحمود وان ذم عاجله وما كنت أحسبنى أعيش حتى أحمد الله تعالى على فراق الأصدقاء وأتكلم فى مواقف الضراء بماية تكلم به فى مواقف السراء ولقد أغرب علىّ الدهر وما كنت أظنه يغرب علىّ ويزيدنى من نوادره على مالدىّ هذا أيد الله الحاكم وقد بث الاعداء شباك الغدر ونصبوا حبائل المكر واستفرغوا فى السعاية جهدهم وأخرجوا أقصى ماعندهم فأبى الله تعالى وله الحمد أن يقع فى البئر الامن حفر وأن يحيق المكر السيء الاعن مكر وخرج الحاكم من غيابة تلك الأهوال خروج المشرق من الصقال وقد قذيت عنه عين الزمان وقصرت دونه خطوة الحدثان

اذا أذن الله فى حاجة * أتاك النجاح بها ركض

(اذا الله سنى عقد شئ تيسرا) والحمد لله الذى لم يرنى وجه الحق أسود ولا ناظر العدل والتوحيد أرمد ولم يشمت الناقص بالفاضل ولم يضحك من الحق سن الباطل ثم الحمد لله الذى جلا تلك الضبابه وقشع تلك السحابه وغسل عن وجهى وعن أوجه أهل الحق تلك الكآبه ثم الحمد لله الذى ختم للحاكم بالمصير الى حضرة عليها يترفرف الرجال وعليها تحوم الهمم والآمال واليها تنتهى الرغبة والسؤال فلا مجاز لهمة خلفها كما لامنتهى لها دونها ولا غاية لطالب قبلها كما لانهاية له بعدها وأرجو أن الدهر المحارب قد سالم وأن البخت المعاند قد سلم وأن مدة الفترة قد تناهت وأن غاية المحنة قد انتهت وأن عسكر النحوس قد عزم على القفول وأن نجم الهمّ قد آذن بالأفول وأنا بعد هذا كله أتعجب من كثرة قولى الحمد لله ثم الحمد لله وأقول هذا حمدى على فراق الأصدقاء فكيف حمدى على اللقاء وهذا شكرى على المحنه فكيف به على المنحه وقد كان مات لعبد الملك بن مروان ابن فقال الحمد لله الذى يقتل أولادنا ونحبه وأنا أقول الحمد لله الذى يفرق عنا اخواننا ونحمده

﴿وكتب الى وكيل الوزير ابن عباد باصفهان وقد ولى سوق الطعام بعنايته وهو أمى﴾

كتابى وقد علم الله تعالى أن أمرك مستول على أفكارى وشاغلى عن ساعات ليلى ونهارى فانك بصدد شغل ان كفيته لم تشكر وان عجزت عنه لم تعذر اذ كان الاحسان فى شرطك والاساءة غير مظنونة بك والذى أراه لك أن تقسم لكل ساعة حقا من نفسك وتصرف الى كل وقت طائفة من شغلك ولا تبيت ليلة الا وقد أتت وظيفة يومها ولا تمر بك ساعة الا وقد توفرت عليها بقسمها ولا تؤخر عمل اليوم الى الغد ولا تهمل نفسك فى شغل السبت الى الاحد فان الاشغال اذا تزاحمت أعمت الناظر وشغلت القلب والخاطر وبلدت الكافى والماهر وكيف مثلك وأنت أعزل اليد من سلاح الكتابه مصروف عن أعظم حظوظ الكفاية فاياك وتعريض مائى عند ولى نعمتى للنضوب ووجهى للشحوب واياك وتحصيل اسمى فى جريدة الادواء فيقال طاهر ذو اليمينين وعلى بن سعيد ذو القلمين والفضل بن سهل ذو الرياستين واسحق بن كنداج ذو السيفين وصاعد بن مخلد ذو الوزارتين وفى المتقدمين خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين وقيس بن مسعود ذو الجدين وابن الشريد ذو السهمين والنعمان بن المنذر بن ماء السماء ذو القرنين وكعب بن ماتع ذو الكتابتين وجعفر ذو الجناحين وعثمان ذو النورين وفلان ذو اليدين وفلان ذو الشمالين وفلان ذو البردين وعبد الله ذو النجادين وأبو بكر الخوارزمى ذو الغرامتين وذلك أنى ثقلت على ولى نعمتى فى حوايجى مره ثم أثقل عليه أخرى فى حوايجك ثانيه على أنه أيده الله واسع الحكمه طويل الخطوه كثير التوسع والمسامحة فى باب النوال مع السؤال وهو شديد الشكيمة ضيق الحكمة قطوف الخطوة فى باب الأموال مع العمال يسامح فى بدرة سائلا ويضايق فى حبة عاملا وكذلك الكريم يتسع من حيث السخاء ويضيق من حيث الوفاء ويبتذل ماله تحرجا ويحمى دينه تحرجا فلا تحملنى معه على خطة ان أجابنى منها الى مرادى أستوحش وان منعنى أوحش ولا تأمن السم باصفهان اذا كان درياقه بخراسان وفى هذا القدر اذكرى ان كان له قلب واعانة على من له لب م الاستاذ فلان أيده الله قد كثرت كتبى اليه وطال عرض صداعى عليه ولذلك لم أكاتبه فى هذه العلة التى عظم موضعها منى وجل خطرها فى قلبى وعينى ولقد اعتل بعلته الكرم وشكا بشكايته السيف والقلم وكسفت به شمس الادب وتزعزع له عرش العرب فاغماء له مثله تغير عالم وفساد أمم وخراب ممالك واضطراب ممالك وكرة للنقص على الفضل ودولة للجهل على العقل ووهن على العلم وأهله وفترة فى الكرم وحزبه والله يعيد بصحته الى الدنيا ضياءها ويرد على السحب ماءها ويجعل ما يستأنفه من عمره ويقتبله من عيشه مصفى من الغير منقى من الوضر وخالصا من كل خوف وخطر وصافيا من كل شوب وكدر ليكون ما مضى كفارة وما بقى نعمه سيدى فلان قد فطمنى عن عادته الجميله وارتجع ما كان عندى من عطيته الجزيله وقطع عنى كتبه التى كانت اذا وردت على حسدت على اسها يدى وعلى لحظها عينى واحتسب على ما زاده الله تعالى من رتبه ورقاه اليه من غايه ولعمرى لقد زاده الله تعالى جلالة قدر وكمله كمال بدر ولكن تلك الزيادة يحاسب عليها الأعداء لا الأصدقاء فأما من هو شريك فيها وآخذ بقسم منها فلا بل زيادة النعمه توجب زيادة الصدقه

وفضل

م قوله الاستاذ الخ هكذا فى الاصل بدون فاصل له بما قبله ولعله سقط والذى يظهر أن ما يأتى انه رسالة أخرى فى موضوع آخر تأمل وحرر اه مصححه

وفضل المال يقتضى فضل النوال والتواضع فى الرياسه احدى شباك السياسه فاقرأ أعزك الله سلامى عليه وعرفه أنى قد كنت رويت أبياتا والقلب غير مقسم الافكار والحفظ غير كليل الغرار فلما سلبنى الدهر ثوب الشباب ومزق على رداء الجمال والكمال نسيتها فلما عاملنى سيدى فلان بما ذكرته ذكرتها ولقد أحسن الىّ من حيث ردّ روايتى علىّ وان كان أساء بى من حيث ارتجع منى بره وجانس فى دهره وفديت من له فى أثنائه كل مساءة منه مسره وفى ضمن كل جفوة منه مبره ومن ان أحسن كان احسانه خالصا من كل شوب وصافيا من كل عيب وريب وان أساء كانت اساءته بالاحسان مشوبه والى غير جهتها مقلوبه والأبيات

كفى حزنا أن لاصديق ولا أخا * يفيد غنا لا يداخله كبر
والا التوى أوظنّ أنك دونه * وتلك التى جلت فما عندها صبر
فلا نال فوق القوت مثقال ذرة * صديق ولا أوفى على عسره اليسر
وماذاك الارغبة فى وصاله * والاحذارا أن يميل به الدهر

❊وكتب الى أبى القاسم الداودى أوّل ما افتتح مكاتبته❊

كتابى وعزيز على أن يجمعنى والفقيه بقعه أو تشتمل علينا جمله والمكاتبة فيما بيننا دارسة الأثر مهملة الورد والصدر وأشدّ علىّ من هذا أن أفتتح ذلك بسؤال حاجه أو أمزج ماءه وبهاءه بتكليف كلفه ولقد حاسبت على هذا نفسى وعاتبت فيه قلبى فرأيت أن جفاء يؤدّى الى البرير وأن ذنبا يسبب العذر عذر وأن حاجة حملت على طى بساط الحشمه وعمارة طريق المكاتبة والمباسطه حاجة عظيمة البركه محمودة التفصيل والجمله فعذرت نفسى أعزنى الله قبل أن تعتذر وغفرت لها قبل أن تستغفر ونسيت قول الاول

وما حسن أن يعذر المرء نفسه * وليس له من سائر الناس عاذر

حتى كأن هذا البيت لم يجر بين قلمى وكتبى ولم يسافر بين جنبى وقلبى وحتى كأنه لم أدرسه صغيرا ولم أدرّسه الناس كبيرا وحتى كأنى لم أر الديوان الذى فيه والشعر الذى هو بعض قوافيه والعجب أنى فى هذا الفصل بينما أنا اعتذر اذصرت أفتخر و بينما أنا أضع من نفسى لجنايتها اذصرت أعتدّ لها الحفظ اوروايتها وهكذا يكون من جمع جمع لبه و بنانه واسترله بتبيينه وبيانه بل هكذا يكون من جرى فى ميدان الكتابة وهو راجل ورمى فى هذه البلاغة وسهمه أفوق ناصل ثم نرجع الى حديث المكاتبة وانه لوكان الورق أغرب من السخاء والقلم أغلى من الماء فى وسط الدهناء وأقل من المغرب العنقاء وأعوز من الكمال فى النساء ومن الصدق فى الشعراء ومن ترك الرياء فى الغزاء والمداد أضيق من الانصاف فى الاصدقاء وحسن العشرة فى الندماء بل أضيق من أمانة الشركاء بل أضيق من خاطر أبى تمام حيث قال (قدك اتئد أفرطت فى الغلواء) حتى كأنه لم يقع على أحلى من هذا الابتداء لما كان لى عذر فى ترك مكاتبة الفقيه وبينى و بينه مسيرة ثلاث للبريد ومسيرة سبع للقافله هذا فى الظاهر فأما فى الحقيقة فبيننا ألف فرسخ بذراع الميل وخطوة الفيل فان الخطوة بين المتحابين فراسخ كثيره ومراحل طويلة عريضه مازلت أيد الله الفقيه أورد على قول عمرو

ابن أبي ربيعة المخزومي

يا أهل بابل ما نفست عليكم * من عيشكم الا ثلاث خصال

ماء الفرات وطيب ظل بارد * وسماع محسنتين لابن هلال

وأقول هل احسد أهل العراق على المنصرفين أو الوافدين أو على الرطب ٢ السابرى والتين الوزيرى والعنب الرازقى أو على فرشهم من ماء الساج والعاج وطرازهم بنوع الخز والديباج لا بل لا حسدهم على أن فيما بينهم مشهد أمير المؤمنين سيد الاوصياء ومشهد الحسين سيد الشهداء وهل احسدهم على أن أرضهم واسطة العمارة فى خط الاعتدال بين الجنوب والشمال وهل حسدهم على أن الرأى كوفى والاعتزال بصرى والخط أنبارى والحساب سوادى والتشيع عراقى وهل احسدهم على قراء الكوفه وعباد البصره وأبدال الابله وعلى من هاجر اليهم من الصحابه وتبع فيهم من التابعين وأبطال الأمة وما الذى خالف به الى أن حسدهم على ظاهر مشترك بين سائر البلدان أو على قينتين كسائر القيان بكل مكان فى كل زمان حتى حدثت نفسى بمناقضته وحملت خاطرى ولسانى على معارضته فنظرت فاذا أنا جالس تحت قول الطائى

نقضنا للحطيئة ألف بيت * كذاك الحى يغلب ألف ميت

اذا ما الحى هاجى حشو قبر * فذلكم ابن زانية تزيت

وتذممت من أن أعارض بلسان خوارزمى وعقل طبرى وخاطر أعجمى من لسانه عربى وعقله قرشى ونشوءه مكى وظرفه مخزومى فعدلت عن المعارضة الى المناقلة فقلت يا أهل هراة ما حسدتكم الا على ثلاث مشهد عبد الله بن معاوية الجعفرى فيكم وكون أبى القاسم الداودى منكم وحصول شراب الكشمش لكم وان بقعة خصت بالفقيه لوافرة القسم من الاقسام معلاة السهم من بين السهام غير عاتبة على الحظوظ ولا الايام فلا زالت البقاع ببقائه تضىء وتزهر والأيام بجماله تباهى وتفخر ولا زالت الفصاحة من لسانه فى مسكن لا تريد منه بدلا ولا تبغى عنه حولا ولا زال العلم يأوى منه الى ركن منيع وجناب مريع وأطال الله تعالى للمحاسن بقاءه ولا سلبه زينه و بهاءه وجعل من يحسده عليها فداءه

﴿وكتب الى تلميذ له كتب اليه رسالة وقصيدة﴾

وصل كتابك المبشر بخير فراقك عن علتك بشارة لو تصدقت لها بمالى وذبحت لها على وجه القربان أطفالى لكان ذلك صغيرا جلالا وسماحا مبتذلا وفى ضمنه القصيدة التى كبرت بل صغرت وقلت بل كثرت أما كبرها وكثرتها فالجلالة قدرها وعظم أمرها وأما صغرها وقلتها فلانها فى جريدة الشعر وحدها لا مثل لها قبلها ولا بعدها وفهمتها وتعجبت من اعتذارك بالعلة وما أرى هذه العلة زادتك الا رجحانا ولا نقصتك الا نقصانا ونقصان النقصان أول الرجحان كثر مدحى أيدك الله لما يرد على من نثرك وشعرك بل درك وسحرك حتى خشيت أن يحسب أنى أزف مدحى الى كل خاطب وأبذل شهادتى لكل طالب وأن يظن أنى أقارضك الثناء وأصارفك الجزاء ولا والله مالى للدنيا استحسان الا والى جنبه لى احسان وانى لضيق ذرع التزكية والثناء قصير خطا المدح والاطراء

والاطراء محاسب لقلبي اذا مال ولساني اذا قال لا أمدح الا ممدوحا بكل لسان ولا أرضى الا مرتضى في كل مكان ولا أقبل مدلس الفضل ولا أتبع مغشوش القول والفعل ولا يستفزني رعد كل سحاب ولا يستخفني طنين كل ذباب وسرعة الشهادة طريق من طرق الخفه وابتذال المدح والتزكية باب من أبواب الملق والذله والمجازفة بحساب المقال أقبح من المجازفة بحساب المال. لأن الغلط في المال سماحة وندى والغلط في المقال حماقة وغبا وأقصى غايات فوات المال أن يكون صاحبه فقيرا وادنى غايات فوات الصواب أن يكون صاحبه سخيفا حقيرا وبين الخسرانين نفس مديد وبون بعيد ومن لم يعرف صرف مابين النقصانين لم يعرف صرف مابين الرجحانين ومن لم يحس بنقص ماعليه لم يحس بفضل ماله ومن لم يحاسب نفسه سرا حاسبه غيره جهرا ومن لم يكبح عنان لسانه وقلمه بيد التأمل ولسان التبيين جمحا به الى غاية أولها انداماه وآخرها ملامه جعلنا الله ممن اذا تكلم لم يضع زمام كلامه في يد هواه واذا شهد لم يلق رق شهادته في عنق سخطه ورضاه وحشرنا في زمرة من اذا تكلموا كانوا غانمين واذا سكتوا كانوا سالمين انه أرحم الراحمين

﴿رجعنا الى حديث الرسالة والقصيدة﴾ نظمك أيدك الله تعالى أحسن من نثرك ونثرك أحسن من شعرك فكل واحد منهما عيار على صاحبه حسنا وجمالا ومثال له تماما وكمالا فالحمد لله الذي جعل بيانك متكافئ الشرف متعادل الظرف والطرف وجعل سماء محاسنك مقابلة لأرضها وبعض مناقبك منعوتة ببعضها ولو أنصفتك لأجبتك بقلمين ومدحتك بلسانين كما أنك تحسن الي من جانبين وتبرني من لونين ولكن الى غايته ينتهي المدد وعند طاقته يقف المجتهد فأما اعتذارك بالعلة من وقوفك دون الغايه وجريك في بعض الحلبه فأحسن من الحسن استزادتك منه وأجمل من الجميل اعتذارك عنه والكتاب مذوود يدور في العيون والافهام ويسافر بين الدوى والاقلام وفهمت الفصل في حديث المصيبة وانما كانت نازلة طرقت ثم مرت وشقشقة هدرت ثم قرت واذا قابلنا بين حسنات الدهر وسيئاته ووازنا بين طرفي ارتجاعه وهباته خرج له علينا حاصل كثير ولكن الانسان الى الشكاية أعجل وطريقها عليه أسهل ولقد أعطتني الأيام حتى صرت لا أحمدها اذا وهبت وأخذت مني حتى صرت لا أذمها اذا أخذت وسلبت

وفارقت حتى ما أبالي من انتوى * وان بان جيران علي كرام
فقد جعلت نفسي على النأي تنطوي * وعيني على فقد الصديق تنام

﴿وكتب الى رئيس سرخس وقد ورد عليه ابنه يعتذر من تقصيره اليه﴾

كتابي وقد كنت أخرج الى اخواني من عهدة تقصيري وأقرلهم بما في من عيب تفريطي وتعذيري وأعرفهم اني أقف في تعهدهم دون مقتضى حقوقهم وأخرج بما أريده في برهم الى عقوقهم حتى اتفق الآن من ورود فلان ما كشف عن غيبي وأبرز من عيبي ونادى على بأني صديق مقال لا صديق فعال وان مودتي مجازية لا حقيقيه ولسانية لا قلبيه وكان أقل ما يجب علي وقد حضر مثله في داري أن أنثر عليه صك عقاري ثم أعتذر اليه من قلة نثاري وأن أعتق في وجهه كل نسمة أحتويها وأحل له كل عقدة أتصرف فيها وأصبح صائما وأبيت قائما ثم أعتذ ذلك كله في جنب

قوله ولسان الحق في نسخة وبلجام التقى اه

قوله أولها الخ في نسخة أوائلها اسف وأواخرها ندم اه

الواجب هباء منثورا وقليلا لا محقورا ولقد كنت تذكرت وروده على ما رجوته وتمنيته ثم خفته واتقيته أما رجائى له فحب اللقياه وأما خوفى له فعلما بقصورى عن بلوغ رضاه وضعفى عن اقامة شريطة ما يقتضيه حبى اياه وكنت

كبكر تحب لذيذ النكاح * وتفرق من صولة الناكح

وأما ولدى فلان فقد كشفته عن جوهرة كريمه ودرة يتيمه وقلبته عن عقل كثير وأدب غزير وشعر يحسد به عليه الأعداء وتغبطه به الأصدقاء يلتقط بالأبصار ويخزن فى الافكار وقريحة أصفى من ماء السماء وأصح من الوفاء فهو بحمد الله على قرب اسناده وحدوث ميلاده شيخ قدر وهيبه وان لم يكن شيخ سن وشيبه ووالد من حيث الذكر والفخر وان كان ولدا من حيث العرق والنجر ومثل والده فلان خرّج فأغرب وأدب فهذب وولد فأنجب

(ان الأصول عليها ينبت الشجر) وليست النجابة فى هذا البيت موروثة عن كلاله ولا خارجة عن رسم وعاده أمتعنا الله بهذا الولد الذى سبق الأولاد وأحيا الآباء والأجداد وأرغم الأعداء والحساد وكتب اسمه فى حسنات الأيام بل فى حسنات الأنام كما كتب شعره فى محاسن الكلام وألهمنا من شكر نعمته به علينا ما نرتهن به بقاءها ونتملى معه بهاءها فان النعم اذا ارتبطت بالشكر أقامت وسكنت واذا لقيت بالكفران قامت فظعنت وأما أيام فلان عندنا فقد كانت أطيب من ليل المراد ولكنها أقصر من ساعات الأعياد ولكن

لم أستتم عناقه للقائه * حتى ابتدأت عناقه لوداعه

وما كان قدومه الا تهييجا للشهوه وتطرية للشوق والصبوه ونكاء للقرحة التى كانت تفرّقت بالصبر والسلوه وسبحان من جعل فراقه بالمن الرازى ولقاءه بالمن البغدادى وجعل مدة غيبته مشاهرة ومعاومه ومدة أوبته مسابعة ومياومه ولو أنصفنا الدهر لكانت مدة الفراق فى أوزان مدة التلاق وكان السم بازاء الترياق سألت فلانا عن جسم سيدى فى صحته وعلته وفى ضعفه وقوّته فعرفنى ما سرنى فلا زال صحيح الخلق كما هو صحيح الخلق وقوى الجسم كما هو قوى الدين والعلم وسليم الاعضاء كما هو سليم الود والوفاء ولا زالت أوقاته تتنافس بهاء وتتفاضل حسنا وضياء يومها فوق أمسها ودون غدها وقد كنت قبل لقاء فلان رطب اللسان بانشاد

متى يكون الذى أرجو وآمله * أما الذى كنت أخشاه فقد كانا

فلما فارقته صرت أنشد

صلى الاله على امرئ ودّعته * وأتم نعمته عليه وزادها

❊ وكتب الى صاحب البريدى بالرى كتبها من اصفهان ❊

قد كنت أحسب الفراق يسير الخطب هين الوقع قليل العبء والثقل خفيف الكل والظل حتى دهيت بفراق سيدى فعلمت من مقدار الفراق ما كنت جهلته ووجدت من شخصه ما كنت أضللته وعلمته من طريق المطالعة والمعرفه وانما كنت أراه من طريق التخييل والصفه وتذكرت قول جرير

لو كنت أعلم أن آخر عهدكم * هذا الفراق فعلت ما لم أفعل

ولكنى لو علمت أنى أقعد تحت أعباء الاشتياق وأتفسح تحت ثقل الفراق لصحبت سيدى فراشا أو ركابيا أو طباخا أو شاكريا ولو وسعت أكثر من ذلك لقلت أصحبه كاتبا أو حاجبا أو نديما أو صاحبا أو مغنيا أو ضاربا ولكنى أخشى أن يتفضل سيدى بقبولى وينشط لحضورى ويحملنى عند المشاهدة على شرائط المحبه ويتقدم الى بالخروج من العهده ويقول أيها المبرز علينا نفسه فى معرض الدعوى العريضة دونك فاكفف عما ادعيت أوفا كف فيما حكيت واضرب عما أظهرت وأبديت فاذا بسيدى أبى بكر أخجل من عذراء تكلمت ومن فوهاء تبسمت قد جلس على قافية الدهش والتحير وفتح جراب الخجل والتشور وحل لحييه خجلا وعبث بلحيته ارتيادا وذهلا وأخذ يتشاغل بالحديث عن السدى وعن الحسن البصرى وعامر الشعبى وينشد

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل * بسقط اللوى بين الدخول فحومل

اللهم انا نعوذ بك من مواقف الانخذال ومن سقطات المقال ومن دعاوى المحال سبحان الله ليت شعرى ما الذى جمح بى الى كل هذا الهذيان وما الذى حملنى أن أركض فى عرض هذا الميدان وما الذى مال بى من ذكر الاشواق ومن حديث الفراق الى كل هذا الحديث الغث والكلام الرث وهكذا من يركب الجواد وليس بفارس ويكاتب وليس بكاتب ويقرع باب صناعة لم يستوف حقوقها ولم يسلك طريقها ولم يختلف الى أهلها ولم تغبر قدمه فيها قد خرجنا الآن من هذا الميدان ورجعنا الى باب هذا اليوم والغربان وأنا والله أشوق الى سيدى منه الى احراز خصل المجد وتحصيل قصب الحمد بل أشوق اليه منه الى الاحسان الذى هو أخوه وشقيقه والافضال الذى هو شريكه ورفيقه بل أشوق منه الى أصفهان والى فراق خراسان بعد ما عاين من تفاوت أحوالها وسخافة رجالها وحقارة أعمالها بل عمالها ولو لم ير سيدى فيها من طبقات التخلف غير كاتب هذا الكتاب لكان كافيه فى هذا الباب المخلفون صانهم الله قد أنفذت رسولى اليهم وعرضت مالى وقليل جاهى عليهم فانقبضوا ولا ألومهم على ذلك بعد ما رأيت من انقباض سيدى عمن كان لا يخجل عليه علك خراسان وتاج أنوشروان وصرح هامان وطرازى قاشان وخوزستان بعد ما عرض عليه ما علك عرضا غير سابرى وبذله له بذلا غير مجازى والانقباض فى غير مكانه توكيد للحشمة وظلم للود والثقه وقطع لعلائق المباسطة والخالطه وكذا الانبساط فى غير مكانه استهداف للهوان واكتساب للمقت والشنآن وفتح لباب الهجران وتعرض لقطيعة الاخوان

وكتب الى أرد هل وقد ورد عليه خبر علته

كان ورد على خبر علة الشيخ وبلغنى مالم يبلغه شئ قبله ولا يبلغه شئ بعده وأردت أن أرسل اليه فى ذلك رسولا وأفرد نحوه فيه كتابا ثم رأيت فى قراءته للكتاب تعب ناظره وفى انتظار وصول الرسول شغل خاطره فابقيت عليه بقيا تحتها جفاه وراعيت حقه مراعاة فى أثنائها تغافل واغضاء وقد ورد الآن خبر افراقه من علته جعل الله ذلك آخر محنته وأول نعمته فكان سرورى بالأخرى فى وزان غمى بالاولى لا غم الله فى الشيخ أصدقاءه وحرس من الحوادث حوباءه ومن الغير فناءه ولا أرانى الزمان فيه ظفرا فان الزمان حديد الظفر لئيم الظفر دقيق النظر حلو المورد مر المصدر معين للئام على

الكرام والليالى على الايام ميلا منه على الضوء للظلام تقاطرت على كتب ثلاثة وفلان يذكر ماوجده لكتابى عند الشيخ من ايجاب ولحاجتى من اسعاف واطلاب حتى قلم عنهم أظافير الايام موقشع لهم ضبابة الاهتدام وأراهم من النجاح مالم يروه فى المنام وهذه نعمة أحتاج لها الى دهر أوسع من دهرى والى عمر أنفس من عمرى والى شكر أبلغ من شكرى فأما هذا الدهر وهذا العمر النزر فلا يسع أن أشكر فيه حرا اللهم ارزقنى زمانا أوسع من زمانى ولسانا أفصح من لسانى وبنانا أجرى من بنانى حتى أقضى بالشكر حقوق اخوانى فلا بذل الا بجود ولا جود الا عن موجود ولكن الدعاء غاية من ضاق امكانه ولم يساعده زمانه وقطعت عن مسافة همته خطوة جدته وبه يكافىء من قلت بسطته وعجزت مقدرته وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل الشيخ غاية لسؤال كل سائل ومثابة لأمل كل آمل ورحلة كل راحل وأن يجعل ألسنة أصدقائه مشغولة بشكر آلائه كما جعل قلوبهم مشغولة برجائه وأنفسهم مرتهنة بنعمائه ويجعلهم بل يجعل زمانهم بيهائه

❊وكتب الى يزيد صاحب سمرقند❊

صدر منى الى حضرة سيدى كتابان أحدهما عامى والآخر خاصى فلاجرم حرمت جواب الماضى ولم أرزق جواب الثانى وقد أنتظر غير ماجاءنى به الزمان وعارضنى به الحرمان لان الزمان لا يستحق منى حسن ظن ويستأهل أن أصيبه بعين مع ذنوبه الى التى اذا ذكرتها كانت غيبة سيدى أولها وانقطاع أخباره عنى وسطاها ولكن لانى كنت أظن أن سيدى يغالب بكرمه لؤمه ويهزم بيمنه شؤمه ويحولنى عن شكايته الى شكره وينقلنى من حربه الى صلحه فالحمد لله الذى جعل سيدى كأهل زمانه وان قدمه عليهم بفضله لاقرانه وأخرجه من وحشة الوحدة الى أنس الجماعه ونقله فى معاملته لى عن قبح البدعة الى حسن السنه لمخالطته بهم وشكوته شكايتى لهم وقلت فيه قولى فيهم فيا سبحان الله فى أى طالع ولدت وعلى أى بخت رزقت فحيثما أواصل أرى صدا وأينما أتوجه لا أرى سعدا قال عبد الله بن المعتز

قولا لمكتوم ياخير البساتين ❊ الحمد لله حتى أنت تجفونى

قد كنت منتظرا هذا لجئت به ❊ وليس خلق على غدر بمأمون

وأنا أقول قولا لمولاى فى الدنيا وفى الدين ❊ الحمد لله حتى أنت تجفونى

وقد صرت أناقض ابن المعتز فى شعره طربا منى على مخاطبة سيدى وذكره والطرب يرخى العنان ويبصر العميان ويجرىء الجبان ويجرى اللسان والبنان لازال ذكر سيدى يطرب اخوانه حتى ينطقوا وهم بكم ويعربوا وهم عجم ويفصحوا وهم غتم ولازال أصدقاؤه يعاتبونه على كتاب يقطعه وبر يمنعه طمأنهم الى فائدة من فوائد كلامه وحرصهم على غريبة من غرائب لسانه وأقلامه وأطال لهم بقاءه وصل أم صرم أعطى أم حرم أهان أم أكرم أنصف أم ظلم فلا خير فى حب لا تحتمل أقذاؤه ولا يشرب على الكدر ماؤه وانما العشرة مجامله لا معامله والمجاملة لا تسع الاستقصاء والكشف ولا تحتمل الحساب والصرف ولكنى انما أعاتب سيدى لا توصل بذلك الى حلاوة اعتابه وأخاطبه عالا أرضاه له لا تسبب به الى ما أرضاه من جوابه وأرجو أن الناس يغتفرون

سوء الابتداء بحسن الجواب ويعلمون أن الخطأ اذا سبب الصواب فهو ضرب من الصواب ليت شعري ما الذي ورد عليه سيدي من عمله وهل رأى صيدا أم قيدا أو وجد سعدا أم سعيدا ويا ليت شعري ما الذي استفاده بعدنا من الاخوان ووجده من ضوال المودة والخلصان وعهدي به يلتقط الاخوان التقاط الحب وينتقيهم انتقاء اللب ويدخرهم بين العين والقلب ويعدهم الكنز الذي لا عمل فيه للزمان والركاز الذي لا نصيب فيه للسلطان

﴿وكتب الى الوزير ابن عباد لما ورد باب جرجان لقتال الأمير قابوس بن وشمكير﴾

كتابي وأنا عما يترامى الي من أخبار نعم الله تعالى على الوزير في حله وترحاله وسائر متصرفاته وأحواله قرير العين قوي الظهر شديد الأزر راض من أفعال الدهر أسمع كل يوم بشرى وأحتمل للايام نعمى فاما أحوالي فمتماسكة ببقاء نعم الوزير علي وآثاره لدي فان فارقتني أمطاره فاكثر غدرانها ما نضب والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين قد كانت كتبي انقطعت عن حضرة الوزير صيانة لسمعه عن أن أقرعه بالكلام الوسط وشفقة على ناظره من أن أجيله في الخط السقط وعلما مني أني اذا قطعته على هذه النية فقد وصلته واذا جفوته فقد بررته حتى ورد علي الآن خبر حركته الى هذه الوجهة التي ركب اليها مطية الاقبال وجذب نحوها أزمة الآمال واستظهر عليها بعساكر الأيام والليالي فلم أجد بدا من الاذكار بنفسي التي اغما ارتبطتها لتلك الخدمه وأمسكت رمقها ببقايا تلك النعمه ولعمري اني لاعرض منها ما مارا كدا ومتاعا كاسدا ولكن الاستاذ الوزير بصدد حرب وعارض خطب والمحارب يحتاج الى طبقات الناس فيجعل الخاصة منهم عدة وعتادا والعامة حشوا وسوادا قد شمرت أيد الله الوزير ذيل المحارب ورفعت رجل الراكب وفارقت خراسان عزما وان كنت بها جسما واذا ورد علي له اذن طفرت الى عسكره طفرة تطوي المراحل وتأتي كل المناهل بعد أن حصلت من العتادة والعده والشوكة والشكه ما ينظم شرائط أوس بن حجر الاسدي ومزرد بن ضرار التغلبي قال أوس

واني امرؤ أعددت للموت بعدما * رأيت لها نابا من الشر أعصلا

وقال مزرد (وعندي للحرب العوان مهند) هذا غير ما عندي من العدة التي لم يصنعها غير الله صانع ولم يبعها غير الأيام بائع على أيد الله الوزير من انتقاء قبالي اليه اقباله درع لا تصديها الايام ولا تنفذ فيها السهام وعلى رأسي من واقية دولته مغفر لا تعمل فيه السيوف ولا تمر بطريقه الحتوف وبيدي من صنعه عنه وبركته قوس وترها الجد وسهمها السعد وفي عنقي من صقال نعمته سيف يقطع الآجال لا الأوصال ويهزم الأقدار لا الرجال وتحتي من نتاج شوقي اليه فرس اذا سرت به طار واذا وقفت به سار الشوق عنانه والأيام ميدانه والعجلة سرجه والسوط لجامه والعزيمة لببه وحزامه فان أذن لي الوزير في ورود عسكره المحفوف بجناح النصرة المكنوف بجوانب الدولة والكره رأى مني بحمد الله تعالى فارس ملء العين كما سمع مني عامل ملء الأذن فيعلم حينئذ أن اقباله خرج له تلميذا انتظم فيه فروسية اللسان وفروسية السيف والسنان ويكر في معركة الطعان كما يكر في معركة البيان ويثبت اسمه في جريدة العلماء والفرسان فان الاقبال ربما التقى طرفاه والكمال

وبما اعتدل جانباه والاحسان ربما تكافأت يمناه ويسراه واذا كان الوزير هو أستاذ فارس الميدانين وسابق الرهانين وكانت يده تخجيل قدح الكرم وتجمع بين السيف والقلم وتحذق آداب العرب والعجم ولم يكن القباء أليق به من الطيلسان ولا الدفتر فى يده أخلق من السيف والسنان فلا بد لنا معاشر تلاميذه من أن نرقى على درجه ونمشى فى نهجه واذا كانت حياته نفسها الله تعالى حياة أمه ونفسه صانها الله تعالى مقسمة من نفوس جمه فلا بد من أن تفديه أصحاب تلك النفوس بنفوسهم وأن يلقوا دونه السيوف بوجوههم بل برؤسهم وأن يخدموه فى مواطن المنايا كما خدموه فى مواهب العطايا وان يبذلوا معه مجهودهم قتالا كما بذل معهم مجهوده نوالا وأن يبتذلوا فيه النفوس الكريمه كما ابتذل فيهم النفائس العظيمه هذا واجب فى قضية الكرم والمجد لازم فى شريطة الوفاء والعهد على أنى أظن العدو اذا أظلته تلك الراية المنصورة يخطو خطوة أولها جرجان وآخرها خراسان تقليد الأوليه وجريا على وتيرة أبيه فانه أعقل من أن يقذف أمه ويخالف أباه ومن خالف والده فقد نفاه سيهزم ابن رجل طالما هزم وينهزم ابن رجل طالما انهزم ومن أشبه أباه ما ظلم

﴿وكتب الى كثير بن أحمد يعزيه عن ابنة له﴾

نحن معاشر أولياء الشيخ ومتحملي أعباء نعمته والمتسمين بسمة كلمته اذا صدئت قرائحنا وفسدت أذهاننا جلوناها بمجالسته وغسلناها عنها وضر التغير باتباع طريقته وسسنا أنفسنا بما نراه ونتعلمه من سياسته لبطانته ثم لرعيته واذا كانت الحال هذه فمن المحال أن نبيع على الشيخ ما اشتريناه منه وأن نجلب اليه ما جلبناه عنه وأن نقيم أنفسنا مقام المعلمين ونقيمه مقام المتعلمين وأن نحمل اليه مواعظ بذلة كلامه منها أبرع وبداية توقيعاته منها أبدع ولكن لا بد للمحب أن ينطق لسانه وقلمه بما يترجم به عن ودائع صدره ويعبر عن نيته وسره ولا بد لمن شارك ربيبه فى أيام الرخاء والمواهب من أن يشاركه فى أيام الغموم والمصائب ليكون قد خدمه فى النوبتين وتصرف معه على الحالتين وأثبت اسمه فى جريدة الشر كالمساهمين مرتين وبلغنى خبر المصيبة فاغتممت بها غمين ونفذت الى سهام الفجيعة من طريقين أما احداهما فهى أنى أغار على هذه الجنبة الكريمه وعلى هذه الدولة المستقيمه من أن تقذفها رمية الزمان أو تتناولها يد من أيدى النقصان وأما الثانية فهى أنى علمت أن الفجيعة اذا لم تحارب بجيش البكاء ولم تقاتل بالاذاعة والاشتكاء تضاعف داؤها وزادت أعباؤها وانما الغم سم ترياقه المباثه والموت خرق رفوه التسلية والتعزيه قال ذو الرمة

لعل انحدار الدمع يعقب راحة * من الوجد أو يشفى نجى البلابل

واذا كان لا بد من عين تصيب طرفا من أطراف الكمال ولا بد من عوذة يعوذ بها وجه الجمال فلأن تكون الواقعة فى الصغير خير من أن تكون فى الكبير ولأن يقع سهم الزمان على النسوان أمثل من أن يقع على الذكران فالحمد لله الذى جعل فى طى المحنة منحه ومزج بالترحة فرحه فستر عورة من حيث سلب أنسا ونزهه وكفى مؤنة من حيث جلب فجيعه وأبقى الكبير الكثير من حيث أخذ واحدة صغيره وجمل الوالد من حيث أثكل والده وهكذا تكون مصائب المقبلين المجدودين فان

الدهر

الدهر اذا اساءهم في القليل أحسن اليهم في الجليل واذا كاشفهم في الخفي المستور صانعهم في
الجلي المشهور والمدابير أمثالنا فانما تكون محنتهم صافية صرفا وخالصة بحتا والدهر يعلم أين
الزبون ومن المغبون وأنا أسأل الله تعالى أن يجعل المتوفاة لوالديها فرطا وأجرا وكنزا من كنوز
الجنة وذخرا وأن يجمع بينها وبين البتول فاطمة بنت الرسول صلوات الله عليهما وبين خديجة
الاسدية وآسية الاسرائيلية بنات الاكرمين وأزواج المرسلين صلوات الله تعالى عليهم اجمعين
وأن يحشرها شفيعا تقبل شفاعته وتقضي في والديه وأهل بيته حاجته ويعوض عنها الشيخ أخا لها
سوي الخلق والخلق شريف الفعل والعرق ليستوفي الشيخ في يومه أجر الصابرين وفي غده جزاء
الشاكرين وليكون قد قضى الله تعالى حق الربوبية من طرفي العبودية وأن تكون هذه
الحادثة خاتمة حوادث الزمان وساقة عساكر النقصان فلا يرى بعدها في تلك الدار الشريفة
الا موهبة مستطرفة وفائدة مستجدة مستأنفة حتى يشتغل بالتهاني عن التعازي وبالمدائح عن المراثي

﴿وكتب الى أبي محمد العلوي جوابا عن كتابه﴾

ورد علي كتاب السيد مبشرا من خبر سلامته بالبشرى التي تنسي كل بشرى وبالنعمى التي تلغي كل
نعمى وبالفائدة التي تنتظم فوائد الأولى والأخرى وفهمته ولما بلغت منه الى ذكر الاعتذار من تأخر
كتابه عني وشمول النعمة بأمثاله للناس دوني امتلأت عجبا وعجبا ورأيت لي في كل جارحة قلبا ورأيت
السيد قد سلك بي من التواضع طريقة قد رفعه الله تعالى عنها وجعله بنجوة منها وتكلف لي ما لو
تكلفته له لكنت سالكا طريق الافراط وراكبا مطية الغلو والاشتطاط وكيف به هو وروائعا
كلامه لنا معشر شيعته كنز وذخر وعز وفخر ومال وفر وكبر وكثر وحياة وعمر فكيف كتابه الينا
وسلامه علينا والرئيس اذا أعطى المرؤس فوق حقه فقد استرجع منه واذا باسطه بما لا يسعه
قدره فقد انقبض عنه والأشياء اذا أفرطت في الرجحان عادت الى النقصان ذكر السيد انه
لا يرضى لمكاتبتي عفو كتابته ولا ينزل فيها على حكم بلاغته وهذا كلام لولا أنه قد جرى به
بنانه ونطق به لسانه لقلت تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هذا
لقد جئتم شيئا ادا الكتابة أيد الله السيد صناعة مجانستي لها مجانسة النور للظلام ومناسبتي لها
مناسبة الاروى للنعام ولم أقرع بابها ولم أعلق أسبابها ولم أعاشر أربابها وأصحابها ولا ادعيتها
بقلبي ولا لساني ولا ادعاها لي أصدقائي واخواني ولا تمنيتها اذ كان التمني انما يتعلق بذنب الامكان
ويمشي في طريق الكيان ولا احتلمت بها اذ كان الانسان انما يتوهم وسنان ما يتفكر فيه يقظان
ولا دعوت الله تعالى بها لانه أمرنا أن نسأله ما لا ينقض العادة ولا يفسد التكليف والمصلحة
ولو كنت أجوز على نفسي شيأ منها لجوزته من طريق اتصالي بجانب السيد فان المواصلة ربما صارت
مقاربة والمقاربة ربما جلبت مشاركة ومناسبة وهب أن ذلك كان فكم وكم مقدار ما يتعلق بذيل
المعاير من دراهم الصيرفي وكم مقدار ما يتعلق بثياب الجليس من طيب العطار والصيدلاني وكم
يخصني من الكتابة على مجالسة السيد في كل أسبوع ساعة وعلى روايتي له في كل شهر كتابا
أو رقعة اللهم الا أن يكون السيد أراد بما ذكره رياضتي لأتهذب والتعريض لي بذكر الكتابة

لكنى أتهـكاتب فان هـذا باب من أبواب الحث والبعث وصنف من أصناف الرقى والنفث قد يقول الأستاذ لتلميذه أحسنت ياسيد الأدباء وأصبت ياواحد العلماء ليلحظه بذلك طعم التقدم وليرقيه فى درجات العلم بالتعلم فان كان السيد هذا أراد فقد بلغ المراد وها أنا بعد اليوم أقرع باب الكتابة وأتسلق على حيطان البلاغه وأجمع ما أقدر عليه من رسائل السيد فأحفظها صدرا صدرا بل سطرا سطرا وأردد كل واحدة منها خمس مرات بل عشرا فان خرجنى ذلك فالحمد لله الذى رزقنى ثم للسيد الذى حركنى وان تكن الاخرى (فمبلغ نفس عذرها مثل منجح) ذكر السيد أن اعتداده بى اعتداد العلوى بالشيعى والمعتزلى بالمعتزلى وأنا أقول مكافيا الامبار يا ومتابعا لامنازعا اعتدادى بما رزقنيه الله من اعتداد السيد بى اعتداد الصحابة بالنبى عليه السلام واعتداد الشيعة بالوصى واعتداد المعتزلة بالحسن البصرى واعتداد الحجازيين بالشافعى واعتداد الزيدية بزيد بن على واعتداد الامامية بالمهدى لا بل اعتداد العاشق بالتلاقى والظمآن بالرى لا بل هو اعتداد محمد بن العباس الطبرى بالسيد ابن محمد العلوى وهذا ميدان يحمل الفرسان وفصل يتسع للتصرف والجولان ولكنى أكره أن أشق على السيد فى الجواب وأن أكلفه دخول هذا الباب ذكر السيد أن انكفاءه الينا قد قرب وأن نجم الغيبة قد صغر وذرعها قد قصر وأنا أسأل الله تعالى أن يصدق هذا المقال ويحقق هذا الفال ويرينى تلك الطلعة التى اذا رأيتها لم أتنغص بغيبة الغائبين واذا فقدتها لم أتهنأ بحضور الحاضرين واذا نظرت اليها فيومى سعيد بل عيد وفصلى مريع بل ربيع واذا تصبحت بها تصبحت بالنظر الى النبى والوصى عليهما السلام والى البتول ابنة الرسول والى السبطين الشهيدين الحسن والحسين والى السجاد زين العابدين صلوات الله عليهم أجمعين سألنى السيد أن أسأله بعض هدايا تلك الناحية لا والله ما أعرف نفيسه ولا طرفة خطيره تعدل عندى وجهه فليهده الى وليخلع نظرى اليه على وليعلم أنه اذا فعل ذلك فقد زف الى الدنيا فى معرض الجمال وأهدى الى السعود بين طبق ومكبة من الاقبال ولم يدع لعين التمنى بعد ذلك مطمحا ولا لقوس الاقتراح والتحكم منزعا لا يكتب الى السيد بخط غيره لانى اذا قرأت كلامه من آثار بنانه فقد جنيت الورد من أغصانه وقليل لمن أدلى بمثل وسيلتى واتسم بمثل سمتى أن ينبعث له البنان والأقلام وأن ينتقى له الخط والكلام وأن ينزل على حكمه والسلام

قوله عذرها في الحقيقة [illegible] اه

﴿وكتب الى كاتب﴾

اعتذر سيدى من صغر الكتاب واختصاره وقد أغناه الله عما تكلفه من اعتذاره وانما الصغير ما صغر قدره لا ما صغر حجمه فأما ما أفاد وجاوز المراد فليس بصغير بل هو أكبر من كل كبير وأما شكره لى على تفضيلى لكلامه فانى من هذا ابعد فى ميدان عريض مديد وفى شوط بطىء بعيد لم أبلغ عشر عشيره ولم أقض منه أيسر يسيره والحق أنى وان اجتهدت فانى غير بالغ منه ما فى ضمن النيه ولا آت على ما فى الهمة والامنيه ولكنى سأقف عند انتهاء الطاقه وأحمل مجهودى أقصى الغايه والتمادح بيننا بعد الحال التى عتقت حتى خلقت وقدمت حتى هربت فضل لا يحتاج اليه ولا يعرج عليه وأسأل الله تعالى أن يجعل أخوتنا فى الدنيا متصلة بأخوتنا يوم الدين فان الاخلاء يومئذ

بعضهم

بعضهم لبعض عدو الا المتقين

﴿وكتب الى صاحب الديوان بالحضرة﴾

عظم على الشيخ ادلالى وكبرت على قلبه أشغالى وفتح عليه كرمه من حوايجى بابا لا يسد ولا يرد ولكنى اذا قلبت سلعة الشكر ونشرت طراز الاحسان والبر لم أر غيره يشتريه أو يرغب سواه فيه واذا عرضت جريدة الكرم وأفضت قداح المساعى والهمم جاء اسمه صدر الجريده وقدحه معلى القداح السبعه فأرجع اليه وعن يمينى الرجاء يقربنى منه وعن يسارى الحياء يطردنى عنه وما أحب أن يشركنا الشيخ فى لسانى غيره ولا أن يحتوى على قلبى الا ذكره فانى آنف لكرم المتاع من لؤم المبتاع وأستحيى لنفاسة هذه الملابس من خساسة اللابس وأغضب للمركب الكريم من الراكب اللئيم وأحب أن أزف أبكار المعانى الى من يفترع أبكار المعالى وأن أغرب فى الثناء لمن يغرب فى السناء وأن أزوج الشيخ من ضيعة لسانى كرائم لا يجتليها الاعيناه ولا يطمثها الا يداه قد علم الشيخ أنى عقدت هذه الضيعه ولفقت هذه المعيشه لتكون صوانا لوجهى عن ذل السؤال ومجازا لعرضى دون الابتذال ولاجعل ما يدخل منها من الكفاف جسرا الى الصيانة والعفاف فأحبب نفسى الى أصدقائى وأخفف كلى على جلسائى فان السائل ثقيل الطلعه كريه الزوره مشنوء اللحظة واللفظه معرفته غرامه ومنادمته ندامه ومجانبته أمان وسلامه فمن أعاننى على حفظ ما اعتقدته وأمسك على جوانب ما استفدته فقد كفى أهل المشرق كلى وخفف عن رقابهم ثقلى وضرب بين لسانى و بينهم سترا فخبينا ومد عليهم دون استبطائى وعتابى كنا كنينا ومن أخرجنى من صيانة الدهقنه وأحوجنى الى تبذل المسئله فقد عرضهم لخطبين وعرضهم لحد السيف من جهتين لانهم بين أن يعطوا فيحتسوا مرارة العطاء أو يبخلوا فيصطلوا حرارة الذم والاستبطاء وما من الخطتين صغيره ولا فيهما المختار خيره على أن خروجى من خراسان الى غيرها وضع من أهلها فلو ارتبط الجواد حق ارتباطه لما عار ولو أحسن الى البازى أهله لما طار

وان مقامى حيث خيمت محنة * تدل على فهم الكرام الاجاود

ولو ملكت أعنة الايام وجاز حظى على الحظوظ والاقسام لكانت مدائحى الى أهلها مصروفه ومعاتباتى على غيرهم موقوفه ولما جلست تحت قول أبى عبادة البحترى

هزلتنى فى أهلها واستزادت * جيئتى فى سواهم وذهابى

ورأت عند غيرهم من مديحى * مثل ما كان عندهم من عتابى

هذا على أنى أرى ريح الكرم قد هبت جنوبا وشمالا وعساكر المجد قد زحفت يمينا وشمالا وسوق الادب قد قامت وأطراف المسالك قد استقامت وليل النقص والجهل قد جلاه فجر الفضل والعقل والجود قد أقبل بوجه الغالب والبخل قد أدبر بقفا الهارب وأرى الدهر قد افتر عن يتيمته وأجلى عن كريمته وجاء بواحده الذى لم يزل لسان محامده وعنان مراشده والذى لم يزل يرجف به لسان الامانى وتتقاضى فيه أيام زمانى وهو الشيخ الاجل ربيب الدوله وغذى النعمه وسليل الكفاية والوزاره وفرع السياسة والرياسة وناشر ميت الآمال وناقد قيم الرجال وناشر ألوية

قوله ومد عليهم فى نسخة وأسكتهم اه

المقال والفعال وقد علمت أن الدهر البخيل لا يسمع الآن به الا لتكون للاحرار كره ولتدول للافاضل دوله واتهب للخير ريح طالما ركدت وتنفق للفضل سوق طالما كسدت ورجوت أن أكون أحد من ينتصف به من محنه وينتزع فى أيامه حقه من مخالب زمنه فقد طالما ضرب الزمان على رزقى وغصبنى أيامه ولياليه حقى أسأل الشيخ أن يعرض كتابى عليه و يوصل كلمتى اليه ولا يقول كيف يكون الرسول أجل ممن أرسله وكيف يكون السفير أعظم من سفر له فان الكريم يعزمن حيث يهون ويشتد بأس الرمح حين يلين وهو أيده الله الحكيم الذى لا يوصى والمشير الذى لا يعصى واذا سعى فى هذه الحاجة ففى أمره سعى وعن ماله نفح ورمى وعن عاتقه ألقى حملا وطرح ثقلا لانه ان حرم سهمى الاصابه ولم ترزق دعوتى الاجابه ملق كل خراجى عليه ورجع به عنه اليه اذ كنت أرى لا وجه للفرج الا لديه وأنشد

سبيلى أن أعطى الذى تسألوننى * وحقى أن يجدى على ولا أجدى

وأتبعه اذا كنت لا أنفك أغدو مطالبا * فلم أنت عباد ولم أنا شاعر

فلينظر الشيخ الى هذه الحاج بعين من يعلم أنه فيها سهيم ولصاحبها قسيم وأنه يكدح كدحاله بعضه ويحلب حلباله شطره وانى لأعلم أنى قد هتكت سترا لحشمه وخرقت حجاب الهيبه وأن هذا الكلام ترق عنه صفحة الاحتمال ولا تطلقه شرائط المهابة والاجلال ولكن الثقة تطلق اللسان وتجرى الجنان

وكتب الى وزير صاحب خوارزم

وصل كتاب الشيخ وتصرفت من فصوله فى لؤلؤ منثور وطراز منشور واستمليت منه نسخة الود الصريح والعهد الصحيح والخلق السجيح ووجدت الشيخ قد استرقنى رقا لا تحل عقدته ولا ترد عهدته وكفانى مهما لا يكفيه الا مثله على أن ذكرى مثله ارجاف بالزمان وفعله وكذب على الفلك وأهله وأمنيه من أكاذيب الأمانى وترهات من ترهات لسانى وهيهات الدهر أبخل من أن يأتى بكريمته ويجىء بمثل يتيمته والكرم أقل مبتاعا وأكثر متاعا من أن ينازع الشيخ بهاءه أو يسلبه رداءه

والجود أخشن مسا يابنى مطر * من أن تبزكموه كف مستلب

أخبرنى الرسول بما أعمله الشيخ من حيله الدقيقه وفتله من أسبابه الوثيقه فى ذلك المال حتى أخرجه من العدم الى الوجدان وصيره من الوهم الى العيان فحمدت الهى الذى رزقنى صديقا يحفظ على ما أضيعه بيدى ويحسن بى من حيث تسىء نفسى الى وقد كنت خاطبت الشيخ فى أمر هذا المال بكلام جرأنى عليه صدق ثقتى بسعة ساحة احتماله فان شكانى فقد كافانى وان أسلفنى شكرا فعلى اداؤه وعلى الله جزاؤه ولو أنصفت الحال بيننا والجملة الجامعة لنا لخرجت لهذا الوافد الأثير لدى والكريم على من مالى واقامته ولدى وعيالى ولحملت العالم اليه بين طبق ومكبه والفلك بين دنيا وآخره ولكنى نزلت على حكم طاقتى وانتهيت الى غاية وجدى وجدتى وعولت على عقدى ونيتى ونكست رأس خجل منشور وغضضت طرف قاصر مقصر وأنشدت

لو كنت أهدى على قدرى وقدركم * لكنت أهدى لك الدنيا بما فيها

الذى

الذي طلبه الشيخ من الكتب سأحمله الى خزانته ولو على رجلي وأنسخ ماليس عندي ولو على خدي ولوددت لو كان دمي حبرا وجلدي ورقا وأصابعي أقلاما وذلك عندي يسير ينسى وصغير يلغى وقليل لا يسمع ولا يرى على أنه لو باسطني الشيخ فيما عدا الكتب من الفضة والذهب لكان آخر أمره منتظما بأول امتثالي وطرف قوله متصلا بطرف فعالي فان الناس يتخذون الأصدقاء ليكسبوا بهم الثراء وأنا أكتسب الثراء لأتخذ به الأصدقاء والصديق هو العقدة التي لا يحلها الدهر والذخيرة التي لا يفسدها الخير والشر والكنز الذي لا ينقص منه الغنى ولا الفقر وسائر الأعلاق تفقد من حيث توجد وتحل كما تعقد ويدب اليها الفناء كما يتفق لها البقاء ويتسلط عليها الأعداء كما يحسد عليها الأصدقاء وتمسها النار فتحرقها ويصيبها الماء فيغرقها فالذهب والفضة حجران يقيمان ان حركا ويفسدان ان تركا والضياع والعقار جمادات وموات لا ترحل مع صاحبها اذا رحل ولا تنزل بنزوله اذا نزل والعبيد والاماء حيوان يتحكم فيه الحدثان ويعمل فيه عمله الزمان فاذا حاربته الأيام سقم واذا سالمته هرم فهو معرض للحادثات اما بالحياة واما بالممات والثياب والفرش ورق يحفى اذا استعمل ويخفى اذا أهمل والعتاد والسلاح رفيق ربما خان من حمله وأعان عليه من قاتله وصار في يد المحارب آفة على الصاحب والحلي والجواهر زجاج يسرع اليه الكسر ويبطئ عنه الجبر اظهاره خطر واخفاؤه حذر خفيف المحمل على من سرقه ثقيل الوطأة على من سرقه والزرع خبز مخبوز فناؤه افتقار وبقاؤه احتكار من بذله عرضه للفناء ومن بخل به عرض عرضه للهجاء والأثاث والسوار أجسام هامده وأشخاص جامده اذا ابتذلت تمحقت وتكسرت واذا رفعت صدئت وتغيرت والقنى والماء غريم كفيله الأرض والسماء وهما كفيلان لا يغرمان ولا يلازمان ولا يلزمان والخيل والسوائم زرع يجففه الريح والهواء ويحكم فيه الصيف والشتاء ويتداوله البقاء والفناء والكتب والدفاتر ملك جالس على قافية السرقه موضوع فوق شبكة الخيانه يسرقه كل أمين ويتهم عليه من ليس بظنين وقد أكثرت أيها الشيخ في هذياني ووضعت عنان قلبي وبناني بيد لساني فان يكن ما جئت به مفيدا فقد أبدعت وأغربت وان تكن الأخرى فقد أضحكت وأعجبت فلم أخل أن جئت بفائده وأن كنت سبب ضحكة ونزهة زائده

﴿وكتب الى ابن سهل سعيد بن عبد الله الكاتب﴾

وصل كتاب سيدي المنتظر المتألف والمستبطأ المتشوف بعد أن عاتبت على تأخره الدهر ولمته وبعد أن ذممت فيه البخت وشتمته وبعد أن نظرت اليه وهو غائب مثالا ورأيته في النوم خيالا وبعد أن عددت له الليالي والأيام عدا وحسبت فيه الأوقات والأنفاس ضربا وعقدا وبعد أن ظننت الظنون بسيدي وبوده وتوهمت الأوهام في وفائه وعهده وحسبت وأنا أستغفر الله أنه قد أثبت اسمه في جريدة الغدر وجانس أبناء الدهر وبعد أن أنشدت

لم تزل تجهل الخيانة حتى * علمتك الأيام كيف تخون

فويلي ان لم يعف سيدي عني ولم يغفر لي ما بدر مني ولم يجعلني في حل من سوء ظني وفهمته ولم أزل

أكرر قراءته حتى حفظته ثم ترددت فى ذلك حتى حفظت الفاته و بآيته وصارت روايته تقطع على صلاتى وتستملك أكثر أوقاتى ثم عرضته على أصدقائى وأصدقاء مولاى فمنهم الأمين سألنيه وناقشنى فيه واستعارنيه ونيته أن لا يرد العاريه ولا يؤدى الأمانه ثم نسخوه ولو طلبته منهم لما نسخوه ذكر سيدى من شوقه الى مالم يتكلم فيه الا عن لسانى ولم يترجم الا عن شانى ولقد طويت بعده بساط المدام ورفعت صحيفة المؤانسة والندام وطلقت الراح ثلاثا وفارقت الغناء بتاتا حتى جفت الاقداح واستحقتنى الراح ونسى بنانى الاترج والتفاح ولقد ترك سيدى بخروجه رسوم الطرب من اخوانه دارسه وآثار الفرح والانس طامسه وديار المنادمة والمجالسة مقفره وأطلال المحادثة والمساعدة متنكره قد هبت عليها بغتة ريح الادبار وطلع عليها نجم البلا والاقفار ونفذ فيها حكم الفناء واستهاله العفاء سألنى سيدى عن ذكرى له وكيف لا يذكره من يراه وان كان لا يلقاه بل كيف يذكره من ليس ينساه وكيف يسلو عنه من لا يرى عوضا منه وكيف يغب ذكره من لا يفتح عينيه على أكرم منه عليه وأحب منه اليه وقد عرفته أنا هجرنا الشراب وأغلقنا هذا الباب ثم ان شربنا فى كل فترة نبوه أو بيعة خلافه فلا نقل الاباذ كاره ولا تحية الا باذ كاره ولا حديث الا أنسنا به كان ووحشتنا له الآن ولا اقتراح على المغنى الاشعر فى أوله ذكر غيبته وفى آخره تمنى أوبته ردّ الله سيدى الى اخوانه الذين أنا أولهم فى المحبه وان كنت آخرهم فى الرتبه على حالة يقع الشكر وراء حقها وتكل مطايا التعديد والنشر فى مسافات طرقها والناس يقولون ردك الله سالما الى سالمين وأنا أقول ردك الله سيدى فاغما الى غانمين فان من سعد بلقياه فهو غانم كما أن من حرم النظر الى طلعته فهو غارم وأرجو أن يتقدم سيدى بوصوله عيد الفطر فيجتمع لى عيدان وفطران كما اجتمع على بغيبته صومان على أن صوم العين أشد من صوم البطن فان مسافة صوم العين مجهولة الامد والعدد محوفة الزيادة والمدد ومسافة صوم البطن يوم وشيك المهله قريب العشية من الغدوه فحصتى من صوم هذه السنة المباركة حصتان و يومى منها يومان وتأبى صروف الدهر أن توافينى الامر دوخة فى قران وذلك انى صمت عن النظر الى طلعة سيدى شهرى رجب وشعبان وصمت عن الطعام والشراب شهر رمضان وقد قال الخليع الشامى

سكران سكر هوى وسكر مدامة * فتى يفيق فتى به سكران

وأنا أقول

صومان صوم نوى وصوم عبادة * فتى يعيش فتى له صومان

﴿وكتب الى أبى القاسم المزنى وقد انهدمت داره عليه وسلم﴾

بلغنى خبر الهدة فالحمد لله الذى حين هدم الدار لم يهدم المقدار وحين ثلم المال لم يثلم الجمال وانما سلط الحوادث على النشب والخشب لم يسلطها على العرض والحسب ولا على الدين والأدب ولابد للنعمة من عوده ولابد لعين الكمال من رقيه فلأن يكون ذلك فى دار تبنى ومال يجبى ويثمى خير من أن يكون فى النفس التى لا جابر لكسرها ولا شئ فى قدرها وصادف ورود هذا الخبر على رمد فى عينى قد حصرنى فى الظلمه وحبسنى بين الغم والغمه وتركنى أدرك بيدى ما كنت أدركه بناظرى كليل سلاح البصر قصير خطوة النظر قد تشكت مصباح وجهى وعدمت بعضى الذى هو آثر

عندى

قوله لما سحقوني سحقا أسحقوه أي أعطوه نسخة اه

عندى من كلى أبعد الاشخاص عنى أقربها منى فالبيض عندى سود والقريب منى بعيد قد خاط
الوجع أجفانى وقبض عن التصرف بنانى ففراغى شغل ونهارى ليل وطوال الخطا قصار
وقصار أوقاتى طوال فأنا ضرير وان عددت فى البصراء وأمى وان كنت فى جملة الكتاب والقراء قد
قصرت العلة خطوتى قلمى وبنانى وقامت بينى وبين يدى ولسانى وقد كانت العرب تزاوج بين
كلمات تتماثل مبانيها وتتكافأ مقاطعها ومباديها فتقول القلة ذله والوحدة وحشه والغلب سلب
واللحظة لفظه والهوى هوان والأقارب عقارب وأنا أقول المرض حرض والرمد كمد والعلة
قله والقاعد مقعد

﴿وكتب الى أبى أحمد الرازى بندار نيسابور﴾

ورد على كتاب الشيخ بعد ما كدت أطفل عليه بخطبته وأسبقه الى المكرمة فى الابتداء بمثله ثم
أبى الله تعالى أن يكون الفضل الا لأهله وأن ينبت الكرم الا على أصله وفهمته وأفادنى من
خبر سلامته فائدة هى الغنى بل المنى بل الكنوز والقنى بل المراد والهوى بل السناء والعلا بل
العالم والدنيا بل الآخرة والأولى وهى السلامة التى لا ينفرد بها الشيخ عنى ولا يختص بها دونى
اذ كانت الأحوال بيننا متقاسمه وسائر أسباب السراء والضراء متساهمه وسألت الله تعالى أولا
والآن أسأله ثانيا أن يجرى على الشيخ نعمته ويرد غربته ويعجل أوبته ويبصره رشده فى
الرجوع الى بلده الذى هو بحضوره فيه مصر بل أمصار وبغيبته عنه مفاوز بل قفار كما أن أهله اذا
كان الشيخ فيهم ناس واذا غاب عنهم نسناس والله يلهمه قول النابغة

فحلى فى ديارك ان قوما * متى يدعوا ديارهم يهونوا

وان أكرم الخيل أشدها حنينا الى وطنه وأعتق الابل أكثرها نزاعا نحو عطنه والدنيا رستاق
نيسابور وقصبته وعقد نيسابور واسطته ولو علمت أنى أدفع من غيبة الشيخ الى هذا الأمد البعيد
والنفس المديد وانه اذا فارق قوما طلقهم واذا لقى آخرين عشقهم لأخذت من الزمان ألف
كفيل ووضعت الأرصاد بكل سبيل بردّه على ولو كان بحفظه عينى بل عينى

شددت باعناق النوى بعد هذه * مرائر ان جاذبتها لم تقطع

والآن قد أذبنا الشيخ ببعده عنا فرأيه فى أن يعفو عنا بقربه منا فيكون قد أرانا قدرته ثم أسبغ
علينا نعمته وجمع بين تعريفنا مقدار النعمة اذا آب ومقدار المحنة فيه اذا غاب كان كتاب الشيخ
ألطف من روحه واقصر من أوقات كانت بقربه وأظنه أشفق على من التعب فيه اذا اطال وظن
بى الكسل والملال فمازلت أعرفه مشفقا على حميد الأثر لدى وأنا أستعفيه من هذه الصدقه
وأشتهى أن لا يبرنى بهذه الشفقه وأن تكون كتبه الى أطول من يده على وأبسط من لسانى
فى شكرى حميد آثاره لدى فانى اذا ارتعت فى رياض قوله وأجلت عينى وخاطرى فى ميدان
فضله تقلبت فى روضة وغدير وأدرت يدى فى جنة وحرير ولم أعدم معنى يلقح الذهن ولفظا
يمتع العين والأذن وفقرة أستفيدها ونكتة أقرؤها ثم أعيدها وان كانت تذكرة الأيام الماضيه
لا يفرغ قلبى لاستيفاء الغابر

فلا يبعد زمان منك عشنا * بنضرته ورونقه الجناب
لياليه ليالي الوصل تمت * بأيام كأيام الشباب

وكأن أبا تمام لم يقل هذين البيتين الا ليقتل نفسي وعدّ نفسي وقد استسلمت للفراق فليمض في حكمه لا بل فلينفذ في سهمه وكتاب الشيخ يزيل بعض مابي ويشفيني من أوصابي فليهده الشيخ الى فان اهداء السرور به الى مثل قلبي صدقة مبروره وصنيعة مشكوره وكلما اقرب مني الدواء فترا تأخر عني الداء شبرا

(وكتب الى صاحب الديوان يوم المهرجان)

لولا ماعس الشيخ من الانقباض عند الهدايا جلت أوقلت وان كان ليس مع عطاياه جليل كما أنه ليس مع تواضعه قليل لأفنيت في هديتي اليه الأعلاق والجواهر ولأتعبت في حملها اليه الخف والحافر ولسبقت في ذلك الأولين وأتعبت فيه المتأخرين عرف الله الشيخ بركة هذا المهرجان وأفرده بذلك عن سائر أيام الزمان ولازال يلبس الأيام قباء هاوهو جديد ويقطع مسافات سعدها ونحسها وهو حديد

(وكتب الى ابي سعد أحمد بن شبيب)

ما أقرب ما كانت المسافة بين لقاء صاحب الجيش وبين فراقه وما أكثر ما أنشدت بيت كشاجم في وداعه وعناقه لم استتم عناقه لقدومه * حتى ابتدأت عناقه لوداعه

كأنه كان ذلك الرجل قائما معنا أوكأنه قال هذا البيت لنا ولقد كانت الأيام بلقاء صاحب الجيش طويلة الوعد قصيرة الرفد فانها مطلتني بلقائه سنين طوالا ثم أسعفتني به ساعات قصارا فبينا أنا أشكو مطلها اذ صرت أشكو بخلها وبينا أنا أستدرك عليها الماضي اذ أصبحت أطلب اليها الباقي وبينا أنا أنشد أياليلة الوصل لاتنفدي * كماليلة البعد لاتنفد

اذ غدوت أنشد هـذا الذي قيل له * أطيب ما كان فني

ولعمري اني لموسر من الصبر قوي بنية القلب والصدر حتى أبيت ببلدة وصاحب الجيش بأخرى وليس بيني وبينه بعد الخافقين ولاسد ذي القرنين ولاجبل قاف ولاسور الأعراف ولقد رضيت من الشوق بالدعوى ومن اللقاء بالمنى وغششت فيما بعته من الهوى والله أسأل أن يجمع بيني وبينه على مايثلج صدري ويقر عيني وأن يريني الدهر وهو واحد من حشمه والسعد وهو خادم من خدمه والأيام وهي رسله في أوليائه وأعدائه والمنايا وهي سهامه في صباحه ومسائه والاقبال وهو خليط من خلطائه والسرور وهو نديم من ندمائه والعز وهو مستدر بأفيائه والشرف وهو مطنب بفنائه وهذا الدعاء مني خجل قطعت به الحديث لما توجهت به المسئلة على وخرج الجواب من يدي ولو صدقت فيما ادعيته وكنت من الشوق على ماحكيته

قلت للشوق اذ دعاني لبيك ولحادين كر المطايا

ولانضيت الركاب وفارقت الأحباب وركبت كاهل الخطر وأعروريت ظهر السفر حتى أنيخ بحضرة طالما حضرتها العلا وأنزل على سدة طالما سد زواياها الندى وأنظر الى طلعة عليها المكرم ديباجة خسروانيه وفيها الطلاقة روضة ربيعيه رجعت من حضرة الوزير بعد أن أفرغ على من سجاله

واسبغ

قوله فلما انشق الصبح فقلت كيف لم انشق لم ادر علما بالاشتياق اني انا ١٥

وأسبغ على من نواله ما خفف ظهرى بل أثقله وأنطق لسانى بل أخرسه وأرخص شكرى بل أغلاه وأبقى مديحى بل أفناه وانى حين أمدح البحر بأنه غزير والبدر بأنه منير وأعلم الناس أن الدهر كبير وأن الرمل كثير لاحد عباد الله المكاثرين الذين قولهم هباء وعملهم جفاء أبقى الله ذلك السيد ليفتضح به اللئام ويصغر به الكرام وتتجمل به الأيام والأنام وأقام به سوق الكرم وقد أقام وأدام بسلامته عز الحمد والمجد وقد أدام وليت المكارم كانت جواهر لا اعراضا وخلقا لا أخلاقا فتتمكن من رؤيتها العين ويأتى عليها الوزن والكيل فيدركها الجاهل بحاسة بصره كما أدركها العاقل بحاسة فكره فأستريح من الدلالة على معرفتها ومن اقامة البينة على صفتها وصلت الجارية ووردت تهالانى رأيت حاملها شابا واذا اجتمع الشبان فقد اجتمعت النار والحلفاء بل اجتمع الظمآن والماء وهذا ميدان لابليس فيه مجال وزاوية له فيها اعمال وانما النساء لحم على وضم وصيد فى غير حرم الا أن تلاحظ بعين غيور وتلازم بنفس يقظ حذور

❊ وكتب الى تلميذ ورد له كتاب ترتفع ألفاظه عن كتابة مثله وطلب نسخة شعره ❊

نسخة شعرى التى طلبتها يا ولدى صائرة اليك وغير مضنون بها عليك ولكنى اذا أمتعتك بها الآن أعنتك على طول غيبتك وصرت بعض آفات أوبتك فارجع فديتك وانجز ما وعدتك

واسمعه عن قائله تزدد به ❊ عجبا فحسن الورد فى أغصانه

رأيتك يا ولدى تخاطبنى فى كتابك بألفاظ ان كنت أنت أبا عذرتها لقد اختصرت طريق الكلام وصرت بعض محاسن الأيام وان كنت أخذتها من غيرك لقد سرقت سرقة لا يلزم صاحبها ارد ولا يجب عليه فيها حد ولا يعاقبه السلطان ولا تتبرأ منه الاخوان وأغرت غارة لا يلزمك فيها قود القتلى ولا أرش الجرحى ولا تتبعك فيها دعوات اليتامى والأيامى وغصبت غصبا لا تطالب بتبعته ورثتك ولا يثلم له دينك وأمانتك فيا أيها المغير النظيف الغاره والسارق البرىء الساحه أشركنا رحمك الله فى بعض ما رزقت واجعل لنا سهما مما سرقت وأعطنا قليلا مما أخذت ولا تبخل علينا بما ليس من ملك يديك ولا من ميراث أبويك

❊ وكتب اليه أيضا ❊

كتبك يا ولدى عندى تحف وشمامات وأنوار وباكورات أفرح بأولها وأنتظر ورود ثانيها وأشكرك على ماضيها وأعد الأيام والليالى لباقيها فكثر على سوادها وأوتر على أعدادها واعلم أنى أحبك حبا مستكنا وباديا

أحبك ما لو كان بين معاشر ❊ من الناس أعداء لجر التصافيا

وأنى آنس بك حاضرا وأشتاق اليك غائبا شوقا لو عرفته لتكبرت على الورى ولم تقم وزنا لأهل الدنيا وكنت لا تنظر اليهم الا بمؤخرى عينيك ولا تكلمهم الا ببعض شفتيك

❊ وكتب الى حاجب ركن الدولة بالرى ❊

الكتاب الذى أعظم الحاجب باصداره شانى وأعاننى به على زمانى وأهل زمانى ورد وثمرة الفؤاد منه بعد فى أكمامها لم تزهر فتغنم ولم تدرك فتطعم واذا نجحت الشفاعة من حيث لقحت وزكت

اغراس المعونة من حيث زرعت ولاحت على صفحات أحوالى آثار الزياده وظهرت فيها مخايل السعاده أفت رهج الحمد والشكر وأنطقت بهما لسان الدهر وقلت ما يتعب الراوى ويحير السامع والرائى ويوقع للخواطر شغلا طويلا وللسان الاقلام عملا ثقيلا الى أن يتيسر من ذلك ماهو فى ضمان الأيام وفى ودائع الحظوظ والأقسام فانى أسأل الله تعالى أن يطيل بقاء الحاجب مصونا عن لحظات الغير محروسا من عثرات القدر اقباله وسعده مقتبل وبابه مستقبل وبنانه بل كم بل تراب مجلسه مقبل

﴿وكتب الى أبى عبد الله النحوى الخطيب بالرى﴾

ان تكافت للشيخ ذكر ما أسلفنى له فراقه من الهلع وأهداه الى من أنواع الغم والجزع جريت معه فى ميدان الاعتداد واستقبلت بكلامى قبلة الشكر والاحماد ورأيتنى أشكر نفسى على أن أؤدى فرضا وأحمد جوانحى على أن يحب بعضها بعضا وان سكت بقيت فى نفسى حاجه واستولت على قلبى حسره ورأيتنى أبخل على نفسى بشكاية المضرور وأنفث عليها نفثة المصدور فلا أدرى أأقول على أن القول كلفه أم أسكت على أن السكوت غصه ولكننى أنشد قول المولد

وأشهد الله وحسبى به * أنى الى وجهك مشتاق

مازال قلبى مقيلا لذكر ليالينا تلك الطوال القصار اللواتى كانت ظلماتها أنوارا وساعاتها كلها أسحارا هاربنا فيها النعاس بجيش السمر وسهرناها ولم نجد مس السهر فكلما مال بنا النعاس الى شقه أو كاد يستعبدنا الملال برقه نفضنا عنا غبار الكسل وجلونا عن أعيننا بل أنفسنا صدأ الفتور والملال بحديث مطرز بالأدب مرصع بأخبار العجم والعرب يسكر من سمعه وان لم يشرب ويشهد على بهيمية من شهده ان لم يطرب بالفاظ أنيقة النظم وثيقة النثر ومنطق رخيم الحواشى لاهراء ولانزر فيعود النشاط أمضى ما كان حدا وأصفى ما كان فرندا واثقب ما كان زندا ولو عاوضنى دهرى واشترى جميع عمرى وباقى عصرى ورد الى تلك الليالى الزهر المحجلة الغر لكان قد أحسن الى وأربحنى وخسر على وهيهات الدهر تاجر لا يغبن فى تجارته وأمير لا يغلب على امارته ولكنا نقطع الدهر قالا وقيلا ونعلل قلبا عليلا يسر الله لنا حالة يعود بها الانس فى أحسن زينته وأتم بهجته وأدالنا على الفراق الذى وجدناه لئيم الظفر قبيح المنظر والمخبر وأعاد لى تلك الأوقات المسعودة المحمودة التى سرقتها من دهرى ورأيتها غرة عمرى وصقلت فيها بلقاء الشيخ ذهنى وفكرى وأنشدت فيها من شعرى وشعر غيرى

وفرحة الاديب بالاديب * كفرحة الطبيب بالطبيب

ولو طلبت من الشيخ عوضا لكنت قد أعنت الزمان واستحققت بطلبتى المحال والحرمان والفضل اليوم أقل طالبا وأعز صاحبا وأجدب جانبا وأخيب كاسبا من أن ينظم غير الشيخ بين طرفيه أو يضم عليه كلتا يديه سقى الله أيامنا بيد الشيخ الجليل فانى لا أعرف سحابة تندى نداها وتسقى سقياها وانما طلبت الغاية فى الدعاء وسمرت الى أقصى مراتب الاستسقاء وقد قال أبو الطيب المتنبى رحمه الله

سقى الله أيام الصبا ما يسرها * ويفعل فعل البابلى المعتق

وكأنه

وكأنه قال سقى الله أيام الصبا خمرا والخمر إغبا فرحها ساءه وطيبها مجاز لا حقيقة له مع بشاعة طعمها أولا وثقل خمارها ثانيا والذى دعوت به من السقيا يبقى ولا يفنى ولا يستبشع بل يستحلى ويستطاب ويستمرى * بلغنى أن فلانا زعم أن سمعه لا يسع لاستماع كلامى وأنه يستعظم ما يرى عليه الناس من اعظامى والذنب لعين العشواء فى محبة الظلماء وكراهية الضياء وفم المريض يستثقل وقع الغذاء ويستمر طعم الماء والجعل يتغذى بالسرقين ويموت من الورد والنسرين ومن الريحان والياسمين ومن طمس عين الشمس فقد نطق عن مقداره فى الحس ومن حارب جيش العقل وخلع ربقة العدل ورضى لنفسه بمجانسة الجهل فقد كفى خصومه مؤنة عتابه وعقابه وقد أمن زيادة المحنة لتمام ما به كتبت هذه الاحرف ولم يبق منى الحر الشديد والسفر المديد قلبا يدرى ولا بنانا يجرى فانى

قد ذبت غير حشاشة ودماء * ما بين حر هوى وحر هواء

فأما حر الهواء فشاهده حاضر ودليله ظاهر وأما حر الهوى فان هواى مقصور على مولاى وقلبى حمى لا يطؤه غيره ولا يعمره الا ذكره وأرجو أن لا أعدم على ما قلته من قلبه شاهدا ومن على به رائدا

﴿وكتب الى قاضى الرى أبى الحسن بن شادان﴾

كتابى أيد الله القاضى من قم وأنا منها بمكة حر الا حجا وبعمان هواء لا ماء لا بل كتابى وأنا فى سلامة الامن الحر الذى يذيب دماغ الضب ويشبه قلب الصب وهذا فصل سرقته من رسائل الوزير الجليل ابن عباد وليس بأول غارة الكردى على الحاجى ولا بأول أخذ الطرار مال التجار ولا بأول تجمل المتكاتب بكلام الكاتب وهل عبرنا منذ عرفناه الا عن بيانه وهل أجرينا أقلامنا الا على آثار قلمه وبنانه وهل اغترفنا الا من بحره وهل نطقنا الا بنظمه ونثره وهل على الأرض عار أن تطلب سقيا السماء وهل بالفقراء نقص أن يأخذوا صدقات الأغنياء وهل يعيب النهر أن يستمد البحر وهل يضع من السارى أن يستنير البدر لا بل كتابى عن سلامة الامن مباينة الجمال ومن عشرة الجمال على أن الجمال جمل ولكنه ينطق بلسان وتشبه خلقته خلقة انسان لا بل كتابى عن سلامة الامن شيء من كل حضرة بعد تلك الحضرة البهيه ومن كل نفس بعد تلك النفس الزكيه فانى منذ لقيتها وزنت العالم بأخف صنجه وقومت الدنيا أوكس قيمه على أنى ما خرجت منها الا طريد حياء وقيد عطاء وفدت على الوزير ابن عباد وحقائبى مملوءة رجاء وصدرت عنه وهى مملوءة مدحا وثناء ولقد غاص فى معناى على دقائق من الكرم اخترعها ونوادر من الجود ابتدعها لو كانت أبياتا لكانت أوابد ولو كانت قصائد لكانت قلائد ولو كانت ألوانا لكانت غررا ولو كانت حليا لكانت دررا فلما رأيت لا أزداد فى صنائعه طبقه ولا أترقى فى نعمه درجه الا ازددت عنها تبلدا وبحقها تقاعدا هربت لأكون أوحد فى الهزيمة من الجميل كما أنه أوحد فى بذل الجزيل ولأغرب فى الهرب على الشعراء كما أغرب فى العطاء على الرؤساء وليجمع بيننا ظاهر اسم الاختراع وفحواه وان فرقت بيننا حقيقته ومعناه خلفت على القاضى من دقائق أشغالى ما اذا تفكرت فيه قرعت له سنى وتعجبت منه ومنى ورأيتنى قد ابتذلت الكبير للصغير ونطت الحقير بالخطير ولكن الكريم اذا رأى المكارم لم يجل عن دقيقها ولم يدق عن جليلها وقد يتواضع الأسد لصيد الارنب وافتراس الثعلب

وان كان يفترس الفيل ويصطاد الزنديبل فأما أنا فانى اخترت لغرسه ودّتى من تزكو تربته وتحمد محبته وأنزلت حاجتى بمن داره مفيض حوايج الاحرار وبابه مثابة الشكر من الاقطار ومن نظر الى ندماء الوزير وأصحابه والى حجابه وكتابه علم أنه لم يلتقطهم الا برائد الفراسه ولم يغص عليهم الا بمعونة من التوفيق والهدايه وانه طالع مارواء العواقب بمرآة من التجارب وأنه الرجل اذا قدح بالظن أثقب واذا ولد بالرجاء أنجب واذا نظر الى الناس عرف النقاوة فانتقاها والنفاية فانتفاها وعلى هذه الجملة كان اختياره القاضى فصادف صنعه مصطنعا ووافق بذره مزدرعا ووقع الجميل منه موقعا ليت القاضى لا يقول هذه الحاج لا تساوى كل هذا الملق وكل هذا السجع الملفق فانى لم أبق فى قلبى مجمعة الا نثرتها ولا فى لسانى فضيلة الا أحضرتها

﴿وكتب الى صاحب ديوان الحضرة﴾

كان صدر عنى الى حضرة الشيخ كتاب أنشأه الشوق اليه وكثرة التلهف عليه وكتبته يد الحمد والشكر وأملاه لسان الحنين والذكر وعزيز على أنى فى هذا الفصل الذى هو شباب الزمان ومقدمة الورد والريحان غائب عن مجلسه الذى حضوره شرف دهر واستئناف عمر ورفعة قدر لا بل عن وجهه الذى اذا لقيته لقيت به السعد طالعا والنجح مطالعا وفارقته ففارقت شخص البركة واليمن وهيكل الاحسان والحسن والدهر غريبى فى استئناف تلك الحالة القديمه ومراجعة تلك الحضرة الكريمه وأنا راجع فهل الشيخ مراجع بل أنا تائب فهل رضا الشيخ الى آيب فسألقى اليه ربقتى وأوقف عليه طاعتى فان صفح فطالما انكسرت المودة ثم انجبرت وأقبلت الأحوال بعد ما أدبرت وطالما تقدم عتاب ثم تأخر اعتاب وطالما رجا الساعى بالتضريب فخاب ورمى بين الاحرار سهمه فما أصاب وطالما كان قليل الهفوه ويسير النبوه وعارض الجفوه سببا الحميد الرضى وكريم العتبى لا بل الصلة خلف القطيعة أبقى والمودة بعد النفرة أخلص وأصفى لان العتاب قد صفى ماءها وأجلا أقذاءها وأبرز عن غش مفسديها ودل على كذب من سعى بالنمائم فيها وان دام الشيخ على حقده ولم يحل عن عقده لم يجدنى بحمد الله كاسد الشعر رخيص المهر قوى الجزع ضعيف الصبر ولم أسقط عليه سقوط الذباب فى القدر وانما الأدب سلعة تنفق على الكرام والشيخ منهم وتكسد على اللئام وهو بنجوة عنهم ولقد خصنى من بين الازمان زمن لئيم ووقع فى قسمى من البخوت بخت ذميم حيث صرت ألزم خراجا التزم بنو المدبر أضعافه للبحترى وأضايق فى ضيعة وهب أمثالها محمد بن الهيثم الغنوى لأبى تمام الطائى حيث قال البحترى

ولم لا أغالى بالضياع وقد دنا * على مداها واستقام اعوجاجها
اذا كان لى ترييعها واغتلالها * وكان عليكم عشرها وخراجها

وقال أبو تمام

فدع ذكر الضياع فبى شماس * اذا ذكرت وبى عنها نفار
ومالى ضيعة غير المطايا * وشعر لا يباع ولا يعار

فان كان أولئك رؤساء فلسنا رؤساء وان كان هؤلاء شعراء فلسنا شعراء وقد عرف الشيخ انى لا أقيم على الخسف ولا أحل الا خطة النصف فان رأى أن لا يفجع خراسان بلسانها ولا يخليها

من

من سيفها وسنانها فصل ﴿وكتب رحمه الله تعالى﴾

ورد على كتاب من وراقى من أكرتى ووكلائى يذكرون فيه أن الشيخ قد ترك لهم خراج هذه السنه وكفر عن تلك السيئة بهذه الحسنه ومثله من عقب الفساد بالصلاح وعفى بالمراهم على آثار الجراح وأنا أعلم أن ما كان منه من الأولى كانت فلتة ونادره وأن ما كان منه من الأخرى كان قصدا وعمدا وفطره فان الكريم اذا أساء فعن خطيه واذا أحسن فعن عمد ونيه والحر اذا جرح أسا واذا خرق رفا واذا ضر من جانب نفع من جانب

وان يكن الفعل الذى ساء واحدا * فافعاله اللاتى سررن ألوف

والله يطيل بقاء الشيخ لممتحن يخلصه ولفاضل يستخلصه ولعارفة يسديها وصنيعة يوليها ورغيبة يعطيها ومعال يوشيها وكربة يجليها ومهمة يكفيها وملمة يداويها وأيام كايامنا هذه يداريها ودولة سامية يليها وجنبة من جنبات الكرم يحميها ومسعاة من مساعى الشرف يبتنيها وذخيرة من ذخائر الشكر يقتنيها وغاية من غايات الفضل يحتويها ويسبق اليها أهاليها وصفوة من المعالى يصطفيها وحسنة يرغب فيها وفى ذويها أسأل الله تعالى أن يعيننى على شكره بأن يزيدنى من بره

﴿وكتب الى الوزير ابن عباد لما فارقه ومر باصفهان وتوفيت أخت الوزير﴾

كتابى أطال الله بقاء الوزير من حضرته الى حضرته ومن مستقر عزه الى مقر عزه فانا بما تبعنى من عنايته وشيعنى من عساكر حياطته ورعايته ونسبت اليه من خدمته ولاح على صفحات أحوالى من مواسم نعمته صالح الحال بل ناعم البال راض عن الأيام والليال والحمد لله ذى الجلال وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله خير آل وقد كنت أحسب أيد الله الوزير أنى انما أتوصل الى بره وأكرع من بحره وأرد شريعة نواله وأضرب عطفى بين جاهه وماله اذا وردت حضرته البهيه وطالعت طلعته الزكيه فاذا فارقتها انحسمت عنى مواد المواهب ولم تصافحنى أيدى الرغبات والرغائب فاذا أنا بنعمته تشيعنى غائبا كما تتلقانى حاضرا وتمشى على عقبى ظاعنا كما تنزل ربعى قاطنا كالغيث يستقبل الطالب ويتبع الهارب وكالشمس تطلع على المسافر طلوعها على الحاضر وذلك أنى وردت هذه الناحية المعمورة ببركات دولته المكنوفة بافضاله وفضله فرأيت بها من غرائب الاكرام والاعظام ومن رقائق الافضال والانعام ما ترك مطايا الشكر محسورة بهوره وجعل أيدى التعديد قاصرة مقصوره وقدمت من خليفته فلان على رجل عجن من طينة الحريه وضرب فى قالب الفتوة والانسانيه وسخرت له المكارم يضرب فيها بسهام الاقتدار ويصرفها على حكم الاختيار أوله ثناء جميل وآخره عطاء جزيل وفيما بينهما ترحيب وتأهيل وتعظيم وتبجيل بر حتى سر وعظم حتى أفخم وأفضل حتى أخجل وتركنى أتردد بين محاسن قوله وأفعاله وأجيل طرفى بين طرفى تنزيله وانزاله وأذكر به أخلاق الوزير التى ما رأيت كريما الا ذكرنيها لاستيفائه منها ولا لئيما الا مثلها لى لتخليه عنها

يذكرنيه كل خير رأيته * وشر فما أنفك منه على ذكر

وكيف أتعجب من علق الوزير اتخذه ومن سيف بنانه شحذه ومن جواد هو ضمره للرهان ومن حر

قوله ووثق نسخة ووطوية كذا بهامش الأصل اه قوله ويسبق فى نسخة يونسها اه قوله وأضرب عطفى فى نسخة وارتع بعطفى اه قوله وعظم فى نسخة وأكرم اه

هو علمه نسيجة الحسن والاحسان ومن تلميذ استفاد منه وخريج صدر عنه فهيهات ان السيوف على مقادير الاعضاء تفرى وان الخيل على حسب فرسانها تجرى وحق لنهر انشعب من بحر أن يكون غزيرا ولنجم استضاء من بدر أن يكون منيرا على أنه بالآباء تقتدى الاولاد وعلى أعراقها تجرى الجياد

والسيف مالم يلف فيه صيقل * من سنخه لم ينتفع بصقال

وقد ذكرنى ما رأيته قول من سئل عن أبى هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية رضى الله عنهم فقال له السائل انى لم أستكثر منه فصفه لى فقال انظر الى أثره على واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ماذا أقول فى جرح هذا شره وفى سيف هذا أثره وفى كريم هذا نتائج سودده وآثار يده فسبحان من جعل نعم الوزير تكنفنى فى الحضور والغيبه وتحيط بى من الجوانب الستة فاذا حضرته ظالعنى واذا فارقته تبعنى

ففى كل نجد فى البلاد وغائر * مواهب ليست منه وهى مواهبه

المصيبة التى قرعت صفاة الوزير فى المتوفاة زكى الله عملها وحقق فى مغفرته أملها وان كانت نالت كلا من خدمه ومحملى أعباء نعمه بالغم الذى لا تنجلى كربته والجرح الذى لا توسى ضربته وخصتنى من بينهم بالنصيب الأوفر والقسم الاكثر فانى أغار لهيبة الوزير من ذكر النساء أولا وأتطير لنعمته ان يتخللها التعازى والمراثى ثانيا وآنف له من أن أقيمه مقام من يوعظ وينبه ثالثا والا فالقريحة بحمد الله تعالى متدفقه والخواطر مجيبه والشعر ليس بعازب والشيطان ليس بغائب والطريق الذى نهجه الوزير لنا فى الادب عامر ومسلوك لا متروك وقد كان أبو الطيب عزى سيف الدولة عن أخت له فقال

يعلمن حين تحيا حسن مبسمها * وليس يعلم الا الله بالشنب

ولو عزانى انسان عن حرمة لى بمثل هذا الحقته بها وضربت رقبته على قبرها ولا مجال للهم والغم بين عز الوزير وبهائه ولا مرتع للبكاء والفجيعة بين بقاء النعمة عليه وبقائه وأنا أكتب للزمان جهلا بانه اذا تخطى فناءه وأخطأت حوادثه حوباءه فسائر ما يأتيه صغير محتقر ومنسى مغتفر وباطل وهدر وسيرد على الوزير شعر غلامه ليعلم انه لم يجهل مقتضى النعمه ولم يخلد الى الغيبه ولم يدخر شعره ولم يخبأ بعد عروس عطره ووالله ما أنصفنا ولى نعمنا ومالك رقنا وجالب رزقنا فلم نشاركه فى نعمائه ولا نشاركه فى بكائه ونساهمه فى أحوال الرخاء ولا نقاسمه أحوال البلاء ولا نساعده على البكاء ونتحمل أعباء مننه ولا نتحمل أعباء محنه قضية والله سدوميه وسنة حديبيه لا زالت الحوادث عن فنائه ناكبه والخطوب عن نفسه وأنفس أعزته عازبه وصروف الايام عن مستقر عزه مصروفه وألحاظها دون تطرف نعمته مطروفه ولا زال يتعرف من الله صنعا به يركو طريفه على تليده ويقع عتيقه وراء جديده وأرانا الله جماعة أوليائه فيه ما تضيق عنه ساحة رجائنا من نعمته ويأتى على صالح دعائنا برحمته فلان خادم الوزير قد وقف على نفسه صانها الله وماله ثمره الله وقلدنى نعمة صارت الى نعم الوزير مضافة اذ كان فى طريقه ذهب وعلى قالبه ضرب وكان خدم الوزير كثرهم الله فى تشابه أفعالهم وتكافؤ أحوالهم حلقة مفرغة لا يدرى ما طرفاها

ماطرفاها وسبيكة ذهب لا يعلم أسفلها أفضل أم أعلاها وكلمافقدت منهم درهما وجدت دينارا وكلمافقدت دينارا وجدت قنطارا والوزير أوسع لمكافأة خدمه عن خدمه فانما يتقارضون ما عندهم من فضلات ما نعمه ويعير بعضهم بعضا ما يتقلب فيه من بقايا مواهبه وقسمه ثم مرجع الشكر بعد هذا اليه ومدار الاحسان والاستحسان عليه وما عسى أن أقول فى مدح الوزير ونعمه الا أن أستعير لسان طفيل الغنوى فأقول

جزى الله عنا جعفرا حين أزلقت * بنا نعلنا فى الواطئين فزلت
أبوا أن يملونا ولو أن أمنا * تلاقى الذى يلقون منا لملت

(وكتب الى بنداذ ارنيسابور من الرى لما رجعت الوزارة الى الوزير ابن عباد وعفا عن ندماء ابن العميد)

كتابى أطال الله بقاء سيدى من حضرة الوزير عن سلامة بسلامته مشتبكه وحال بجميل أحواله متمسكه والحمد لله على النعمة عليه أولا وعلينا به آخرا وقد كان صدر كتابى الى سيدى مشحونا بجد رجوت أنه يحببه وهزل لم أشك فى أنه يطربه والجد فى غير وقته كشافه كما أن الهزل فى غير موضعه سخافه وخير الكلام ما انتزع من ضده الى ضده ورتع بين هزله وجده واستوفى صفة القائل

وكلام كانه قطع الرو * ض وفيه الصفراء والحمراء

وردت أيد الله سيدى من الوزير رقعة على يد رجل زادته الرفعة تواضعا والصيانة تبذلا حتى كأن الايام كتبت له وثيقة بأن يستبقى جميل عهدها بجميل عهده ويستديم جزيل رفدها بجزيل رفده وكأن صروف الدهر شارطته أن لا تفى له حتى يفى لاخوانه ولا توافقه حتى يخالف أهل زمانه وما ظن سيدى برجل نفذ توقيعه فى البر والبحر وجاز حكمه فى أهل نجد والغور وخدمه أعيان العرب والعجم وقبل يده ملوك الجيل والديلم وصارت لحظة منه تغنى ولفظة منه تقنى وسطر من سطوره يحيى أملا ويقرب أجلا وخلوة من خلواته تزيل نقما وتحل نعما وهو مع ذلك بين سكر الدولة وسكر الشبيبه ثم هو بعد هذا كله على عهده القديم تواضعا وتقربا وعلى سجيته المألوفة المعروفة توددا وتحببا يصل ببشره قبل أن يصل ببره ويحيى القلوب بلقائه قبل أن يميت الفقر بعطائه أكرم الناس عليه أكثرهم حوايج اليه وأبعدهم منه أشدهم انقباضا عنه حتى كأن الله تعالى لم يبلغه ما بلغه ولم يسبغ عليه من النعم ما أسبغه الا ليكذب الفرزدق فى قوله

قل النصر والمرء فى دولة السلطان أعمى * مادام يدعى أميرا
فاذا زالت الولاية عنه * واستوى بالرجال عاد بصيرا

وليصدق زيادا الأعجم فى قوله

فتى زاده السلطان فى الحمد رغبة * اذا غير السلطان كل خليل

وأنا من بين الجماعة قد خضت به بحر الغنى وركضت به فى ميدان المنى ورأيت يقظان مالم أكن أحتلم به وسنان وزفت لى الأيام بمشاهدته من أبكار النعم ما أتقاعد بنشره وأصغر عن قدره ولست أسمح من البياض بالمقدار الذى يسع تفصيل هذه الرغائب ويستوفى أقسام هذه المواهب ولكنى أقتصر بالمكاتبة على الجمله وأكل التفصيل الى المشاهده فلسان العيان أنطق من لسان البيان

وشاهد الأحوال أعدل من شاهد الأقوال وسيكون الالتقاء قريبا فان الشاعر اذا استغنى حن
الى أهله ورجع الى أصله وأحب أن يرى عليه عنوان اليسار ويجلو نفسه على عدوه وصديقه في
معرض الاستظهار ويعلم الناس أنه زرع رجاء فحصد عطاء وأسلف من الكلام عرضا زاهقا
فأخذ من المال جوهرا نافقا وفرح الشاعر اذا قبل شعره ونفق سعره كفرح التاجر صاحب
الجواهر اذا اشتريت يتيمته والشيخ أبي البنت اذا خطبت كريمته وجدت فلانا وفلانا ندماء ابن
العميد رحمه الله وقد ألبسهم الخذلان ثيابه ونفض عليهم الادبار ترابه ونبذهم الاقبال وراء ظهره
ونظر اليهم الزمان بمؤخر عينه فهم أرخص من التمر بكرمان وأضيع من الورد في شهر رمضان
وأثقل من الفرو في حزيران وأكسد من أبي بكر الخوارزمي بخراسان وكذلك تكون مصارع البغي
والعدوان وحصائد البهت والبهتان ولقد جلسوا على قارعة الأمصار واعترضوا اليد التحكم
والاقتدار واستهدفوا السهام الايام والاقدار ولولا أن أمورهم أفضت الى رجل عليه من التوحيد
والعدل مانع ولديه من الحلم والحياء وسيلة وشافع وهذا وقد ولغوا في دمه ورتعوا في لحمه وخبوا
وأعنقوا في ذمه بل في شتمه فلم يبقوا في القوس منزعا ولم يتركوا للصلح موضعا فلما دفع الاقبال
ربقتهم اليه وصارت حياتهم وموتهم في يديه أسبل عليهم ستر العفو والمغفرة واتبع فيهم حكم
الصفح بعد المقدرة وقلم عنهم أظافير الحدثان وقام دونهم في وجه الزمان وما قتلهم الا يوم أحياهم
ولا أفناهم الا حيث استبقاهم ولو كانوا يرجعون الى نفس مرة أو الى أعراق حرة لكانوا الى
نظر عين الشمس أقوى عينا من النظر الى طلعته ولكان المقام في القفر بل في القبر أهون عليهم من
المقام في حضرته ولأزعجهم الكرم أو التكرم وطردهم الحياء والتذمم فلعن الله من لا يعرف الالم
الا في جسمه ولا النقصان الا في ماله ومن لا يقتله العفو ولا يسره الاطلاق ومن لا يعد الأدب
الا حفظ اللغة والاعراب ورواية أشعار العرب والأعراب هذا جسم الأدب فأين روحه وقشر الفهم
فأين لبه ولو كانت المروءة رجلا لكان كريم الطرفين شريف الجانبين مهذب العرق حسن الخلق
والخلق ولو كانت الفتوة امرأة لكانت غضيضة الطرف ناصعة الظرف وفية للبعل جميلة العشرة
للاهل ولو كان كفر النعمة طعاما لكان قذرا وضرا أو شرابا لكان عكرا كدرا ولكن كل انسان
ينمي الى عرق أوليه وكل اناء يرشح بما فيه وما أذكر المتوفى رحمه الله الا بخير ولا أقابل نعمه
الا بشكر ولكني أحب لرئيس مثله أن يختار ندماءه وأن يشترط على المحاسن جلساءه وأن يكون
اختصاصه لهم من حيث شرائط الاختصاص والاكرام لا من حيث حظوظ الجدود والاقسام
وأن يكون افضاله عليهم على مقدار ما يجده من الفضل لديهم ليكون قد أصاب بمعارفته مظنة
الاستحقاق ولم يلقها على طريق الاتفاق وليكون قد ارتاد فأحسن الارتياد وانتقد فلم يظلم
الانتقاد فأما أن يكون الندماء يتقربون الى الملوك بهتك الأستار من الأسرار ويأكلون خبزهم
بلحوم الأحرار فذلك مما يضيق عنه مسالك الحرية وينطق بحظرته لسان الانسانية ولقد
كشفت الأيام من حلم هذا الصدر عن غاية لم تطمع اليها عين ولم تقرع بها أذن ولم يعثر بها ظن
فصارت صلاته من الآجال كصلاته من الأموال وتصدق بعرضه على أعدائه كما تصدق بأمواله
على

قوله للصلح موضعا في نسخة الى الصلح مرجعا

على أوليائه ليكون الجود متكافئ الطرفين والسودد متعادل الوصفين والثلا يبقى في الكرم غاية الا انتهى اليها ولا للمدح جليلة ولا دقيقة الا فاض عليها فلان قد أبطأ على فليت شعرى الريح قلعته أم الأرض ابتلعته أم الافاعى نهشته أم السباع افترسته أم الغول أغوته أم الشياطين استهوته أم أصابته بائقه أم أحرقته صاعقه أم رفسته الجمال أم اغتاله الجمال أم تنكس عن ظهر جمل أم تدحرج من رأس جبل أم وقع فى بير أم انهار عليه جرف شفير أم جفت يداه أم أقعدت رجلاه أم ضربه الجذام أم أصابه البرسام أم جمش غلاما فقتله الغلام أم تاه فى البر أم غرق فى البحر أم مات من الحر أم سال به سيل راعب أم وقع فيه سهم من سهام الآجال صائب أم عمل عمل آل لوط فأرسلت عليه حجارة من طين منضود مسومة عند ربك وما هى من الظالمين ببعيد وكأنى به وقد سمع هذا الفصل فغضب على وشتم طرفى وما أردت بما قلته غير الشفقه ولا نطقت الا بلسان المقه وانما اتبعت فيه السنه فقد كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يحب الفأل ويكره الطيره وهذه مزحة خفيفة وان كانت ثقيلة عليه وظريفة وان كانت سخيفة لديه ومحببة الى سامعها وان كانت بغيضة اليه وقد اعتذرت والعذر وان قل دواء كل ذنب وان جل

﴿ وكتب الى بعض حكام الرساتيق لما رجع الى نيسابور ﴾

كتبت وقد أذن الدهر بالعتبى بعد العتب وبالصلح بعد الحرب ورد الله تعالى على من الاقبال ما كان غصبنيه البخت العاثر والحظ الغادر ورد كيد الساعى فى نحره ورد غصته فى صدره والحمد لله على انعامه علينا بما ليس عند ناله شكر ودفعه عنا ما ليس لنا عليه صبر فما أعظم النعم على غير الشاكر وما أعجز والمحنة عمن ليس بصابر ذكر سيدى حال تلك الضيعة الضائعة التى أول عهدى بها آخر عهدى بالوجه المصون والعرض المخزون والخطب أيد الله سيدى فى تلك الضيعة جليل والحديث فيها طويل لا أسعله حتى أعقد لعجائبها حسابا وأصنف فيه كتابا وأستأجر لتفصيل ذلك وشرحه كتابا يرتبونه بابا بابا ويجعلون له رؤسا وأذنابا هذا بعد أن أشترى كاغد سمرقند كله وأبرى قصب الدنيا دقه وجله ويكون مدادى ماء البحر وعمرى عمر النسر بل الدهر وما ظن سيدى بضيعة ألزمتنى الجزية بعد أن كنت ألزمها الصغير والكبير وأستأديها الرعية والامير وأخرجتنى من عز السلاطين الى ذل الدهاقين وجمعت على مؤن الاغنياء وغم المساكين وشغلنى صداعها عن أشغال الدنيا والدين يستغل الناس الغله وأنا أستغل القلة والذله ويزرعون فى الأرض حبا فيحصدون حبوبا وأنا أزرع فى قلبى كربا وأحصد كروبا وقد صرت من أجلها أخدم قوما كنت أستخدمهم وأسلم على أناس كنت اذا كامونى لا أكلمهم ويحجبنى من لو حضر بابى من قبل لحجبته ويعرض عنى من لو سألنى فيما مضى ما أجبته قد كنت أبغض الهوان اذا مر ببابى فاليوم قد أدخلته دارى وبين ثيابى والى من يشكو المفعول به وهو الفاعل ومن يطلب بالقتيل وهو القاتل

﴿ وكتب اليه أيضا ﴾

كان الحاكم يقدم فى أمر ضياعى وأنا حاضر ما قوى حسن ظنى به وأنا غائب وحفظ الصديق حاضرا وقد

وحفظه غائبا عهد ومن أحسن مشاهدة فقد حفظ الاخاء ومن حفظ على ظهر الغيب فقد رعى الوفاء فلما غبت عن الناحية أصابت تلك العناية عين الغير ودب الى الما كم حوادث البشر ووقع فى تلك الضيعة من الضيعه وفى تلك الغلة من الخلله ما بغض الى المال وحبب الى الفقر والاختلال وتركنى كلما سمعت بذكر ضيعة قرأت المعوذتين وانهزمت فرسخين وأقت ديدبانين على مرقبين وانما يكره الفقر لما فيه من الهوان ويستحب الغنى لما فيه من الصوان فاذا انبع الغم من تربة الغنى فالغنى هو الفقر واليسر هو العسر لا بل الفقر على هذه الصفة والقضية أحسن من الغنى حالا وأقل منه أشغالا لأن الفقير خفيف الظهر من كل حق منفك الرقبة من كل رق لا يلزمه أداء الزكاة ولا يتوجه عليه مواجب النائبات ولا يستبضعه اخوانه ولا يطمع فيه جيرانه ولا تنتظر فى الفطر صدقته ولا فى النحر أضحيته ولا فى شهر رمضان مائدته ولا فى الربيع باكورته ولا فى الخريف فاكهته ولا فى وقت الغلة شعيره وبره ولا فى وقت الجباية خراجه وعشره وانما هو مسجد يحمل اليه ولا يحمل عليه وعلوى يؤخذ بيديه ولا يؤخذ من يديه تجنبه الشرط بالنهار ويتوقاه العسس بالليل فى الأسحار فهو اما غانم أو سالم والغنى انما هو كالغنم غنيمة كل يد سالبه وصيد كل نفس طالبه وطبق موضوع على شارعة النوائب ومنصوب على مدرجة المطالب يطمع فيه الاخوان ويأخذ منه السلطان ويتطرقه الحدثان ويتحيف ماله النقصان فاذا كانت حاله حالى فوقع عليه اسم الأغنياء وأصابه من الضر رما يلحقه بالفقراء فقد نظم له بين المحنتين وخرج عليه الزمان من كمينين لان حقوق الاغنياء ترهقه من جانب وتبذل الفقراء ومهانتهم تلحقه من جوانب فلا هو غنى فيتسلى بوفره ولا هو فقير فيستريح الى فقره فهو كمؤدى الخراج وليست له غله وكالراهب المعذب نفسه بالعبادة والخلوه وليست له شريعه فقد جمع المشقة والمضرة الحاضره وخسر الدنيا والآخره ولولا أن تضييع المال ضرب من العجز والاختلال وخصلة من خصال النساء لا الرجال لكنت أترك تلك الضيعة نسيا منسيا وأجعل حديثها بساطا مطويا ولكنى لا أغبن عن الصغير كما لا أبخل بالكبير ولا أغالط فى القليل من حيث لا أضيق فى الجليل ولقد كسدت بخراسان لانى بها موجود والموجود مملول كما أن المعدوم مسؤل وما أرخص الماء اذا وجد وأغلاه اذا فقد وربما غلا الشئ الرخيص والله تعالى أسأل أن يهب ريح الكرم ويطلع نجم الهمم ويجلو عن خلقه صدأ هذه الاخلاق والشيم بمنه وجوده

﴿وكتب الى فقيه ببلاد قومس وقد ورد عليه ابنه للقراءة﴾

ورد على كتاب الفقيه بعد نزاع كان اليه وحرص كان عليه وبعد أن اقترحته على الدهر وخلعت فيه ربقة العزاء والصبر ولم أدر بأيهما أنا أشد سرورا أبالكتاب وهو أيسر واصل أم بحامله وهو أجل حامل فلان ولدى قد اقتطعت له من فراغى فلذة على أنى لو درسته حتى تحفى الاقلام ويفنى الكلام وتحصر الافهام والاوهام ثم لقمته العلم لقمه وسبكت له الأدب نقره وألهمته جوامع الكلم وأفرغت فى خاطره آداب العرب والعجم وخرجت له من حد الافهام الى حد الالهام لكنت فيه عن قضاء حق من حقوق الفقيه قاصرا وكان وقوعى دون أدنى مواجبه على ظاهرا ولكن الاقرار عذر

قوى

قوى كما أن الانكار ذنب طرى وقد كان هذا الولد أديبا مجملا فصار بحمد الله تعالى أديبا مفضلا وكان أغر فصار أغر محجلا وأرجو أن الله تعالى يحيى به ما آثر سلفه الصالحين ويعلى به منازل آبائه الأولين وأن يكون أولهم علما وأدبا وان كان آخرهم ميلادا ونسبا

﴿وكتب الى خلف بن أحمد جوابا عن كتاب يعزيه﴾

ورد كتاب الأمير مضمنا المواعظ التى تفلق الصخر والحكم التى تشرح الصدر يأمرنى فيه بالتأدب بأدب الله تعالى والتنجز لوعوده ويشير على بأن أتدرع درعا من التماسك تردعنى داعية التهالك وفهمته ولعمرى ان الرزية بفلان رحمه الله وان كانت عظيمة تنسى العظائم وتوهى العزائم فان فى عظة الأمير ما يهون الخطب ويكشف الكرب ويداوى القلب ولقد ضربنى الزمان بحد حسامه ورمانى بأنفذ سهامه فان أجرى على سبيلى الاولى فى الجزع وادّرع داعية الوجد والهلع فلعظم خطب الرزيه ولثقل وطأة البليه ونفوذ سهم المنيه وان استسلمت للقضاء واستقبلت قبلة الصبر والعزاء فلبلاغة العظه ولزوم الحجه ولما وفق الأمير له من مداواة القرحه وردّ ضالة السلوه على أنى أوثر الاخرى على الاولى وأحمل الاسى على الاسى لا كتسب بذلك من رضى الله تعالى فى الآجل ذخرا ومن طاعة الامير فى العاجل فخرا فأكون قد نسقت بين الطاعتين واستوجبت بهما الثواب فى الدارين ولا كون قد أصبت بمصيبة أحاط بها أجران وابتليت بعسر اكتنفه يسران فاذا المحنة فرادى واذا النعمة مثنى والله تعالى يرحم الماضى رحمة تضىء قبره وتحط وزره وتضاعف أجره وتلحقه بالنبى صلى الله عليه وآله وعترته وبمواليه وشيعته ليرتع معه فى روضه ويشرب بيده من حوضه وليحشر فى أعلام أهل دينه ويعطى كتابه بيمينه ويطيل عمر الامير حتى يصير حزبه من أبنائه أو يعز نصره حتى يكون خدمه وحشمه من أولاد أعدائه ان رأى الأمير فى هذه المخاطبة لفظة ينبو عن قبولها طبعه ويتجافى عن استماعها سمعه صرف ذلك الى دهش الروعه وشغل القلب بالفجعه على أنا ان أصبنا فبدولته وان أخطأنا فلهيبته

﴿وكتب الى أبى القاسم بن أبى الفرج كاتب ركن الدولة لما عزل﴾

أنا أهنى الدنيا يوم عزلك كما كنت هزيتها يوم ولايتك فلئن عدا اقبالك فى مثالبها لقد ذكر ادبارك فى مناقبها ولئن كانت عوتبت يوم رفعتك لقد أعتبت يوم وضعتك وأنت والله الجليل يسر بفراقه والجليل هنى بطلاقه ولقد كان معرض النعمة قبيحا عليك مستغيثا من يديك كأنك أبا القاسم لم تتول الا لتصديق الاول

وكل ولاية لابد يوما * مغيرة الصديق على الصديق

ولم تعزل الا لتترجم عن قول الآخر

ستعزل ان عزلت ولا يساوى * صنيعك فى صديقك نصف فلس

لا بل كأنك ما قلدت الا ليشتد غيظ الأحرار ويقوى طمع الاشرار ولتصير زيادة فى ذنوب الأيام الى الكرام وحجة عليها للئام ولقد خالفت قول الجحاف

نحن الذين اذا علوا لم يفخروا * يوم الهياج وان علوا لم يضجروا

فلقد فرت فلم تضبط نفسك نشاطا وتمكنت فلم تملك استك ضراطا فضعفت عن احتمال الفرحه كما عجزت عن احتمال الترحه فلم توجد يوم سعدك شاكرا ولا يوم نحسك صابرا فالحمد لله الذى جعل أسك لناءبره ويومك لك نعمه لا عدمنا فالكادار بردك الى قيمتك وصيرحالتك فى وزان آلتك فلازلت بعدها غضيض الطرف راغم الأنف صديقك لا يرحمك وعدوك يظلمك ويتهضمك أقرب الناس اليك أكثرهم بكاء عليك وأدناهم منك أشدهم هربا عنك والسلام على من قال آمين

﴿وكتب الى أبى على الشلغمى بعد أبيات استبطأه فى جوابها﴾

قد حملت الى حضرة الشيخ أبياتا عاتبته بها بل أعتبته فيها وهى عروس كسوتها القوافى وحليتها المعانى ولعمرى لقد زففتها الى كفو كريم وعرضتها من كرمه لقيم عظيم فان كانت خطبت ورضيت فمالرفاء والبنين مائة سنة على مثنين وان تكن الاخرى فقد يصبر الكريم على عشرة من لا يحبه ولا يميل اليه قلبه والعاقل اذا أبغض أنصف واذا أحب ألطف وعلى كل حال ان وجدها الشيخ حرة فليسق الى مهرها وان لم تكن حرة فليوفر على خدرها وليعلم انى غريمه فيها وخصمه عنها والسلام

﴿وكتب الى تلميذ له من فقهاء نيسابور لما هرب من محمد بن ابراهيم﴾

قد كنت أيها الفقيه عزمت على أن أواتر اليك كتبى وأنبئك فيها خبرى وأفضى اليك بعجرى وبجرى وأستأمنك فى جل أحوالى ودقها وفى باطل أشغالى وحقها ولكنى عورضت من المحن بما لم يترك لى قلبا يعقل ولا بنانا يعمل وأقل ما لحقنى غضب الأمير على وهذه حالة يفقد بها العقل ويشيب لها الطفل ويتوقع معها الموت بل القتل ولقد نشبت بين أظفار الحتوف وعلقت بحبالة الحتف فلا أنا لما ورائى آمن ولا لما أمامى آمل وما كنت أحسب أنى أنظر الى قبرى قبل انقضاء عمرى ولا أنى أرى شخص ملك الموت فى حياتى قبل أن يحين وقت وفاتى ولعمرى لقد رأى الحاسد ما كفاه وشفاه وأضحكه منى مثل ما أبكاه فلئن كان وشى بى الواشى لقد أبلغ ولئن كان قد تعنى فى افناء أجلى لقد فرغ ولقد كنت أرجو أن يسعنى ما وسع الأحمر والأسود ويشملنى ما شمل الأدنى والأبعد ولقد اعتذرت فان عذرت فاليوم قبرت ثم نشرت وان تكن الأخرى

فهذه عذرة ان لا تكن نفعت * فان صاحبها قد تاه فى البلد

فالى أين المهرب من الفلك الدوار ومن القدر الجار ومن الليل الذى هو مدركى (وان خلت أن المنتأى عنه واسع) ومن المجير من رجل الأنام تحت ملكه والأيام منخرطة فى سلكه وهل الهارب من المجدود الا كالهارب اليه وهل الصادر عنه الا كالوارد عليه ومن ذا يزاحم ركن الزمان ومن ذا يبيت على وساد الثعبان ومن ذا يرجو الدواء والموت داؤه ويثق بالاصدقاء والأيام أعداؤه فلان قد أحسن المحضر وحارب عنى القضاء والقدر وليس الكرم من مثله ببديع ولا الجميل من أهل بيته بنزيع وانما يجرى على عرق جاذب ويعمل على قياس واجب وانى لأتلهف عليه تلهف آدم على الجنه وأحبه حب الصحابة للسنه وأشتاق اليه شوقه الى وجه سؤاله وأعشقه عشقه لبذل نواله

﴿وكتب الى أبى على البلعمى لما بلغ منه وخرج توقيعه اليه بالتقريع﴾

ذكر الشيخ انى تنقلت بعرضه المصون وتعدلت بقدره المكنون المخزون وقد كنت أحسب الشيخ أمنع على السعاة جانبا من أن يقرعوا صفاة حلمه ويخترقوا بأباطيلهم طريق عزمه وحزمه ولقد هدم على الوشاة حصنا كنت أعددته وحلوا عقدا وثيقا كنت عقدته وسلبونى علقا نفيسا اشتريته بنفسى لا بمالى وحاربونى بعدة كنت أحسب أنها لى ولقد كنت أرى البعيد به قريبا منى وأسرى فى الظلماء بضوء رضاه عنى

فمن لى بالعين التى كنت مرة * الى بها فى سالف الدهر تنظر

وها أنا هارب من نفسى فانها ان غضب الشيخ على أقرب أعدائى الى ومتهم لأعضائى فانها عيونه وجواسيسه لدى ومن عاداه الشيخ حاربته نفسه وزحف اليه نحسه وصار خير يوميه أمسه

ولا ثبات على نهش الاساود لى * ولا قرار على زأر من الأسد

لعن الله من يفسد ذات البين ويسعى بالنميمة بين المحبين فلقد حارب بسلاح كليل الا أنه قطع وضرب بعضد واهية الا انه أوجع وانما النمائم من سلاح النساء ومن حصون الضعفاء

﴿ وكتب الى أبى على اليعلى لما طال عتابه وكثرت رقاعه اليه ﴾

لو بغير الماء حلقى شرق * كنت كالغصان بالماء اعتصارى

كيف يقدر أبقى الله الشيخ على الدواء من لا يهتدى الى أوجه الداء وكيف يدارى أعداءه من لا يعرف الاصدقاء من الاعداء وكيف يعالج علة القرحة العمياء أم كيف يسرى بلا دليل فى الظلماء أم كيف يخرج الهارب من بين الأرض والسماء الكريم أيد الله الشيخ اذا قدر غفر واذا أوثق أطلق واذا أسر أعتق ولقد هربت من الشيخ اليه وتسلحت بعفوه عليه وألقيت ربقة خيانى وعاتى بيديه فليذقنى حلاوة رضاه عنى كما أذاقنى مرارة انتقامه منى ولتلح على حالى غرة عفوه كما لاحت عليها مواسم غضبه وسطوه وليعلم أن الحر كريم الظفر اذا نال أقال وأن اللئيم لئيم الظفر اذا نال استطال وليغتنم التجاوز عن عثرات الأحرار ولينتهز فرص الاقتدار وليحمد الله الذى أقامه مقام من يرتجى ويختشى وركب نصابه فى رتبة شاب الزمان ومجدها فتى وأخلق العالم وذكرها طرى فضله فى الميلاد كريمها وسليلها وفى الرتبة قدوتها وجليلها وليعتقد أنه قد هابه من استتر ولم يذنب من اليه اعتذر وأن من رد عليه عذره فقد أخرج الى الشجاعة بعد الجبن وأخرج ذنبه الى محن اليقين من سترة الظن وفق الله تعالى الشيخ لما يحفظ عليه قلوب أوليائه وعصمه عما يزيد به فى عدد جماجم أعدائه وليس بين الموالاة والمعاداة الا لقية بشعة أو لفظة قذعة

﴿ وكتب الى ابن سمكة القمى من أصفهان وقد أهدى اليه مع كتابه هدية ﴾

لما وردت الناحية تسالبونى تسالب الطرفه وتهادونى تهادى الشمامه ووزنونى بمعيار الامتحان وأجرونى فى ميدان الرجحان والنقصان فوجدونى بحمد الله جوادا يجرى ما وجد مذهبا وهزوا سيفا يقطع ما صادف مضربا ولقد عاينوا رجالا هون عليهم من قبله وبغض اليهم من بعده وأجلت الغيرة عن المزور وهو حامد وعن الزائر وهو شاكر حملت الى سيدى كذا غير طامع فى قضاء حق من حقوقه على ولا شق غبار حسنة من حسناته لدى ولو أهديت اليه تاج كسرى وخراج الدنيا وخاتم

قوله أبى على الخ لعله عين سابقيه والأصل محرف وليحرر اه مصححه

سليمان وذخيرة الهرمزان وصدقة البصره وجوهر الشمه وكسوة الكعبة مع الدرة اليتيمه مع جواهر الخلافة نعم ولو أتحفته بمال قارون الاسرائيلي وكنز النطف بن جبير التميمي وملك عمرو بن حريث المخزومي ولو كسوته البردة النبويه وأعطيته الشطرنج الكسرويه ولو غرست شجرة طوبى في داره وأجريت نهر الكوثر على بابه وجعلت ارم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد في قبضته ولو قلت فيه ما قال حسان بن ثابت في آل جفنه ومدحته بما مدح به زهير هرم بن سنان بن أبي حارثه وشهدت له بما شهدت به الخنساء لأخويها صخر ومعاويه وصنفت فيه ما صنفه الجاحظ في محاسن أحمد بن دواد الايادي وأغرقت فيه اغراق الامامية في المهدي وفضلته تفضيل الشيعة للوصي عليه السلام واعتقدت فيه اعتقاد النصارى في المسيح أولا واعتقاد الثنوية في ماني ثانيا وانقطعت اليه انقطاع الأخطل الى بني مروان واعتذرت اليه من تقصيري في مدحته اعتذار النابغة الى النعمان ثم لم أدع بيتا نادرا ولا مثلا سائرا الا جعلته سلكا أنظم به محاسنه وقيدا أقيد به مناقبه حتى أفني في ذلك بياض سمرقند وأحفي أقلام مصر وواسط وأشغل فيه وراقي الكوفة وكتاب السواد فانهم منبع هذه الصنعه ومعدن هذه الحرفه لا بل لو تجردت لمدحه تجرد السيد الحميري للطالبيين وتجرد مروان بن أبي حفصة للعباسيين وأتعبت في ذلك الكرام الكاتبين حتى تركتهم محسورين لاغبين ولكني اذا اقررت عذري وأقررت بتقصيري نسبري وقصور قدري فقد جاوزت عقب الاسترادة وسيدي أعلم بخفايا عقدي وأعرف بحاله عندي

﴿وكتب الى تلميذله لما تخلص من يد محمد بن ابراهيم﴾

كتابي وقد خرجت من البلاء خروج السيف من الجلاء وبروز البدر من الظلماء وقد فارقتني المحنة وهي مفارق لا يشتاق اليه وودعتني وهي مودع لا يبكى عليه والحمد لله تعالى على محنة يجليها ونعمة ينيلها ويوليها كنت أتوقع أمس كتاب الشيخ بالتسليه واليوم بالتهنيه فلم يكاتبني في أيام البرحاء بأنها غمته ولا في أيام الرخاء بأنها سرته وقد اعتذرت عنه الى نفسي وجادلت عنه قلبي فقلت أما اخلاله بالأولى فلانه شغله الاهتمام بها عن الكلام فيها وأما تغافله عن الأخرى فلانه أحب أن يوفر على مرتبة السابق الى الابتداء ويقتصر بنفسه على محل الاقتداء لتكون نعم الله سبحانه علي موفورة من كل جهه ومحفوفة بي من كل رتبه فان كنت أحسنت الاعتذار عن سيدي فليعرف لي حق الاحسان وليكتب الي بالاستحسان وان كنت أسأت فليخبرني بعذره فانه أعرف مني بسره وليرض مني بأني حاربت عنه قلبي واعتذرت عن ذنبه حتى كأنه ذنبي وقلت يا نفس اعذري أخاك وخذي منه ما أعطاك فمع اليوم غد والعود أحمد

﴿وكتب الى أحمد بن شبيب﴾

ورد كتاب صاحب الجيش مكتوبا بيد خلقت للسيف والقلم بل خلقت لبذل الدينار والدرهم بل خلقت لامساك العنان والعلم بل خلقت للنعم والنقم بل خلقت لجمع آداب العرب والعجم فرأيته لما رأيته وحفظته لما لحظته ولو أنصفته لجعلت الفلك صحيفته والدهر راويته ولما أجلت فكري فيه واحطت علما بمعانيه ورفعت طرفي وخاطري في مقاطعه ومباديه وتفكرت في رتبة صاحب

الجيش

الجيش فى الرتب وفى رتبة كتابه فى الكتب أنشدت

ولما رأيت الناس دون محله * تيقنت أن الدهر للناس ناقد

ولو أنصفت هذا الكتاب لما فرغت منه الى الجواب عنه ولكن بعض الأجوبة خدمه كما أن بعض الابتداآت نعمه

﴿وكتب اليه لما خرج من حبس محمد بن ابراهيم﴾

كتبت أيد الله صاحب الجيش وقد خرجت من تلك الاهوال خروج المشرفى من الصقال لا بل خروج البدر من خلال السحاب وحالى الآن بين الرجاء والقناعة متماسكه والحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله صفوة الله ووصل كتاب صاحب الجيش وأفادنى من خبر سلامته ما غفرت له ذنوب الأيام الى وجناياته على وفهمته ووجدت صاحب الجيش فى غضبه على رقيق صفحة الاحتمال قريب غور الصفح والاجمال مضايقا من حيث يتوسع الكرام مخالفا ما توحيه الاحلام يفطن للذنب الخفى ويتعامى عن العذر الجلى لا ينزل فى المكافأة الا على حكم الاعداء ولا يستقبل بالمعاملة الاقبلة الاستيفاء ولا يعلم أن للعبيد على الموالى ذمة وان كان عليهم حق وأن المماليك من طريق العشرة أحرار وان لزمهم رق هذه حال المملوك فكيف بالحر الذى يأخذ مثل ما أعطى ويستوفى على قدر ما أوفى وأما أنا فانما أدللت على صاحب الجيش لا طرق له الى الاحتمال ولا وفر له نصيبه من الفضل بالادلال وعلى أنه يحمل التواضع على الكبر ويميل مع المحاباة على القدر فاذ قد أخذ بنا فى طريق المؤاخذه وعاشرنا على المكايلة والموازنه فماله عندى الا السكوت حتى يرضى والسكوت بعد الرضى حتى يرضى الدهر فانى أظن أن الدهر لا يرضى عن ذلى الا بقتلى ولا يتوقف عن اعناتى الا عند وفاتى وهلا حارب بنى الدهر بسلاح غير صاحب الجيش فيعلم كيف قراعى للاقران وكيف صبرى على الضراب والطعان ولقد رمانى الادبار بسهم على أنى لم ألبس له جنه ولم أعدّ لدفعه عده فانى والله لست بالصبور على مس العتاب ولا بالقلب على وحشة الأحباب ولانى

لست على عتبك جلد القوى * ولا على هجرك شاكى السلاح

ومن غرائب القضاء ونوادر أخبار السماء انى ما قرأت لصاحب الجيش كتابا أطول من هذا طولا ولا أضفى منه ذيولا فليت شعرى لم طول هذا التطويل وجاء بهذا الكلام العريض الطويل الا أنه لم يشف قلبه الا بلوغ النهاية فى النكايه أم لأنه لما وضعنى تحت القلم درت على أخلاف كتابته وانهارت فوقى أحراف خطابته أم لأنه أراد أن يعرفنى أنه طويل أمد العربده مديد نفس المذمة والمحمده اذا شاء قال واذا قال أطال واذا غضب كان عقابه جليلا واذا رضى كان ثوابه جزيلا ولم يبق لى الآن شئ أعلل به قلبى العليل وأداوى به همى الدخيل الا فرحى بما أسمعه من خبر سلامته فى نفسه نفس الله مدتها وفى أسبابه حرس الله جنبتها ولقد رضيت بالقليل ونزلت على الربح الطفيف ولكن الاماس يلبس العريان وكل الطعام يأكل الغرثان وأستغفر الله ليس علم سلامة صاحب الجيش بالطفيف ولا توزن الموهبة فيه بالخفيف ولكن خوف غضبه قد حيرنى حتى سلبنى عقلى وحتى صيرنى لا أملك قياد قولى وما أعتذر من جبنى فى مثل هذا

المقام الهائل ولا ألام على دهشى لهذا الخطب النازل والشجاعة فى غير مكانها خرق والجلادة على مالا يقتضى الحال حمق

﴿وكتب الى كاتب خوارزمشاه وقد تخلص من المصادرة يشكى اليه وزيرصاحبه﴾

قرأت كتاب الشيخ فكاد سرورى بسلامته لا يفى بندامتى على مفارقته ذكر الشيخ مافتحه الله تعالى عليه من أبواب المن وأغلقه عليه من أبواب المحن فسبحان من اذا أغلق بابا فتح أبوابا واذا قطع سببا أوصل أسبابا واذا بخل عباده فخزائنه مفتوحه واذا قبضوا أيديهم بالرزق فيده مبسوطه وأنا الى الشيخ مشتاق شوقا لو قسم على القلوب لما أحصوه ولم يدع فيها سلوه وما أشكر نفسى على أن تشتاق الى من لاترى منه بديلا ولا تجد النفس الى السلو عنه سبيلا وبحسب الشيخ أن طرفى بطرفه معقود وأن باب نسيانه وتناسيه على مسدود وأنى اذا أصدرت كتابى اليه بالسلامة مع أن قلبى غير سليم من الألم ولا صحيح من ألوان السقم فانما أريد بذلك التفاؤل للكتاب واتباع رسوم الكتاب فلان قد بلغنى اطنابه فى ذكرى وتفضيله لى على أهل عصرى وهذا سلف أسلفنيه وأنا بمعونة من الله تعالى أؤديه وما أزن نفسى بالصحبة التى بها يزننى ولا أزينها بالفضل الذى به يزيننى فان كان كما قال فله الفضل دب الى وخرج من الكمين على لأنى عاشرته فأعدانى فضلا وهذبنى قولا وفعلا وأنا فى ذلك جنبته ان رضينى جنيبه وخليفته ان قبلنى خليفه ولقد أغرب ذلك الحر على أهل دهره وخالف طريقة غيره حين ذكرنا ونحن أصدقاء العسره واخوان الفتره فلم يغيره السلطان ولم يصفه الشيطان ولقد شهد له وحده بأنه كريم ومن اللوم واللؤم سليم على قضية قول أبى تمام

وان أولى البرايا أن تواسيه * عند السرور لمن واساك فى الحزن

ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا * من كان يألفهم فى المنزل الخشن

وشهادة أبى تمام فى الكرم تقوم مقام شهادة أمة بل أمم ولئن كان خزيمة بن ثابت ذا الشهادتين عند الأنبياء والحكام فان أبا تمام ذو الشهادتين عند الأحرار والكرام ولى على ذلك الولد حق الابوه كما أن له على حق البنوه والآباء أبوان أب ولاده وأب افاده فالاول سبب الحياة الجسمانيه والآخر سبب الحياة الروحانيه

﴿وكتب الى وزير خوارزمشاه لما نكب﴾

قد امتدت مدة هذا البلاء وأوهمتنا ان الدار دار البقاء لا دار الفناء وصار الخطب فيها سببا من أسباب سوء الظن بالأنام وداعية الى قلة الاستنامة الى الأيام [م] ونصرة لفعال اللئام ولقد عجبت من ذلك الامير كيف استبدل العبيد بالاحرار وكيف تحول من ظهر الفرس الى ظهر الحمار كأنه لم يسمع فى الخبر بدل الاعور يزيد قول الشاعر

أقتيب قد قلنا غداة أتيتنا * بدل لعمرك [م] من يزيد الأعور

ولما سمعت أيد الله الشيخ بهذه الآبدة النادرة التى تضحك الثكلى وتترك العقول حيرى قلت لا اله الا الله وما أعرف لها فائدة الا أنها أنطقت الناس بالتوحيد وان كان على وجه التعجب لا على وجه التهليل والتمجيد اللهم اجعلنا ممن يتعجب اذا رأى العجائب ويغرب ضحكا اذا سمع الغرائب فانه

[م] قوله ونصرة لفعال اللئام فى نسخة بدل ذلك قوله الى حد التهمة والتكذيب وعجيب البخ ا ه

[م] قوله يزيد هو يزيد بن المهلب لما ولى بعده قتيبة بن مسلم ا ه

فانه اذا كثر العجب زال التعجب

على أنها الأيام قد صرن كلها * عجائب حتى ليس فيها عجائب

فأما الآن وقد كان ما كان فانى أرى للشيخ أن يلبس للدهر ثوبا من الصبر ثخينا ويولى حوادثه ركنا من التماسك ركينا وأن تجده الأيام حرا وأن تصيبه الحوادث اذا ذاقته مرا وأن يدارى مع ذلك سلطانه ويصغر بلسانه اساءته ويكبر احسانه ويروض لسانه فى الخلوة على شكره لئلا يجمع به فى الجلوة الى غيره فانما أيام المحنة موج من تطأطأ له تخطاه ومن وقف على طريقه أرداه ومن قابل أيام الادبار بوجهه صدمته ومن قاتل عساكر الاقبال فى أيام كرهها هزمته ومن طالب السلطان بالنصفة طالب عسيرا ومن حاسب على قليل من العنت لقى كثيرا وآفة الناصح آلته وعيب الكامل فى وقت المحنة دالته لانه يطالب بثمن نصيحته ويدل على صاحبه بكفايته ويعتقد أن طول الخدمة آكد حرمه وأن تأكد الحرمة عنده قرابة ولحمه ولعمرى ان ذلك كان كذلك ولكن الغضب ينسى الحرمات ويدفن الحسنات ويخلق للبرىء جنايات * وأن أمير المؤمنين وفعله لكالدهر لا عار بما فعل الدهر *

* وكتب الى أبى محمد العلوى يعاتبه *

لولا أنى لا أحب أن أفتتح كتابى الى السيد بعتاب وأن أكلفه الى تكلف حجة وجواب لوجد سهامى فى الملام مسدده وسيوفى فى التقريع محدده واعلم أنى اذا ضربت بلسانى لم تقم ضريبتى واذا رميت لم تنج رميتى ورد كتاب الشريف أيده الله وهو الكتاب الشريف كاتبا السعيد حاملا المغبوط ناسخا المحسود راويا وفيه الكلام الذى لا يبليه الزمان ولا تمجه الآذان وقد أفرد السيد فيه كل واحد من أوليائه وشيعته بلطف وتناوله من البر والتحف بطرف غيرى وما كنت أعلم أنى سكيت الحلبه ولا أنى ساقة الكتيبه ولا أن اسمى آخر الجريده ولعمرى ان شيعة السيد لكبار ولكنى لا أصغر عنهم وأنهم لكثير ولكن مثلى لا يضيع فيهم وأعوذ بالله من الكساد فانه أخو الفساد وأستجيره من أن أكون محبا غير محبوب فان المحبة شجرة لا تثمر الا على عرقين وسقف لا يبقى الا على عمادين وصفقة لا تتم الا ببيعتين وان قوما أنا أصغرهم لكبار وان أمة أبو ذر شرها لخيار خرج السيد فخبا نجم العلم وأفلت شمس الأدب وانهدم ركن السخاء وفل سيف العطاء وغارت عين الأريحيه وانثلم جانب الانسانيه وانهزمت عساكر الكرم واغبر وجه السيف والقلم ونضب ماء الحياء وركدت ريح البهاء وخرب بنيان العقل وتضعضع جبل التوحيد والعدل وأخلقت ثياب الافضال والفضل وتهافت نظام القول والفعل ومرج حبل السخاء والبذل وأنشد كل من وجد من فقده ونظر الى شكل المكارم من بعده

ما حال من كان له واحد * يؤخذ منه ذلك الواحد

وأنا من بين الجماعة كالواله الثكلى وكالفاقد الحرا

أقلب طرفى لا أرى من أحبه * وفى الدار ممن لا أحب كثير

اذا نظرت الى عرصات المكارم والمجد خاليه والى رباع الفضل عافيه والى سدة الشرف وقد خلا

جنابها واصطفقت أبوابها أنشدت

وأصبح بطن مكة مقشعرا * كأن الأرض ليس بها هشام

وقد رحل السيد الى حضرة رجل هو للكرم أنشى نفسا وللفضل غمل شخصا اذا ناظره العربي صار أعجميا واذا ناظره الأعجمي صار عربيا واذا رآه المعجب بنفسه طلق كبره وفارق فخره فهو رفيق الجود وخليله وزميل الكرم ونزيله وغرة الدهر وتحجيله حضرته حضرة الآجال والأموال لا بل حضرة الأقوال والأفعال لا بل حضرة الرجال تنصب اليها مواد الرغبات وتنشد فيها خيول الطلبات من تأمله علم أن الله تعالى فرق المحاسن على أهل كل زمان وجمعها في زماننا هذا في انسان فسبحان من اذا شاء خص بعض عباده بالفضل ورفع بعض بلاده على بعض بالأهل من غير أن يكون ظلم أحدا أو حابى أحدا وصف عراقي خراسان فقال نساؤها كرجالنا ورجالها كجمالنا ورأيت أنا أصفهان فقلت صبيها كرجالنا ورجلها ككهلنا وكهلها كشيخنا وشيخها كنبيينا ولم لا يخرج أهل تلك البلدة في قالب الكمال ولا يستوفون شرائط الرجال ولا ينظمون في طرق القول والفعال وهم يرون كل يوم واردا ويشهدون وافدا ويسمعون نغمه ويطالعون نعمه لان فيهم مثابة الجود وقرارة الوفود وكعبة الآمال ومحط رحال الرجال وهم يلتقون على باب الوزير مع كل كاتب وحاسب ويجلسون في سدته مع كل ناثر وشاعر ولا يعدمهم أن ينظروا الى ذي صناعة معاشية أو معادية والى ذي آلة رياضية أو عقلية فترق ألسنتهم وتصفو أذهانهم وتتنزه أبصارهم وتدق أفكارهم لاقتباسهم علم كل مكان واستماعهم تبيان كل لسان ولترددهم بين اللغات المختلفة وبين الأخلاق المتمايزة فهم يبصرون فيستبصرون ويرون فيرون ويسمعون فيحفظون وأين بهم عن ذلك وهم يترددون في مغيض العلم والأدب وينزلون في موسم العجم والعرب هذا الى ما يسمعونه من كلام الوزير الذي لو سمعته الوحش أنست ولو خوطبت به الخرس لنطقت أو استدعيت به الطير نزلت ومن جالس صاحب صناعة حذقها ومن طال استماعه الحكم نطقها ونعم المعلم الجوار ونعم الرسول الاستماع والابصار كتاب كذا يجب أن يجعل المنع منه صوانه والعين بل القلب مكانه فان الغيرة على الكتب من المكارم لا بل هي أخت الغيرة على المحارم والبخل بالعلم على غير أهله قضاء لحقه ومعرفة لفضله واني لأحسد على الورقة ما لا أحسده على البدرة وأنافس في حرف أو حرفين ما لا أنافسه في ألف دينار أو ألفين وأغار على الأدب الكريم من المتأدب اللئيم

وأرثي له من موقف السوء عنده * كمرثيتي للطرف والعلج راكبه

ولوددت أن يكون الأدب في جبهة الأسد ولو أصبحت الدفاتر في أنياب الأسود ووددت أن يبعث ورقة بدينار أو كتب دفتر بقنطار فلا يتأدب الاشجاع كمي ولا يحرز الدفاتر الا جواد سخي طولت على السيد وأكثرت وهذيت فيما حررت وسطرت ولسان العذر ناطق بالضجر

وكتب الى أبي العباس كاتب محمد بن ابراهيم وقد طلب منه نسخة رسائله

قد استلفت الشيخ من شكري ما أوجب عليه صلاح أمري والسفارة بيني وبين دهري والسلف

في

فى الدراهم محظور مستقبح وفى الشكر مباح مستملح وحاجتى هذه من صغار الحوائج ولكن كرم الشيخ يسع جلائل الأمور ودقائقها وكنت طويت مسئلة الشيخ فى أدراج المتاركه ودخلت بها فى باب المساكته ثم ردّنى اليه أنى لم أرمعبر الكرم الا عليه ولم أرمنبع الأرزاق الا من يديه طلب الشيخ شيأ من رسائلى فرحبا بأنجح طالب وأكرم خاطب ومن سعادة الصهر كرم أختانه ومن اقبال الكاتب والشاعر شرف من نظر فى ديوانه ولو قدرت لجعلت الورق من جلدى بل من صحن خدى والقلم من بنانى والمداد من ماء أجفانى ولأمليت هذه النسخة على السفرة البرره ليكتبوه بيد العصمه ويخلدوه فى بيت الحكمه بل لو علمت أن مثل الشيخ يطلبه وأن مثل يد الشيخ بسطها الله بالخيرات تكتبه لحاسبت عليه بقلبى ولسانى أدق حساب وطالبت شيطانى بتهذيبه وتنقيحه أشد طلاب ولقلت لخاطرى دقق طرزك وجوّد برزك فان المبتاع كريم والثمن عظيم وقد قيل الراوية أحد الشاعرين وأنا أقول الرواية أحد الشعرين

﴿وكتب الى أبى الحسن عبد العزيز صاحب ديوان الرسائل﴾

كتابى عن سلامة لا أتهنى بها الا بسلامة الشيخ والحمد لله على سلامته وعلى سلامتى فى جملته وصلى الله على سيدنا محمد النبى وعترته لما وردت هذه الناحية وجدت النجاح تقدمنى اليها وانتظرنى لديها فنزلت منه فى أوسع منزل وعلى أكرم منزل أكرمنى نازلا وشيعنى راجلا وقضى حاجتى عاجلا وآجلا والجملة أن الشيخ وجد أمرى ميتا فأحياه ورأى النجاح منى بعيدا فأدناه وصادف اقبالى مريضا فداواه ولقد أراحنى الشيخ ببره بل أتعبنى بشكره وأقرّ عينى بصادق قيامه لا بل شغلنى بتعديد احسانه وانعامه وخفف ظهرى من ثقل المحن لا بل أثقله بأعباء المنن وأحيانى بتحقيق الرجاء لا بل أماتنى بفرط الحياء فأناله بعد اليوم عتيق وأسير بل طليق ومن أنقذ انسانا من الفقر وانتاشه من مخالب الدهر وفكه من اسار العسر فقد أعتقه من الرق الأكبر ونجاه من الموت الأحمر والرق رقان رق الملك ورق الهوان والاسر أسران أسر العدو وأسر الزمان ولست أرضى لشكر السيد لسانى ولا بنانى ولا أستصلح لذكر ما آثره وآثاره كلامى فانى ولا كفران لله كليل شفرة الكلام ثليم وقع الاقلام قصير رشاء اللسان قريب غور البيان ولكنى أستعين فى ذلك بألسنة أصدقائى وأقلام معارفى وأودّائى فنجتمع عليه ونهدى ما نلفقه بيننا اليه لا زال الشيخ للاحرار مسددا ولسانا ويدا وعمادا معتمدا ولا زالت الألسن عليه بالثناء ناطقه والقلوب على مودته متطابقه والشهادات بالفضل له متناسقه ولا زالت أولياؤه مستذرين بأفيائه منيخين بأفنائه وعفاته مستعلين به على أعدائه وجعلنى الله فداءه ان كنت أصلح لفدائه وأحسن عنى جزاءه اذ كان أوسع لجزائه وأطال بقاءه اذ كان بقاء المكارم فى بقائه

﴿وكتب الى أبى سعيد المستوفى بناحية محمد بن ابراهيم من هراة﴾

وردت الناحية بعد ما قاسيت السير والسرى وخضت غمار المهالك والردى ونظرت الى الآخرة وأنا فى الدنيا وأول ما مربى سوء الدخول على ظهر الحمار ومعاشرة الحمار على أن الحمار أيضا حمار الا أنه قصير الأذنين يمشى على رجلين وكأنى كنت بين حمارين الا أنى كنت بين جنسين غير أنى

أدركت المراد وحمدت المراد وساعدني الزمان وما كاد ومن تعلق بذيل المقبل أقبل ومن جعل مثل الشيخ سلما فقد وصل فها أنا ذا للشيخ صنيعه ولأمره تابع وجنيبه وظيفتي في الملأ شكره وفي الخلاء ذكره

﴿وكتب اليه﴾

قضيت بهذه الناحية حاجتي وعمرت بعد الخراب حالتي اذ سرت اليها متمطيا عناية الشيخ بي ومرافقا نظره لي ولولا سكون قلبي الى حفظه على ما ورائي وقيامه دوني في وجوه أعدائي لما تقدمت الا وقلبي متأخر ولا أقبلت الى مقصدي الا وعزمي متذبذب فان القلب اذا اشتغل بما وراءه لم ينفذ رأيه فيما أمامه والرجل اذا قيدها عقال الوجل لم تنطلق نحو مظنة الأمل فسبحان من ذخر لي من الشيخ كنزا ووهب لي من جانبه شرفا وعزا وجعلني أطير بجناحيه وأتناول ما أريد عن يديه واذا مات ملكي أحياه واذا تبلد بختي أمضاه واذا سخط علي دهري أرضاه فلا جرم لقد ملكني ملكا لا تنحل عقدته ولا تخاف عهدته لا سلبني الله تعالى النعمة ببقائه ولا نزع عني ثوب الجمال ببهائه

﴿وكتب الى فقيه هراة بعد أن خرج منها عليلا﴾

تأخرت كتبي عن حضرة الفقيه لشواغل كثيرة العلة صغراها والعقلة وسطاها والغيبة كبراها ومالي عذر في واحدة منهن ولا منهن كلهن ولكن المحجوج بكل شيء ينطق والغريق بكل حبل يتعلق ولقد عققت الود وظلمت العهد ونصبت جنبي للملام واستهدفت لسهام الكلام وكأني بجيش العتاب وقد زحف الي وحمل علي والتقريع على مقدمته والتوبيخ على ساقته والهجر الصرف على مجنبته فارقت تلك الناحية والحمى رفيقي وزميلي والنافض عديلي وزميلي وقد ودعت الدنيا وحصلت في مخالب أبي يحيى حي اليأس والوسواس ميت النفس والأنفاس لا تطيعني يدي ورجلي ولا يساعدني لساني وعقلي أبعد شيء عن الحياه وأقرب شيء الى الوفاه لا أظن عمري الا حسوة طائر أو لفتة ناظر ثم ساق الله الي عافية أخرجت من الكمين ولم تهجس لي في الظنون فجاء اسمي من جريدة الموتى ورجعت الى الأولى من الأخرى وعاش الأمل ومات الوجل ولو أني معتزلي لقلت وتأخر الأجل فالحمد لله الذي قرب الأجل ثم أخره وأورده حوض المنية ثم أصدره لا بل أماته ثم أنشره وحقيق أن نشكر بالا اذا ابتلي عوض الأجر واذا عافى عرض للزيادة بالشكر حمدا تتصل أمداده ولا تفنى أعداده

﴿وكتب الى تلميذه ورد عليه كتابه بأنه عليل﴾

وصل كتابك يا سيدي فسرني نظري اليه ثم غمني اطلاعي عليه لما تضمنه من ذكر علتك جعل الله أولها كفاره وآخرها عافيه ولا أعدمك على الأولى أجرا وعلى الأخرى شكرا وبودي لو قرب علي متناول عيادتك فاحتملت عنك بالتعهد والمساعدة بعض أعباء علتك فلقد خصني من هذه العلة قسم كقسمك ومرض قلبي فيك لمرض جسمك وأظن أني لو لقيتك عليلا لانصرفت عنك وأنا أعل منك فاني بحمد الله تعالى جلد على أوجاع أعضائي غير جلد على أوجاع أصدقائي ينبو عني سهم الدهر اذا رماني وينفذ في اذا رمى اخواني فأقرب سهامه مني أبعد سهامه عني كما أن أبعدها عني أقربها مني شفاك الله وعافاك وكفاني فيك المحذور وكفاك ووقع جنبك وغفر ذنبك وآمن سربك وشرح قلبك وأعلى كعبك

(وكتب

﴿وكتب اليه وقد ورد كتابه بافاقته وحمل اليه تفاحا﴾

وصل التفاح فى طيب نشرك وحلاوة نظمك ونثرك وحسن ذكرك وكان أعبق من كل طيب غير خلقك وأحسن من كل حسن غير خلقك وعدتنى سرعة انكفائك وذكرت افراقك من دائك فما أدرى على أى الخبرين كان شكرى لله تعالى أكثر عددا وأكثف مددا وبأية البشارتين كانت نفسى أسر وعينى أقر صدق الله تعالى هذه البشرى وأتم عليك هذه النعمى وها أنا قد مددت الى الطريق عينى وأخذت أعد الخطا بينك وبينى أحسب كل انسان رسولا وكل شخص كتابا الى محمولا فجعل الله اتحافنا بنفسك ولا حرمنا حظنا من أنسك

﴿وكتب الى كاتب من كتاب الحضرة﴾

تأخر عنى كتاب شيخى حتى نسيت أيام المراسله وصرت أرى فى المنام أوقات المكاتبة والمواصله وحتى ظننت أن الأقلام قد حفيت وأن القراطيس قد فنيت وأن الكتابة قد نسيت وأن المطالعة والمفاوضة قد طويت وأن المداد قد صار فى جبهة الأسد أو يجلب من السوس الابعد وأن الدولة قد أصبحت أميه وأن الدولة بل الملة قد عادت أعجميه ثم راجعت فناظرت نفسى فوجدت الذنب مقسوما بينى وبينه فتحملت حصته منه وانفردت بجميعه عنه وذلك أنى خرجت وسافرت هذه السفره فأوقعت فى الحال الفتره والغائب ملغى أوملق ومنسى أومتناسى فلان كان أفقر من الأنبياء فان فقراءهم أكثر من الأغنياء وأعرى من الحيه وأنقى كيسا من الراحه يده صفر ومنزله قفر وغداؤه الخوى وعشاؤه الطوى ووطاؤه الأرض وغطاؤه السماء وادامه التشهى وطعامه التمني وراحته زوجته ورجله مطيته لا يرى الدرهم الا فى المنام ولا يحس الدينار الا بالأوهام ولا يسمع الا فى أضغاث الأحلام بابه مجلس الغرماء وذيله متعلق الخصماء قد ضرب عليه الخذلان رواقا وبنى فوقه الادبار طاقا ونشز عليه الرزق وحرمه الخالق والخلق واسع المنى ضيق الفنا أفرغ دارا من فؤاد أم موسى عليه السلام لو مرت به الريح لأخذتها ولو زأر الذئاب لطمع فيها خصيب العين جديب البطن لان العين تشبع نظاره ولا يشبع البطن الا عن حقيقه كأن الأرزاق قسمت ورزقه غائب وكأن البخوت وضعت وبخته هارب وكأن الفلك يعاديه والدهر يناويه وكأنه أثكل الرزق ولدا وكسر له رجلا ويدا فعمدت اليه فجبرت كسره وطردت عنه فقره وحاربت دهره وزففته زف الهدى الى الفنا وعللته تعليل الصبي بالمنى ورأيت حاله قد انحرفت انحرافا لا يتدارك وانحلت انحلالا لا يتماسك فلم أزل أرفو خرقها وأرتق فتقها وأجلو عنها صدأ الادبار وأغسل عن أطرافها وضر العسر والاقتار فها هو الآن رأى بيده ضوء الدرهم والدينار فطوى مراحل العسر الى اليسار حتى نسى نفسه وجحد أمسه وتطاول بيد قصيره وتعظم بنفس حقيره وقلب على مجن غادر وصافح نعمتى عليه بيد كافر وقبح لقاؤه لى وكان حسنا وخشن مسه على وكان لينا فلما رأيت سوء جواره لنعمة الله تعالى وتركه التأدب بأدب الله وجهله حق رزق الله رددته الى قيمته وجعلت نقمته فى وزن نعمته ونزعت عنه قميص عافية أساء لبسه واستعماله ولم يعرف له بهاءه وجماله وتعلقت بذيل ذلك المال وقد كاد يفوت ورددت اليه روحه وقد ابتدأ يموت فمن رآنى قلبتهم

على الدرهم يديه وليوكل به عينيه وليجعل وكيله نفسه وقهرمانه كيسه وشريكه قفله وحارسه عقله وخادمه خاتمه وصديقه صناديقه وليعلم أن درهمه اذا فارقه لم يرجع اليه واذا صافح يد غيره لم يصافح يديه واذا أعطاه أباه أو أخاه فقد زاد به فى عدد أعدائه كما نقص من عدد أصدقائه ومن أراد أن يشترى الأعداء بماله وأن يحارب عينه بشماله فليخالف طريقتى ولا يقبل نصيحتى

﴿وكتب الى صاحب ديوان الحضرة﴾

كتابى الى الشيخ من الديوان وأنا فيه ملتحق بالحرمان مشتمل بالذل والهوان قاعد بين النقصان والخسران عن يمينى مستخرجان وعن يسارى وكيلان والحمد لله على تصاريف الدهر وأحواله وصلى الله على سيدنا محمد النبى وآله قد أحفيت قلمى ويدى فى كتبى الى الشيخ أخطب نظره لى وأنشد ما أضللته من عنايته بى فلم يعطف على عطفه ولم يشغل بجانبى طرفه واذا الدبارى صمت لا يسمع الدعوى ولا يقبل الرقى وما أشكو الانحسى ولا أهجو الانفسى وما خصمى غير حرمانى ولا قرنى الا زمانى ورد علينا فلان ونحن نيام نوم الامنه وسكارى سكر الثروه ومتكئون على فراش العدل والنصفه فما زال يفتح علينا أبواب المظالم ويحلب فيناضرعى الدنانير والدراهم ويسير فى بلاد نا سيرة لا يسيرها السنور فى الفار ولا يستحيرها المسلمون فى الكفار حتى افتقر الاغنياء وانكشف الفقراء وحتى ترك الدهقان ضيعته وجحد صاحب الغلة غلته وحتى نشف الزرع والضرع وأهلك الحرث والنسل وحتى أخرب البلاد بل أخرب العباد وحتى شوق الى الآخرة أهل الدنيا وحبب الفقر الى أهل الغنى وحتى لقب بالجراد وكنى أبا الفساد وحتى صار الدرهم فى أيامه أقل من الصدق فى كلامه وصار الأمن فى أعماله أعز من السداد فى أفعاله فليته اذ أوحش الرجال حصل المال وليته اذ ضيع المال أرضى الرجال ولكنه حرم الاثنتين فأفلس من الجهتين ووالله ما الذئب فى الغنم بالقياس اليه الا من المصلحين ولا السوس فى الخز فى الصيف عنده الا من المحسنين ولا الحجاج بن يوسف الثقفى فى أهل العراق الا أول العادلين ولا يزدجرد الاثيم فى أهل فارس بالاضافة اليه الا من النبيين والصديقين ولا فرعون فى بنى اسرائيل اذا قابلته به الا من الملائكة المقربين فان كنا به معاقبين فقد تنقضى مدة العقاب وتختم صحيفة العذاب وان كان الفلك غلط به والزمان أخطأ فيه فقد يراجع الغالط حسه ويحاسب المخطئ نفسه فيجبر ما كسر ويتلافى ما بدر والسلام

﴿وكتب الى أبى الوفاء صاحب جيش عضد الدولة﴾

كتابى وأنا بما يبلغنى من صالح أخبار الشيخ مغتبط ومسرور وبما يعرفه الزمان وأهله من اعتضادى به مصون موفور والله على الاولى محمود وعلى الاخرى مشكور التطفل وان كان محظورا فى غير مواطنه فانه مباح فى أماكنه وهو وان كان فى بعض الاحوال يجمع عارا ووزرا فانه فى بعضها يجمع فخرا وذخرا ورب فعل يصاب به وقته فيكون سنه وهو فى غير وقته بدعه وقد تطفلت على الشيخ بهذه الاحرف أخطب بها مودته اليه وأعرض فيها مودتى عليه وأسأله أن يرسم لى فى لسانى وقلبى رسما ويختم عليهما ختما فقد جعلتهما باسمه وقصرتهما على حكمه وسأضعهما تحت ختمه وبرئت اليه منهما وصرت وكيله فيهما أنهما على غيره حمى لا يقرب وبحيرة لا تحلب ولا تركب ولما نظرت الى

آثار

آثار الشيخ على الاحرار ونشرت طراز محاسنه من أيدى القاصدين والزوار وأقيمت له عندى بالفضل شهادة الاخبار والاشعار وهما شاهدا عدل بكل نقص وفضل ثم لما رأيت نفسى غفلا من سمة مودته وعطلا من جمال عشرته حميتها من أن يحمى عليها ورد مورود ويحسر عنها ظل على الجميع ممدود وعجبت من

سحاب خطانى جوده وهو صيب * وبحر عدانى سيله وهو مفعم
وبدر أضاء الأرض شرقا ومغربا * وموضع رجلى منه أسود مظلم

﴿وكتب الى أبى الحرث من ولد هاشم بن ماسجور وهو ملك الختل وقد راسله يستدعى كتابه﴾

مكاتبة مثلى للامير سوء أدب ودعه وقلة حياء ومسكه وتركى مكاتبته بعدما أمكنتنى وقرب متناولها منى تضييع لفرصة من فرص العز ونهزة من نهز الفوز والعاقل يختار خير الشرين ويميل مع أعدل الشقين لم أزل أيد الله الأمير أقترح على دهرى أن يسعدنى وعلى عمرى أن يسعفنى فأتعلق من تلك الخدمة بطرف وأتوصل الى تلك الحضرة بسبب ويأبى الدهر الا أن يجليني عن ورد أحوم عليه بزجانى ويغلق على بابا أستفتحه بدعائى فلما غلبنى الدهر على مرادى وخالف بين طريق اصدارى وايرادى رضيت من المائدة باللقمه ومن الفضل بالبلغه وسلكت مع بختى طريق المصانعه اذ كان قد سد على طريق المصادره وقلت لا أقل من أن أدس اسمى فى أسماء خدم تلك الحضرة الجليله وأترب يدى بغبار تلك الصنائع الجزيله وأخدم ذلك السيد قولا اذ كنت لم أرزق خدمته فعلا وأكاتبه غائبا اذ كنت لا أصل اليه حاضرا فكتبت هذه الأحرف أصل حبلى بحبله وأعرض بها نفسى لفضله وأنا أخرج الى الأمير من عهدة هذه السلعه وأشهد أنى وسط فى هذه الصنعه فان الهيبة تحصر بنان الكاتب وتعقل لسان الخاطب فكيف حال الهامع المتكاتب وأنا شاكر للامير وان كنت لم أرد بحره ولم أحتلب دره لما سمعته من شكر الشاكرين لفضله ومن اطباق الجميع على ذكر محاسن قوله وفعله لا بل شكرى له عن غيرى أعظم والحق لى فيه ألزم لأنى لو شكرته عن نفسى شكرته عن انسان واحتجت فى ذلك الى لسان واذا شكرته عن الناس شكرته عن أمه واحتجت الى ألسنة جمه

على أننى أطرى الحسام اذا مضى * وان كان يوم الروع غيرى حامله

جزى الله الأمير عن الجود خيرا فقد أقام له سوقا كانت كاسده وأهب منه ريحا كانت راكده وأحيا منه أرضا كانت هامده ولقد سلك الأمير من الكرم طريقا يستوحش فيها القلة سالكها وعمر للمعروف دار الايستأنس بها العدم ساكنها ويتيه فى قفارها الدروس آثارها وانهدام منارها أعانه الله تعالى على صعوبة الطريق وقلة الرفيق وألهمه صبرا يهون عليه احتمال المغارم ويقرب عليه مسافات المكارم فبالصبر تنال العلا وعند الصباح يحمد القوم السرى

﴿وكتب الى حسين صاحب ديوان الحضرة﴾

تأخر كتابى عنك يا ولدى لانى كرهت أن أكاتبك عن فكر متشعب وقلب متقلب وأردت أن أخلى خاطرى لجوابك وأن أقضى بذلك حق كتابك فمن صيانة صاحب الكتاب أن لا يتجوز له فى الجواب

على أن مصون كلامى عند مثلك مبتذل ومدخر برى عندك ليس بمستعمل ولا لوم على الفقير اذا حمل ما عنده من اليسير الى المياسير فقد بذل جهده وأتى بأقصى ما عنده

﴿وكتب الى كاتب بعض الامراء وقد ورد عليه كتابه ويشكو فيه الجرب﴾

وقفت على ما شكاه سيدى من العلة شفاه الله تعالى منها وعوضه الصحة عنها ووددت لو قبلتنى العلة فداء وأمكننى أن أقرض سيدى شفاء فكنت أنقل اليه الصحة نقلا وأبذل له ما عندى من العافية بدلا الجرب حكة مادتها يبوسة وحرارة ووقود والتهاب زندهما الذى يقتبسان منه طعام وشراب وفضلة قذفتها الطبيعة الى ظاهر البدن ودفع الله تعالى شرها عن الباطن وعسكر من عسكر البلاء تعده القذاره وتهزمه الطهاره وتنقص منه البرودة والرطوبه كما تزيد فيه اليبوسة والحراره ومن داوى ظاهره وترك باطنه فانما يبل حائطا وراءه النار الموقده ويرش على سطح بيت فيه الشرر المبثوثه ويقعد تحت قول الأول

خليلى داويتما ظاهرا * فمن ذا يداوى جوى باطنا

وكيف تقطع مادة نار تطفأ عن ظاهر الجسد وهى تتوقد فى باطن الكبد وكيف يزول داء هو مكاييله وترياقه موازنه وكيف يصح جسم حميته دواؤه وغذاؤه داؤه وكيف يقوم قليل الترياق بكثير السم أو يفى صغير البناء بكبير الهدم وكيف يرجو الشفاء من لا يضبط شهوته ولا يملك يده ولا يهجر حبيبيه طعامه وشرابه حتى لا يراهما الا خلسه ولا يذوق منهما الا بلغه أرى لسيدى أن يصبر على الجوع مع مرارته وعلى العطش مع حرارته وأن يقتصر من الطعام على ما يكون فى أوسط طبقات الرطوبه وفى أعدل موازين البروده ولا بد من هجر اللحم والفاكهه ولا سبيل الى الحرافه فأما البقول فيجب أن لا ترى ولو فى المنام ولا تمس ولو بالأوهام والسمك وما ناسبه بليه واللبن وما خرج منه منيه حتى اذا أحس فى معدته بالخلاء ووقف من طبيعته على الصفاء ومن أخلاط جسمه بالاعتدال والاستواء استخار الله تعالى وشرب شربة قوية تكنس فضول السوداء وتخرج خبايا الصفراء وتقمع سلطان البلغم وتصفى كدورة الدم فاذا انجلى عنه خمار ضعفها وتقشعت غيابة سكرها أمدها بفصاد يخص به الأكحل فانه نهر العروق والطريق الذى يفضى منه الى كل طريق تصعد اليه السفلى وتنزل عليه العليا وتلتقى عليه الأولى والاخرى فاذا فرغ منه وخرج باذن الله تعالى سليما عنه وعلم أنه لم يبق من العارض الا هباؤه ومن المخوف الا زبده وجفاؤه يعالج حينئذ باللطوخ الذى يغسل ظاهر الجسم ويجلو صدأ السقم ولا ينسين الاستكثار من الغسل والاغتسال ومباشرة الماء على كل حال فان الجرب فى حيز الحراره كما أن الماء فى حيز البروده والبارد اذا التقى الحار أطفأ بعضه وان لم يقطع أصله والضد اذا زاحم الضد أوهن سلطانه وان لم يهدم أركانه وملاك الأمر الحميه فانه لا يكون قوى الحمية الا من كان قوى الحميه ومن غلبت شهوته على رأيه شهد على نفسه بالبهيميه وانخلع عن ربقة الانسانيه وحق على العاقل أن يأكل ليعيش لا أن يعيش ليأكل وكفى بالمرء عارا أن يكون صريع مآكله وقتيل أنامله وان يجنى ببعضه على كله ويعين فرعه على أصله فكم من لقمة أتلفت نفس حر وكم من أكلة منعت أكلات دهر وكم من حلاوة تحتها

مرارة

مرارة الموت وكم من عذوبة خلفها بشاعة الفوت وكم من شهوة ذهبت بنفس لا تقوى لها العساكر وقطعت جسدا كانت تنبو عنه السيوف البواتر وهدمت عزا هدمت به أعمار وخربت بخرابه بيوت بل أمصار والعلل كلها وان كان يشملها اسم ويجمعها حكم فهي متباينة الأقدار متمايزة المقدار متخالفة الطبقات في باب النقيصة والعيار فعلة العشق دليل على لطف الغريزه والمترجم عن الرقة الروحانيه وعن النفس الخاصة الانسانيه وعلة النقرس دليل على التنعم والقعود وعلى قلة تجشم الهبوط والصعود وعلى أن صاحبها مخدوم مكفي أو ملك خاصي وعلة الجرب دليل على تضييع واجب النفس من التعهد وعلى التفريط في العلاج والتفقد تنطق بأن صاحبها ضعيف المنة في التوقي أسير في يد الحرص والتشهي غاش لنفسه قليل البقيا على روحه وكيف يحفظ أصدقاءه من لا يحفظ أعضاءه وكيف يبقي على غيره من لا يبقي على نفسه وكيف يؤتمن على من يتمايز عنه من لا يؤتمن على بعض منه وهذه علة تكسب صاحبها خزاية وحياء وتورثه خجلا واسترخاء ينظر الى الناس بعين المريب ويتستر عنهم كتستر المعيب تنفر عنه الطباع وتستقذره النفوس وتنبو عن مواكلته العيون وأقل ما يصيبه أن يحرم آلة المطاعم وهي يداه وآلة اللقاء والزيارة وهي رجلاه ولو لم يكن من دقائق آفاتها ومن عجيب هناتها الا أنها تشيخ الفتيان وتمسخ الانسان وتجعله أميا بعد أن كان غير أمي وأعجميا وليس بأعجمي تنفر من نفسه نفسه وتهرب من فراشه عرسه ويتباعد عنه أقرب الناس منه لقد كانت جديرة أن يحتشد لدوائها وتبذل الرغائب في فنائها ثم هي ربع من أرباع الخذلان وقسم من أقسام الحرمان قال الشاعر

أعاذك الله من أشياء أربعة * الموت والعشق والافلاس والجرب

وما ظن سيدي بداء قد سارت به الأمثال وقيلت فيه دون سائر الأدواء الأقوال قال رؤبة وذكر علة هي أعدى من الجرب عند العرب وقال أبو تمام

لما رأيت أختها بالأمس قد خربت * كان الخراب لها أعدى من الجرب

وقال لبيد ذهب الذين يعاش في أكنافهم * وبقيت في خلف كجلد الأجرب

فجعله رأس الأدواء ووضعه عند غاية البلاء وانما ذكرت فيه ما ذكرت لازيد سيدي في الهرب منه رغبه وفي الصبر عليه زهاده من الله تعالى على سيدنا بالشفاء وجعل عهده بهذا الداء آخر عهده بالأدواء انه طبيب الأطباء وخالق الداء والدواء وكاشف البلاء

وكتب الى قاضي الري أبي الحسن الهمذاني

قد ملأت سمع قاضي القضاة أيده الله تعالى بكتبي اليه في الحاجات واني لأعلم أني قد أدللت عليه حتى أمللت وأوجفت حتى أعجفت ولكني أتطير لنعمة الله تعالى عليه من أن أعرضها لليأس منها وأنسى جوابها برد الناس عنها

وكتب الى أبي المعالي وزير صاحب الختل

وصل كتاب الشيخ بعد ان اختلت به وسنان وهذيت بذكره يقظان فلما رأيته خررت ساجدا وشكرت الله تعالى باديا وعائدا والحمد لله الذي أراني محنة الشيخ قد أدبرت بقفا مبتور ودولته قد أقبلت بوجه

مسرور وأدال أيام سعده من أيام نحسه وأبعد ما بين الحوادث وبين نفسه وجعل يومه خيرا من أمسه وشره من المحنة كثرة الشامتين وخيره من انكشافها كثرة الشاكرين فان الذى يشمت الناس به فى وقت الرحمة لئيم وان الذى يثبت الناس على وده بعد العزل لكريم والشيخ بحمد الله ومنه لما امتحن أنطق الله تعالى بالدعاء له ألسنا وأبكى بالشفقة عليه أعينا لازال البكاء بعد هذا مقصورا على عيون أعدائه فان أعداء الفاضل أعداء فضله واضداده اضداد فعله وكل امرئ صديق أمثاله وشكاله

﴿وكتب الى سعيد بن سكة﴾

نظرت الى ذنبى الذى استحققت به الهجران وتقصيت طرق أفعالى لاقف منها على الفعل الذى أوجب الحرمان فوجدت نفسى قد كلفت الشيخ حوايج وحملت اليه بالغرائر الرسائل والسفاتج ولو تركت مكاتبتى الى الشيخ نقية الاطراف من وضر السؤال خفيفة الاكتاف من ثقل الادلال لما بخل على بالمقال من لا يبخل على بالمال وضايقنى فى العرض اليسير من لا يضايق فى الجوهر الكثير اينزلنى الشيخ أيده الله تعالى من قلبه حيث أنزلتنى الثقة به وليضعنى من نفسه حيث وضعنى الود منه وليعلم أنى سيفه الذى لا يفله طول الضرب ولا يعله مراس الحرب ولسانه الذى يذب عنه فى الملا ويدعو له فى الخلا وأخوه الذى ان لم تصرفه أخوة الولاد صرفته أخوة الوداد ويجاوز ذلك الى الممازجة والاتحاد فلان قد استشارنى فى مشايخ تلك الحضرة فعرفته انهم بساط الشيخ أيده الله صدره وأفق هو بدره وأن ما تفرق فيهم من الفضل ففيه مجتمع وعنه متفرع

﴿وكتب الى أبى نصر الميكالى يشكره على اصطناعه فقيها من تلامذته﴾

أبلغ قتادة غير سائله * جزل العطاء وعاجل الشكم
انى شكرتك للعشيرة اذ * جاءت اليك مرقة العظم

المحمدة أطال الله تعالى بقاء الشيخ لذاتها حسنه كما أن المذمة لنفسها قبيحة منقصه والمحسن الى الناس كلهم حبيب ومن القلوب كلها قريب يمدحونه وان لم يحسن اليهم ويشكرونه وان لم يفضل عليهم كما أن المسىء فى النفوس صغير وان كبر مالا وحالا وقبيح وان حسن زينا وجمالا على هذا أسست البنيه وعليه وضعت الفطره وفيه اتفقت الخاصة والعامه ثم ان الاحسان وان كان كله حسنا على طبقات كما أن الاساءة وان كانت كلها سيأ على درجات فن أصاب بالاحسان بقعة لا يخلف شجرها ولا يعرغرها وأسداه الى كريم يربى الصنيعة بلسانه ويخرج الاحسان فى موضع استحسانه فقد سددت رميته وأصيبت رميته وزكا صنعه وغار يعه وما أعرف أهل بيت أحسن لمواضع الصنائع ارتيادا وأجود لأهلها انتقادا وأصون لها اصدارا وايرادا من أهل بيت الشيخ أبقى الله تعالى مشايخهم وشبانهم وجمل بهم مكانهم وزمانهم والشيخ بحمد الله تعالى على سبيلهم نهج وعلى منوالهم نسج فصنائعه فى قوالب الحمد والشكر وعلى طريق الاجر والذخر لا يقع الا بين الشرف والثواب ولا يوجد الا بين العلوم والآداب فهو كافل الكريمة لا يزوجها حتى يستكرم صهرا أو يحكم مهرا أو كبائع الجوهرة النفيسة لا يبرزها حتى يرى غنما أو يأمن غبنا والجواد مختكر بر

لا محتكر

قوله سكة في نسخة سكة ١٥

لا يحتكر بر والكريم تاجر جمال وان لم يكن تاجر مال والحر وقاية الحر من فقره وسلاحه على دهره ولله تعالى بقايا من عباده فى بلاده خلقهم لينعش بهم العاثر ويشد بأزرهم المفاقر ويحيى بحياتهم المعالى والمآثر فهم ملح الأرض اذا فسدت وعمارة الدنيا اذا خربت ومعرض الأيام والليالى اذا احتشدت بلغنى ما صنعه الشيخ مع فلان فما استكثرته قياسا على قدره العظيم وبره الجليل الجسيم ولم أتعجب من ولد تقبل قبلة الوالد ومن طريف نازع التالد ومن غصن من أغصان الشرف نما على عرقه فى السلف ومن نفس رضعت ثدى المكارم وربيت فى حجر الأكارم فجرت على سنن أوائلها وأحيت فضائلهم بفضائلها وانما تعجبت من حسن ما تحرى الشيخ لمعروفه وارتاد ومن ثواب ما غزا وأراد فما أكثر من تخطى بصنعه طريق المصنع وخالف بزرعه موضع المزرع وما أكثر من يلد معروفه فلا ينجب بما ولد ولا يبلغ به صاحبه المقصد وهذا الفقيه بين نفس مقبلة ودولة مقتبلة يرمى به كماله وراء ميلاده ويسبق فضله غايات آبائه وأجداده وللدهر فيه مقاصد وللايام فيه مواعد ولله تعالى منه لطائف سيبلغ الكتاب منها أجله ويكمل الاقبال فى تمامها عمله والحمد لله الذى جعل الشيخ أبا عذرة اصطناعه وأول من من عليه ببسط يده ومد باعه والحمد لله الذى جعل همم الشبان مصروفة الى افتراع أبكار الجوارى وهمة الشيخ مقصورة على افتراع أبكار المعالى فالمصطنع فى الرؤساء والأمراء كالمصطنع فى العلماء والفقهاء فسبحان من فرق بين الشكلين وزاوج بين المثلين وجعل الصنيعة غضة طرية من جانبين وصيرها شابة من النشأتين هذا وقد نسج الشيخ الفقيه من شكر الشيخ طرازا لا يبلى وأوقد من ذكره شهابا لا يخفى فلأ بقوله الأسماع والنواظر بل القلوب والخواطر بل الكتب والدفاتر حتى لم يبق رئيس الاغنى لو أنه لو كان المصطنع كما لم يبق فقيه الاغنى انه كان المصطنع وحتى قلنا

مالقينا من أحمد بن على * ترك الناس كلهم فقهاء

ونسينا مالقينا من جود فضل بن يحيى * ترك الناس كلهم شعراء

لا زال الشيخ يستولى على أمد كل غاية بفعله وقوله وينفرد بحمى كل مكرمة بفضله وطوله ولا زال يستبضع اليه الشكر من البلدان فيشتريه بأغلى الأثمان

❊ وكتب الى حاكم سرخس وقد أهدى اليه كتابا طلبه منه ❊

تأخرت حاجة الحاكم وختم الله تعالى دولة الحمد بقضائها ونبت عن طالبها فى اقتضائها فكنت الخصم والحاكم والحاكم والحاكم وما أبطأ من أجدى ولا أسرع من أكدى وارتدت نسخة مقروءة قد عمل فيها القلم والبنان وأثرفيها التبيين والبيان وسودت حواشيها ولاحت مياسم التصفح فيها ولم تكن فى حسن خط كاتبها ولا جودة تجليد صاحبها ولا استقامة حروفها ولا تساوى جوانبها وحروفها بعد أن سلمت من التحريف والتصحيف ومن سقم الاشكال والحروف فانما الكتاب الحسن ظاهرا السقيم باطنا مثل المرأة الحسناء العاهرة يسرك خلقها ويسوءك خلقها ومثل الروضة الغناء الوبية تحمدها العين ويذمها البطن وكانت تقع بيدى النسخة الأولى التى هى مائدة منقوشة ليس عليها دسم وكيس مصور ليس فيه درهم وتقع الثانية خلافها كالعجوز المنتقبة وكالقفل على

الحرب به فانما هي كسوة عامي غبي أو قبرة يهودي غني وتقع في يدي الثالثة وهي اسم ولا جسم ودعوى ولا علم قد قرنت على متعالم غير عالم لا يدري ولا يدري أنه لا يدري فراؤها زاء وميمها هاء وطاؤها ظاء والنظر فيها يعمي والاستدلال بها يعمي ومن آفة العلم خيانة الوراقين وتخلف المعلمين كما أن من آفات الدين فسق المتكلمين وجهل المتعبدين وكما أن من آفات الدنيا كثرة العامه وقلة الخاصه وكما أن من آفات الكرم أن الجود ضد المنع والبخل سبب الجمع وأن المال في أيدي البخلاء دون أيدي الاسخياء وكما أن من آفات الحلم أن الحليم مأمون الجنبه وأن السفيه منيع الحوزه قاعد في خفارة البذاء والسفاهه وكما أن من آفات المال اذا صنته فقد عرضته للفساد واذا أبرزته عرضته للنفاد وكما أن من آفات الشكر أنك اذا قصرت عن غايته ذممت من اصطنعك واذا بلغتها أو بلغت فيه أوهمت من سمعك وكما أن من آفات الشراب أنك اذا أقللت منه حاربت شهوتك ولم تقض نهمتك واذا استكثرت اعترضت للاثم والعار وأبرزت صفحتك للائم والجار وكما أن من آفات المماليك أنك اذا باسطتهم أفسدت آدابهم وأذهانهم واذا قبضتهم أفسدت وجوههم وألوانهم وكما أن من آفات الاصدقاء أنك اذا استكثرت منهم لزمتك مواجبهم وثقلت عليك نوائبهم وكسبت الاعداء من الاصدقاء كما يكتسب الداء من الغذاء وكما أن من آفات المغنين أن الوسط منهم يعيب الطرب والحاذق ينسى الأدب وكما أن من آفات النساء أنهن اذا أكرمن قبح خلقهن واذا أهن فسد خلقهن فلما تمادت مدة الاكداء ولم أصل الى ما ينظم طرفي مرادي بهبة ولا شراء نزلت على حكم الامكان وجريت في التجوز على رسم الزمان وحملت نسخة ان لم تكن بتلك السليمه فليست بتلك السقيمه وأنا أعتذر اليوم منها قولا وغدا فعلا وأحصل أخرى ولو بروحي ومهجتي وبدنياي وآخرتي

﴿وكتب الى أبي بكر بن سمرد﴾

انا مترجح بين أن أقر للشيخ بذنبي وأخبره بعيبي وبين أن أسكت سكتة متجاهل وأصفح صفحة متغافل وان كنت أعلم أن العفو الى المقر أسرع منه الى المصر وأن وضر الذنوب لا يغسله الا الاقرار ولا يزيله الا الاعتذار وقد كان في حكم ما أولانيه من نعمه التي يفني الأبد ولا تفنى ويخفى الصباح ولا تخفى ويبلى الجديدان ولا تبلى وينسى العوم ولا تنسى أن يكون لي عنده كل يوم فتح قاصد بل رسول وارد لا بل كان ينبغي أن أجعل رسولي اليه الريح فانها أسرع وأكتب اليه في الفلك فانه أوسع ولا تطلع شمس الا وجنبها مني اليه كتاب اما ابتداء واما جواب ولكن ابن آدم للنعمة كفور وبالعهد غدور غافل عن غده ناس لامسه مرتهن بيومه واني لأحسد كتابي اذا ورد ذلك الباب ونزل ذلك الجناب أود لو كنت سطرا فيه أو حاشية من حواشيه وللايام عندي اذا وصلتني بالشيخ نعمة لا أسمع عنها الثواب ولها علي اذا أبعدتني جناية لا أقدر على كفائها من العقاب وقد كنت أعيب من الشعراء من مدح انسانا ثم هجاه وأنسبه الى ضعف المسكه والى وهن العزيمة وانحلال العقده حتى بليت الآن بهجاء الدهر وطالما مدحته ودفعت الى حربه وطالما صالحته قد تعرفت للشيخ عوارف حيرتني بين طيها ونشرها وبحثت بين تركها وذكرها فان ذكرتها قصر عنان الطاقة عن مقتضى حكم النيه وان تركت ذكرها الحت على فعلي سمة الكفران وعرفت بسوء مجاورة الاحسان وحرمت نفسي

ثمرة

ثمرة اللسان فقد أسكت الشيخ لساني من حيث أنطقه وحصر بناني من حيث أطلقه وعلى ذلك فقد أسمعت شكري كل من له أذن وأريت أثر صنيعته كل من له عين حتى لقد حسدني عليه الأقارب وتعرّف الىّ فيه الأجانب وهابني ورجاني منذ عرفته الحاضر والغائب ثم لم يرض أن أحسن بي حتى أحسن الى من يرسل اليه بكتبي فأضاف النعمة الأخرى الى الأولى وعقب الصنيعة الكبرى بالصغرى على أن أصغر صنائعه كبير كما أن أكبر شكري له صغير ولكن الكبير من الكبير يصغر كما أن الصغير من الصغير يكبر فكيف أهلني الشيخ لاحسانه ثانيا ولم أقض حق احسانه باديا وكيف حملني النفل وقد تقاعدت عن أداء الفرض وجمع عليّ الكل وقد ضعفت عن البعض وكيف نبع عليّ بره من كل منبع وطلع الىّ السعد به من كل مطلع ودب الىّ احسانه من كل مكمن وكان سبيلي أن يستوفي على قبل أن أوفي وأن أحاسب على الحاصل الأول قبل أن يثني وأن أعامل على قول الأول

اذا ما قضيت الدين بالدين لم يكن * قضاء ولكن كان غرما على غرم

﴿وكتب الى تلميذ له عن كتاب وقصيدة﴾

وردت القصيدة الغراء بل الدرة العذراء بل الهدية العظيمة بل الشمسة الكريمه بل الياقوتة اليتيمه بل فريدة الدرّ بل غرة الغر بل شمس الكرام وغريبة الأيام بل الخطاب الجزل والمنطق الفصل بل الحسن والاحسان بل التبيين والبيان بل واحدة القصائد وخاتمة القلائد وآبدة الأوابد بل أميرة النظم والنثر بل ملكة الرجز والشعر بل حسنة الألسن ونزهة القلوب والاعين بل بستان الافكار وجلاء الأبصار بل روح المعاني والمباني وهيكل الاوزان والقوافي بل عقيلة الدهر ونادرة العصر وغرة العمر وبيضة العقر وترياق القلب بل ملبسي تاج الفخر ومورثي كنز الذخر لا بل ليلة القدر فانها خير من ألف شهر وهذه خير من ألف بيت شعر ولم أعن البيت الموزون انما أردت البيت المسكون ففتحت كمامها عن النور المنثور وعن الديباج المنشور وفليت معانيها عن روح البديع وقلبه ومبانيها وألفاظها عن حب الفصيح ولبه ووردت طرفي منها في روضة سقاها اللسان وعملها البنان ونافس عليها زمانها الازمان ولم يبق فيها بيت الارويته ولا فصل الاحكيته ولا لفظ الا كررته وثنيته ووددت لو كانت أعضائي كلها للنظر أجفانا ولاستماعها آذانا ولتناولها وجسها أيديا وبنانا بل لو كان الحرف منها سطرا والكلمة من كلماتها عشرا فيمتد نفس استيفائها رواية ورواية ويعظم حجم استقصائها فهما ودرايه وغرت عليها من هذا الزمان الذي لا يستحق أن يكون له ولد نجيب ولا يقتضي أن ينبغ فيه عالم ولا أديب ثم رجعت الى الحقائق فعلمت أن الانسان ابن أمه وأبيه لا ابن أيامه ولياليه وأن قول الناس أبناء الدهر لفظ مجازي ومعنى اصطلاحي وقد نحلني فيها من هذا الفضل ما ان طولبت بجدواه لم أخرج من عهدة دعواه فان تكن تلك شهادة منك أسلفتنيها وسلعة جازفت لي فيها فقد يسامح الكريم أخاه ويحابي الحر من بايعه وشاراه وان كنت تظن فيّ هذا الفضل فأسأل الله تعالى أن لا يجمع بيننا فانك ان شاهدتني رجعت عن ظنك ووردت بعينك حكم أذنك وأنا المعيديّ وان لم يكن لي

في العرب نسب ولا بيني وبين معد قرابة ولا سبب

﴿وكتب الى أبي الفرج خليفة الوزير بنيسابور﴾

فهمت ما ذكره الشيخ في كتابه وجعلت قبولي عظته بدلا من جوابه ذكر الشيخ أني لو اقتصرت على خدمة الامير وعلى منادمة الوزير لما لت الصروف عن جانبي ناكبة وولت الخطوب عني هاربة ولو لم أنتجع غير نيسابور بلدا ولا غير من بها أحدا لعشت معهم عيشة رغدا وجواب الشيخ تحت قول الاول

فما الحر لا بالشر فاطلب مودتي * وأي فتى يقتال منه الترهب

مثلي أيد الله تعالى الشيخ لا يحمل على الخدمة بالتقريع والتثريب ولا بالتهديد والترهيب ولا تجتلب أخلاف مودته بالاذلال ولا يدرك مصون ما عنده بالامتهان والابتذال وانما يحبس مثلي بالرغبة ويقيد بقيد من الذهب والفضة ويرضى منه بالحياء والوفاء كفيلين وبالشكر والتذمم ضمينين وانما الحر زجاج رقيق ثمين اذا رفق به واستعمل في موضع مثله زين المجالس وأمتع المجالس وكان مالا الا أنه جمال وجمالا الا أنه مال واذا خرق به انكسر فعقر الكاسر وأتعب الجابر وغم السامع والناظر وكان ينبغي لاصحابنا أن يقتنصوني بحبالة الاحسان والبر ويرتبطوني بحبال الحفاظ والشكر ويعلموا أن البازي العتيق لا يصبر على الاضاعة ولا يقيم في بيت المجاعة ومن اصطنع اليوم شكر غدا (ومن وجد الاحسان قيدا تقيدا) ولكن كيف يصون الأدب مغرم ولم يؤد عنه الى المؤدب درهم وكيف يخالف الانسان مقتضى نسبته ويطيب الثمر مع خبث تربته هيهات ان الفرس الجواد يجري على عتقه وان الفرع ينزع الى عرقه

وان مقامي حيث خيمت محنة * تدل على فهم الكرام الأجاود

ولكن جزى الله أصحابنا عن تعليمهم خيرا فقد تحولت شكايتي لهم شكرا وذلك أنهم عرفوني عقادير الكرام وقاموا في تأديبي مقام تصاريف الأيام ودبغتني بهم التجارب وراضتني بأيديهم النوائب ولاحت لي ببركاتهم الغيوب والعواقب فأنا تلميذهم في اتمام الأيام وخريجهم في معرفة أحوال الأنام والمستفيد فهم وبهم معرفة سياقة ما بين الفعل والكلام فكيف لا أشكر قوما أفادوني عقلا وان لم يفيدوني نيلا وزادوني أدبا وان لم يزيدوني نشبا وعهدي وأنا بالعراق مقيد فأصبحت وأنا بخراسان مستفيد وهذه الزيادة من عطايا هذه الحضره وهذه النادرة التي توجهت الي من بركات هذه الدوله والسلام

﴿وكتب الى كثير بن أحمد لما هرب الى الري﴾

ورد على كتاب الشيخ وفهمته والمواعيد التي أراد الشيخ أن يسهر في برقاها ويخدعني عن بواطن عيوبها بظواهر حلاها فقد طلبت عنها ثوابا ولها جوابا فلم أجد غير قول عبيد

لا أعرفنك بعد الموت تندبني * وفي حياتي ما زودتني زادا

أنا أيد الله الشيخ رجل قد اخترت نيسابور دارا واخترت سلطانها من الملوك جارا حتى جعلتها بيتا أعمره والدنيا جسرا أعبره لآمن بها على مالي وولدي بعد مماتي ولا أخاف بها على روحي وعرضي في حياتي ولو علمت أني أسام خدمة من لم يبين له أثر علي وأصادر على نعمة لم تصل الي لفارقت دار

الهوان

الهوان ولكان جناحى واه الطيران ذكرانه تلطف بالأمير حتى سل السخيمه وحمله على ان اغتفر الجريمه وما عرفت لى جرما يحتمل معذره أو ذنبا يستوجب مغفره فان كان الأمير غفر لى ما أجنيه من السيآت فهلا شكرني على ما أتيه من الحسنات وكيف استجاز السلف فيما يتعلق بالعقوبه ولم يستجزه فيما يتعلق بالمثوبه فان كان مراده أن أقرع لى نفسى بذنب ما أتيته وألتزم بشكر جميل ما أوتيته فهذه صدقة قد سامنيها والصدقة لا تحل من الفقراء الى الأغنياء ولا يحسن بالأمراء قبولها من الشعراء وان كان يريد أن يتوصل بهذا الى اجتناء ثمرات اللسان ويحب أن يسير ذكره فى أثناء هذه المعانى الحسان

فالناس أكيس من أن يحمدوا رجلا * ولم يروا عنده آثار احسان

وانما لسانى خادم من خدم فؤادى ومتصرف من متصرف فى مرادى فكيف يفتات على بشكر غيره وكيف يجود بما هو متصرف فيه لغيره وانما لسان الشاعر روضة لا تسلف الزهر حتى تستسلف المطر ولا تضحك فى وجه السماء الا بعد أن تستوفى حقها من الأنداء وان كان الشيخ يرضى بعد هذا كله بظاهر اعتذارى فقد خرجت اليه من عهدة اضمارى وأنا أقر بذنوب العالمين حتى بذنب ابليس فى الاولين وحتى بذنب هاروت وماروت فى المتقدمين وألتزم كل المعايب حتى معايب بنى اميه ومعايب بغلة أبى دلامه وأقول قد أدبنى الليل والنهار وثقفتنى الاحوال والاطوار فابصرت قصدى وتبينت رشدى فليلبسنى الامير برضاه عنى ثوب العزه كما ألبسنى بغضبه على ثوب الذله وليجعلنى عبدا أعوج فقوم وجهول فعلم فلما عرف نفسه وتلافى يومه أمسه رد عليه مكانه ورجع اليه زمانه فأدعى أن النابغة الذبيانى ما اعتذر الا عنى ولم يك لسانه الا بضعة منى وأنتحل قول على بن الجهم

ليس عندى وان تغضبت الا * طاعة حرة وقلب سليم
وانتظار الرضا فان رضا السا * دات عفو وعتبهم تقويم

وكتب الى رئيس قم

بسطنى الشيخ ثم انقبض عنى ودعانى ثم هرب منى وكان وليس له مثل الا كمن خطب الى حر كريمته فلما زفها اليه أغلق عنها بابه وأرخى دونها حجابه فعرض الصهر للهجنه والعروس للتهمه ولعلى أتيت منى وأصبت الشيخ بعينى لما رأيته قد أحيا مواتا من الود وسبق الى باكورة من كرم العهد وقد تبت من أن أنظر الى أصدقائى بعين العجب بهم وأرمقهم بما يدعونى الى الحب لهم لا بل سأتعامى عن محاسنهم ان رأيتها وأتغابى عنها وان دريتها ان شاء الله تعالى

وكتب الى مؤدب أمير خوزستان

ذكر الشيخ من نعمه بغيبتى فيما كان وفرحه بأوبتى الآن ما قلبى عليه شاهد وعلى الشهادة زائد لانه لا يعين على شاهد وأنا أحلف على هذه الشهاده فأكون قد وفيت بما وعدته من الزياده ولقد رأيت الاخوان غير شيخى ومودتهم خلق يبيعونه ممن اشتراه ويعرضونه على كل من رآه ومهر هذه الحال قلبى فقد احتوى عليه وودى فقد تمسك بطرفيه والاحرار تستعبد بالاحسان من حيث

تستعبد المماليك بأغلى الاثمان على أن المملوك يعتق بلفظه ويباع فى صفقة ويزول عنه الرق فى لحظه والحر لا تزيده الايام الا رقا لمن اصطنعه وتواضعا لمن رفعه ولقد عجبت من محاسبة الشيخ نفسه عن أصدقائه ومؤاخذته قلبه بشرائط وفائه مع أنه فى زمان قد مرجت فيه عهود الاخوان وأعطوا وأخذوا أموالهم بالميزان ومالوا مع الرجحان على النقصان ورضوا من القلب باللسان ومن الغيب بالعيان واذا تبين التاجر كساد السلعه تجوز فى الصنعه واذا قل المتاع فتر البياع والحمد لله الذى رزقنى من شيخى صديقا يتحمل بقربه ويوثق بغيبه ولا يخاف الغير من لسانه ويده فلا سلبت هذه النعمى ولا حوسبت على هذه الموهبة العظمى فان الايام قلما رأت بيدى علقا نفيسا الا سلبتنى وقلما أعطتنى مما أحب شيأ الا حاسبتنى حتى انى لو صادفت حمى لا نطار جانبه ولو اختصصت بالماء لصيرته منبعا لا يروى شاربه فأما الناس فما أحصى فيهم عددا ممن ابتعته فباعنى وحفظته فأضاعنى واستعنت به على الزمان فأعانه على واستظهرت بمكانه على الاعداء فكان مقدمهم الى اللهم نفق سوق الوفاء فقد كسدت وأصلح قلوب الناس فقد فسدت ولا تمتنى حتى يبور الجهل كما بار العقل ويموت النقص كما مات الفضل

﴿وكتب الى أبى سعيد رجاء بن الوليد الاصفهانى﴾

بشرنى كتاب الشيخ من سلامته ببشارة صغرت عندى البشائر وفاتت النظائر وملأت المسامع والنواظر فلا زالت أمداد صنع الله تعالى له متناسقه والايام له بما يهوى موافقه وجعل الله تعالى تلك العثرة غلطة تاب الدهر منها وخطيئة أنكرها ورجع عنها فان الشيخ يحسن فى لباس النعمه ويقبح فى زى المحنه وان غيره اذا لبس النعمة كانت عليه أجنبيه ويعلم أنه أخذها عاريه اليسير الذى رسم لى الشيخ به حملت اليه جملته ولو أخذنى فيما أخذه منى لاستقللته له واستصغرته دونه والذى أرجع اليه فهو مقسوم بينه وبينى فان أذن فهو له دونى حملت الى الخزانة نسخة رسائلى فنه فيها مصحف ونصفها محرف والكلام الوسط بالخط الوسط كالعجوز السوداء تجلى على العيون فيتضاف قبح الجلوه الى قبح الكسوه وتغطى على ظلمة الدواء ظلمة الوعاء وتتضاعف السماجة ضعفين وتقذى العين من لونين فيصير القلب أسير العين بلغنى أن الشيخ قد اغتم لما ندب لعمل يصغر فيه ويكبر عنه فأنكرت ذلك من فعله وكتبته فى هفوات عقله العمل أيد الله تعالى الشيخ ثوب يحسن بصاحبه ومركب يجمل براكبه فالصغير منه بالكبير كبير والكبير منه بالصغير صغير وكأنى بالتمييز وقد نبع منه نابع وبدولة الانتقاد وقد طلع من سعودها طالع وبرجالات الحضرة وقد تذاكروا مظان الآمال ومساقط الرجال فعثروا باسم الشيخ فردوا عليه رتبته وقوموه قيمته وجاء الدهر يعترف بما اقترف ويأتنف خلاف ما سلف وانما خدمة السلطان نار بينما هى شرارة ملأت دارا وأحرقت أوقارا وصيرت الليل نهارا ولا صغير من الولايه كما لا كبير من العطله والسلام

﴿وكتب الى جماعة الشيعة بنيسابور لما قصدهم محمد بن ابراهيم واليها﴾

سمعت أرشد الله سعيكم وجمع على التقوى أمركم ما تكلم به السلطان الذى لا يتحامل الا على العدل ولا يميل الا على جانب الفضل ولا يبالى بأن يمزق دينه اذا رفا دنياه ولا يفكر فى أن لا يقدم رضا الله

الله اذا وجد رضاه وأنتم ونحن أصلحنا الله وإياكم عصابة لم يرض الله لنا الدنيا فذخرنا للدار الأخرى ورغب بنا عن ثواب العاجل فأعد لنا ثواب الآجل وقسمنا قسمين قسما مات شهيدا وقسما عاش شريدا فالحي يحسد الميت على ما صار اليه ولا يرغب بنفسه عما جرى اليه قال أمير المؤمنين ويعسوب الدين عليه السلام المحن الى شيعتنا أسرع من الماء الى الحدور وهذه مقالة أسست على المحن وولد أهلها في طالع الهزاهز والفتن فحياة أهلها نغص وقلوبهم حشوها غصص والايام عليهم متحامله والدنيا عنهم مائله فاذا كنا شيعة أئمتنا في الفرائض والسنن ومتبعي آثارهم في كل قبيح وحسن فينبغي أن نتبع آثارهم في المحن غصبت سيدتنا فاطمة صلوات الله عليها وعلى آلها ميراث أبيها صلوات الله عليه وعلى آله يوم السقيفه وأخر أمير المؤمنين عن الخلافه وسم الحسن رضي الله عنه سرا وقتل أخوه كرم الله وجهه جهرا وصلب زيد بن علي بالكناسه وقطع رأس زيد بن علي في المعركه وقتل ابناه محمد وابراهيم على يد عيسى بن موسى العباسي ومات موسى بن جعفر في حبس هرون وسم علي بن موسى بيد المأمون وهزم ادريس بفخ حتى وقع الى الأندلس فريدا ومات عيسى ابن زيد طريدا شريدا وقتل يحيى بن عبد الله بعد الامان والايمان وبعد تأكيد العهود والضمان هذا غير ما فعل يعقوب بن الليث بعلوية طبرستان وغير قتل محمد بن زيد والحسن بن القاسم الداعي على أيدي آل ساسان وغير ما صنعه أبو الساج في علوية المدينة حملهم بلا غطاء ولا وطاء من الحجاز الى سامرا وهذا بعد قتل قتيبة بن مسلم الباهلي لابن عمر بن علي حين أخذه بأبويه وقد ستر نفسه ووارى شخصه يصانع حياته ويدافع وفاته ولا كما فعله الحسين بن اسمعيل المصعبي بيحيى بن عمر الزيدي خاصه وما فعله مزاحم بن خاقان بعلوية الكوفة كافه وبحسبكم أنه ليست في بيضة الاسلام بلده الا وفيها لقتيل طالبي تربه تشارك في قتلهم الاموي والعباسي واطبق عليهم العدناني والقحطاني

فليس حي من الاحياء نعرفه * من ذي يمان ولا بكر ولا مضر

الا وهم شركاء في دمائهم * كما تشارك أيسار على جزر

قادتهم الحمية الى المنيه وكرهوا عيش الذله فماتوا موت العزه ووثقوا بما لهم في الدار الباقيه فسخت نفوسهم عن هذه الفانيه ثم لم يشربوا كاسا من الموت الا شربها شيعتهم وأولياؤهم ولا قاسوا لونا من الشدائد الا قاساه أنصارهم وأتباعهم داس عثمان بن عفان بطن عمار بن ياسر بالمدينه ونفى أبا ذر الغفاري الى الربذه وأشخص عامر بن عبد قيس التميمي وغرب الاشتر النخعي وعدي ابن حاتم الطائي وسير عمر بن زرارة الى الشام ونفى كميل ابن زياد الى العراق وجفا أبي بن كعب وأقصاه وعادى محمد بن حذيفة وناواه وعمل في دم محمد بن سالم ما عمل وفعل مع كعب ذي الحطبة ما فعل واتبعه في سيرته بنو أمية يقتلون من حاربهم ويغدرون بمن سالمهم لا يحفلون المهاجري ولا يصونون الانصاري ولا يخافون الله ولا يحتشمون الناس قد اتخذوا عباد الله خولا ومال الله دولا يهدمون الكعبه ويستعبدون الصحابه ويعطلون الصلاة الموقوته ويختمون أعناق الاحرار ويسيرون في حرم المسلمين سيرتهم في حرم الكفار واذا فسق الاموي فلم يأت بالضلاله عن كلاله قتل معاوية حجر بن عدي الكندي وعمرو بن الحمق الخزاعي بعد الأيمان

قوله أبو الساج هكذا في الاصل ولم أقف عليه ولعله أبو الشماخ أو أبو السماج وليحرر ا ه

المؤكده والمواثيق المغلظه وقتل زياد بن سمية الالوف من شيعة الكوفة وشيعة البصرة صبرا وأوسعهم حبسا وأسرا حتى قبض الله معاوية على أسوء أعماله وختم عمره بشر أحواله فاتبعه ابنه يجهز على جرحاه ويقتل أبناء قتلاه الى أن قتل هانى بن عروة المرادى ومسلم بن عقيل الهاشمى أوّلا وعقب بالحرث بن زياد الرياحى وبأبى موسى عمرو ابن قرطة الانصارى وحبيب بن مظهر الاسدى وسعيد بن عبد الله الحنفى ونافع بن هلال الجملى وحنظلة بن أسعد الشامى وعابس بن أبى شبيب الشاكرى فى نيف وسبعين من جماعة شيعه وأهل بالحسين عليه السلام يوم كربلا ثانيا ثم سلط عليهم الدعى ابن الدعى عبيد الله بن زياد يصلبهم على جذوع النخل ويقتلهم ألوان القتل حتى اجتث الله دابره ثقيل الظهر بدمائهم التى سفك عظيم التبعة بحريمهم الذى انتهك فانتبهت لنصرة أهل البيت طائفة أراد الله أن يخرجهم من عهدة ما صنعوا ويغسل عنهم وضر ما اجترحوا فصمدوا صمد الفئة الباغيه وطلبوا بدم الشهيد الدعى ابن الزانيه لا يزيدهم قلة عددهم وانقطاع مددهم وكثرة سواد أهل الكوفة بازائهم الا اقداما على القتل والقتال وسخاء بالنفوس والاموال حتى قتل سليمان بن صرد الخزاعى والمسيب بن نجبة الفزارى وعبد الله ابن وال التيمى فى رجال من خيار المؤمنين وعلية التابعين ومصابيح الانام وفرسان الاسلام ثم تسلط ابن الزبير على الحجاز والعراق فقتل المختار بعد أن شفى الأوتار وأدرك الثار وأفنى الاشرار وطلب بدم المظلوم الغريب فقتل قاتله ونفى خاذله وأتبعوه أبا عمر بن كيسان وأحمر بن شميط ورفاعة بن يزيد والسائب بن مالك وعبد الله بن كامل وتلقطوا بقايا الشيعة يمثلون بهم كل مثله ويقتلونهم شر قتله حتى طهر الله من عبد الله بن الزبير البلاد وأراح من أخيه مصعب العباد فقتلهما عبد الملك بن مروان كذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون بعد ما حبس ابن الزبير محمد ابن الحنفية وأراد احراقه ونفى عبد الله بن العباس وأكثر ارهاقه فلما خلت البلاد لآل مروان سلطوا الحجاج على الحجازيين ثم على العراقيين فتلعب بالهاشميين وأخاف الفاطميين وقتل شيعة على ومحا آثار بيت النبى وجرى منه ما جرى على كميل بن زياد النخعى واتصل البلاء مدة ملك المروانيه الى الايام العباسيه حتى اذا أراد الله أن يختم مدتهم بأكثر آثامهم ويجعل أعظم ذنوبهم فى آخر أيامهم بعث على بقية الحق المهمل والدين المعطل زيد بن على فخذله منافقوا اهل العراق وقتله احزاب أهل الشام وقتل معه من شيعته نصر بن خزيمة الاسدى ومعاوية بن اسحق الانصارى وجماعة من شايعه وتابعه وحتى من زوجه وأدناه وحتى من كلمه وماشاه فلما انتهكوا ذلك الحريم واقترفوا ذلك الاثم العظيم غضب الله عليهم وانتزع الملك منهم فبعث عليهم أبا مجرم لا أبا مسلم فنظر لا نظر الله اليه الى صلابة العلويه والى لين العباسيه فترك تقاه واتبع هواه وباع آخرته بدنياه وافتتح عمله بقتل عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب وسلط طواغيت خراسان وخوارج سجستان وأكراد أصفهان على آل أبى طالب يقتلهم تحت كل حجر ومدر ويطلبهم فى كل سهل وجبل حتى سلط عليه أحب الناس اليه فقتله كما قتل الناس فى طاعته وأخذه بما أخذ

الناس في بيعته ولم ينفعه أن أسخط الله برضاه وأن ركب مالا يهواه وخلت من الدوانيقي الدنيا
فخبط فيها عسفا وتقضى فيها جورا وحيفا الى أن مات وقد امتلأت سجونه بأهل بيت الرساله
ومعدن الطيب والطهاره قد تتبع غائبهم وتلقط حاضرهم حتى قتل عبد الله بن محمد بن عبد الله
الحسني بالسند على يد عمر بن هشام بن عمر التغلبي فما ظنك بمن قرب متناوله عليه ولان مسه على
يديه وهذا قليل في جنب ما قتله هرون منهم وفعله موسى قبله بهم فقد عرفتم ما توجه على الحسن بن
علي بفخ من موسى وما اتفق على علي بن الأفطس الحسيني من هرون وما جرى على أحمد بن
علي الزيدي وعلى القاسم بن علي الحسني من حبسه وعلى ابن غسان حاضر الخزاعي حين أخذ
من قبله والجملة أن هرون مات وقد حصد شجرة النبوه واقتلع غرس الامامه وأنتم أصلحكم الله
أعظم نصيبا في الدين من الأعمش فقد شتموه ومن شريك فقد عزلوه ومن هشام بن الحكم فقد أخافوه
ومن علي بن يقطين فقد اتهموه فأما في الصدر الأول فقد قتل زيد بن صوحان العبدي وعوقب
عثمان بن حنيف الانصاري وخفي حارثة بن قدامة السعدي وجندب بن زهير الأزدي وشريح
ابن هانئ المرادي ومالك بن كعب الأرحبي ومعقل بن قيس الرياحي والحرث الأعور الهمداني
وأبو الطفيل الكناني وما فيهم الا من خر على وجهه قتيلا أو عاش في بيته ذليلا يسمع شتمة الوصي
فلا ينكر ويرى قتلة الأوصياء وأولادهم فلا يغير ولا يخفى عليكم حرج عامتهم وحيرتهم كجابر
الجعفي وكرشيد الهجري وكزرارة بن أعين وكفلان وأبي فلان ليس الا أنهم رحمهم الله كانوا
يتولون أولياء الله ويتبرؤن من أعداء الله وكفى به جرما عظيما عندهم وعيبا كبيرا بينهم وقل
في بني العباس فانك ستجد بحمد الله تعالى مقالا وجل في عجائبهم فانك ترى ما شئت مجالا يجبى
فيؤهم فيفرق على الديلمي والتركي ويحمل الى المغربي والفرغاني ويموت امام من أئمة الهدى
وسيد من سادات بيت المصطفى فلا تتبع جنازته ولا تجصص مقبرته ويموت ضراط لهم أو لاعب
أو مسخرة أو ضارب فتحضر جنازته العدول والقضاه ويعمر مسجد التعزية عنه القواد والولاه
ويسلم فيهم من يعرفونه دهريا أو سوفسطائيا ولا يتعرضون لمن يدرس كتابا فلسفيا ومانويا
ويقتلون من عرفوه شيعيا ويسفكون دم من سمى ابنه عليا ولو لم يقتل من شيعة أهل البيت غير
المعلى بن خنيس قتيل داود بن علي ولو لم يحبس فيهم غير أبي تراب المروزي لكان ذلك جرحا لا يبرأ
ونائرة لا تطفأ وصدعا لا يلتئم وجرحا لا يلتحم وكفاهم أن شعراء قريش قالوا في الجاهلية أشعارا
يهجون بها أمير المؤمنين عليه السلام ويعارضون فيها أشعار المسلمين فحملت أشعارهم ودونت
أخبارهم ورواها الرواة مثل الواقدي ووهب بن منبه التميمي ومثل الكلبي والشرقي بن
القطامي والهيثم بن عدي وداب بن الكناني وأن بعض شعراء الشيعة يتكلم في ذكر مناقب
الوصي بل في ذكر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم فيقطع لسانه ويمزق ديوانه كما فعل بعبد
الله بن عمار البرقي وكما أريد بالكميت بن زيد الأسدي وكما نبش قبر منصور بن الزبرقان النمري
وكما دمر على دعبل بن علي الخزاعي مع رفقتهم من مروان بن أبي حفصة اليمامي ومن علي بن الجهم
الشامي ليس الا لغلوهما في النصب واستيجابهما مقت الرب حتى ان هرون بن الخيزران

وجعفر المتوكل على الشيطان لا على الرحمن كانا لا يعطيان مالا ولا يبذلان نوالا الا لمن شتم آل أبي طالب ونصر مذهب النواصب مثل عبد الله بن مصعب الزبيري ووهب بن وهب البحتري ومن الشعراء مثل مروان بن أبي حفصة الأموي ومن الأدباء مثل عبد الملك بن قريب الأصمعي فأما في أيام جعفر فمثل بكار بن عبد الله الزبيري وأبي السمط بن أبي الجون الأموي وابن أبي الشوارب العبشمي ونحن أرشدكم الله قد تمسكنا بالعروة الوثقى وآثرنا الدين على الدنيا وليس يزيدنا بصيرة زيادة من زاد فينا ولن يحل لنا عقيدة نقصان من نقص منا فان الاسلام بدأ غريبا وسيعود كما بدأ كلمة من الله ووصية من رسول الله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ومع اليوم غد وبعد السبت أحد قال عمار بن ياسر رضي الله عنه يوم صفين لو ضربونا حتى تبلغ سعفات هجر لعلمنا أنا على الحق وأنهم على الباطل ولقد هزم رسول الله صلوات الله عليه ثم هزم ولقد تأخر أمر الاسلام ثم تقدم الم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولولا محنة المؤمنين وقلتهم ودولة الكافرين وكثرتهم لما امتلأت جهنم حتى تقول هل من مزيد ولما قال الله تعالى ولكن أكثرهم لا يعلمون ولما تبين الجزوع من الصبور ولا عرف الشكور من الكفور ولما استحق المطيع الأجر ولا احتقب العاصي الوزر فان أصابتنا نكبة فذلك ما قد تعودناه وان رجعت لنا دولة فذلك ما قد انتظرناه وعندنا بحمد الله تعالى لكل حالة آله ولكل مقامة مقاله فعند المحن الصبر وعند النعم الشكر ولقد شتم أمير المؤمنين عليه السلام على المنابر ألف شهر فما شككنا في وصيته وكذب محمد صلى الله عليه وسلم بضع عشرة سنة فما اتهمناه في نبوته وعاش ابليس مدة تزيد على المدد فلم نرتب في لعنته وابتلينا بفترة الحق ونحن مستيقنون بدولته ودفعنا الى قتل الامام بعد الامام والرضا بعد الرضا ولا مرية عندنا في صحة امامته وكان وعد الله مفعولا وكان أمر الله قدرا مقدورا كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون ولتعلمن نبأه بعد حين اعلموا رحمكم الله أن بني أمية الشجرة الملعونة في القرآن وأتباع الطاغوت والشيطان جهدوا في دفن محاسن الوصي واستأجروا من كذب في الأحاديث على النبي صلى الله عليه وسلم وحولوا الجوار الى بيت المقدس عن المدينه والخلافة زعموا الى دمشق عن الكوفه وبذلوا في طمس هذا الأمر الأموال وقلدوا عليه الأعمال واصطنعوا فيه الرجال فما قدروا على دفن حديث من أحاديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله ولا على تحريف آية من كتاب الله تعالى ولا على دس أحد من أعداء الله في أولياء الله ولقد كان ينادى على رؤسهم بفضائل العتره ويبكت بعضهم بعضا بالدليل والحجه لا تنفع في ذلك هيبه ولا يمنع منه رغبة ولا رهبه والحق عزيز وان استذل أهله وكثير وان قل حزبه والباطل ذليل وان رصع بالشبهه وقبيح وان غطى وجهه بكل مليح قال عبد الرحمن بن الحكم وهو من أنفس بني أمية

أمية أمسى نسلها عدد الحصا * وبنت رسول الله ليس لها نسل

غيره

لعن الله من يسب عليا * وحسينا من سوقة وامام

وقال أبو دهبل الجمحي في محة سلطان بني أمية وولاية آل بني سفيان

تبيت السكارى من أمية نوّما * وبالطف قتلى ماينام حميمها

وقال سليمان بن قتة

وان قتيل الطف من آل هاشم * أذل رقاب المسلمين فذلت

وقال الكميت بن زيد وهو جار خالد بن عبد الله القسرى

فقل لبنى أمية حيث حلوا * وان خفت المهند والقطيعا

أجاع الله من أشبعتموه * وأشبع من بجوركم أجيعا

وما هذا بأعجب من صياح شعراء بنى العباس على رؤسهم بالحق وان كرهوه وبتفضيل من نقصوه وقتلوه قال المنصور بن الزبرقان على بساط هرون

آل النبى ومن يحبهم * يتطامنون مخافة القتل

ومن النصارى واليهود هم * من أمة التوحيد فى أزل

وقال دعبل بن على وهو صنيعة بنى العباس وشاعرهم

ألم تر أنى مذ ثمانين حجة * أروح وأغدو دائم الحسرات

أرى فيأهم فى غيرهم متقسما * وأيديهم من فيئهم صفرات

وقال على بن العباس الرومى وهو مولى المعتصم

تأليت أن لا يبرح المرء منكم * يتل على حر الجبين فيعفج

كذاك بنو العباس تصبر منكم * ويصبر للسيف الكمى المدجج

لكل أوان للنبى محمد * قتيل زكى بالدماء مضرج

وقال ابراهيم بن العباس الصولى وهو كاتب القوم وعاملهم فى الرضا لما قربه المأمون

يمن عليكم بأموالكم * وتعطون من مائة واحدا

وكيف لا ينتقصون قوما يقتلون بنى عمهم جوعا وسغبا ويملؤن ديار الترك والديلم فضة وذهبا يستنصرون المغربى والفرغانى ويجفون المهاجرى والانصارى ويولون أنباط السواد وزارتهم وقلف العجم والطماطم قيادتهم ويمنعون آل أبى طالب ميراث أمهم وفىء جدهم يشتهى العلوى الاكلة فيحرمها ويقترح على الايام الشهوة فلا يطعمها وخراج مصر والاهواز وصدقات الحرمين والحجاز تصرف الى ابن أبى مريم المدينى والى ابراهيم الموصلى وابن جامع السهمى والى زلزل الضارب وبرصوما الزامر وأقطاع بختيشوع النصرانى قوت أهل بلد وجارى بغا التركى والافشين الاشر وسنى كفاية أمة ذات عدد والمتوكل زعموا يتسرى باثنى عشر ألف سريه والسيد من سادات أهل البيت يتعفف بزنجية أوسنديه وصفوة مال الخراج مقصور على أرزاق الصفاعنه وعلى موائد المخانثه وعلى طعمة الكلابين ورسوم القرادين وعلى مخارق وعلوية المغنى وعلى زرزر وعمر بن بانة الملهى ويبخلون على الفاطمى بأكلة أو شربه ويصارفونه على دانق وحبه ويشترون المعوادة بالبدر ويجرون لها مايفى برزق عسكر والقوم الذين أحل لهم الخمس وحرمت عليهم الصدقة وفرضت لهم الكرامة والمحبة يتكففون ضرا ويهلكون فقرا ويرهن أحدهم سيفه

ويبيع ثوبه وينظر الى فيئه بعين مريضه ويتشدد على دهره بنفس ضعيفه ليس له ذنب الا أن جده
النبي وأبوه الوصي وأمه فاطمه وجدته خديجه ومذهبه الايمان وامامه القرآن وحقوقه مصروفة
الى القهرمانة والمضرطه والى المغمزة والى المزرره وخمسه مقسوم على نقار الديكة الدمية والقرده
وعلى عرس اللعبة واللعبه وعلى مربية الرحله وماذا أقول في قوم حملوا الوحوش على النساء المسلمات
وأجروا العباده وذويه الجرايات وحرثوا تربة الحسين عليه السلام بالفدان ونفوا زواره الى البلدان
وما أصف من قوم هم نطف السكارى في أرحام القيان وماذا يقال في أهل بيت منهم نبغ البغا
وفيهم راح التخنيث وغدا وبهم عرف اللواط كان ابراهيم بن المهدي مغنيا وكان المتوكل مؤنثا
موضعا وكان المعتز مخنثا وكان ابن زبيدة معتوها مفركا وقتل المأمون أخاه وقتل المنتصر أباه
وسم موسى بن المهدي أمه وسم المعتضد عمه ولقد كانت في بني أمية مخازي تذكر ومعايب تؤثر
كان معاوية قاتل الصحابة والتابعين وأمه آكلة أكباد الشهداء الطاهرين وابنه يزيد القرود
مربي الفهود وهادم الكعبه ومنهب المدينه وقاتل العتره وصاحب يوم الحره وكان
مروان الوزغ ابن الوزغ لعن النبي صلى الله عليه وعلى آله أباه وهو في صلبه فلحقته لعنة الله ربه
وكان عبد الملك صاحب الخطيئة التي طبقت الارض وشملت وهي توليته الحجاج بن يوسف الثقفي
فاتك العباد وقاتل العباد ومبيد الاوتاد ومخرب البلاد وخبيث أمة محمد الذي جاءت به النذر
وورد فيه الاثر وكان الوليد جبار بني أميه وولي الحجاج على المشرق وقرة بن شريك على المغرب
وكان سليمان صاحب البطن الذي قتله بطنه كظه ومات بشما وتخمه وكان يزيد صاحب سلامة
وحبابه الذي نسخ الجهاد بالخمر وقصر أيام خلافته على العود والزمر وأول من أغلى سعر المغنيات
وأعلن بالفاحشات وماذا أقول فيمن أعرق فيه مروان من جانب ويزيد بن معاوية من جانب
فهو ملعون بين ملعونين وعريق في الكفر بين كافرين وكان هشام قاتل زيد بن علي مولى يوسف
ابن عمر الثقفي وكان الوليد بن يزيد خليع بني مروان الكافر بالرحمن الممزق بالسهام القرآن
وأول من قال الشعر في نفي الايمان وجاهر بالفسوق والعصيان والذي غشي أمهات أولاد أبيه
وقذف بغشيان أخيه وهذه المثالب مع عظمها وكثرتها ومع قبحها وشنعتها صغيرة وقليلة في جنب
مثالب بني العباس الذين بنوا مدينة الجبارين وفرقوا في الملاهي والمعاصي أموال المسلمين
هؤلاء أرشدكم الله الائمة المهديون الراشدون الذين قضوا بالحق وبه يعدلون بذلك يقف خطيب
جمعتهم وبذلك تقوم صلاة جماعتهم فان كسد التشيع بخراسان فقد نفق بالحجاز والحرمين والشام
والعراقين وبالجزيرة والثغرين وبالجبل والبغارين وان تحامل علينا وزير أو أمير فانا نتوكل
على الامير الذي لا يعزل وعلى القاضي الذي لم يزل يعدل وعلى الحكم الذي لا يقبل رشوه ولا
يطلب سجلا ولا شهادة واياه تعالى نحمد على طهارة المولد وطيب المحتد ونسأله أن لا يكلنا الى أنفسنا
ولا يحاسبنا على مقتضى عملنا وأن يعيذنا من رعونة الحشويه ومن لجاج الحروريه وشك الواقفيه
وارجاء الحنفيه وتخالف أقوال الشافعيه ومكابرة البكريه ونصب المالكيه واجبار الجهميه
والنجاريه وكسل الراونديه وروايات الكيسانيه وجحد العثمانيه وتشبيه الحنبليه وكذب الغلاة
الخطابيه

الخطابيه وأن لا يحشرنا على نصب أصفهانى ولا على بغض لاهل البيت طوسى أو شاشى ولا على ارجاء كوفى ولا على تشبيه قمى ولا على جهل شامى ولا على تحنبل بغدادى ولا على قول بالباطل مغربى ولا على عشق لابى حنيفة بلخى ولا على تناقض فى القول حجازى ولا على مروق حجزى ولا غلو فى التشيع كرخى وأن يحشرنا فى زمرة من أحببناه ويرزقنا شفاعة من توليناه اذا دعا كل اناس بامامهم وساق كل فريق تحت لوائهم انه سميع قريب يسمع ويستجيب

﴿ وكتب الى وزير صاحب خوارزم بعد محنته ﴾

فهمت ما ذكره الشيخ من توبة الدهر اليه من ذنبه وخطبته لسلمه بعد حربه وما لا يزال يتعرفه منذ انقشعت ضبابة المحنه وانجلت غمرة النكبه من صنع جديد فى ظل يوم جديد لم يحتسبه وعز موتنف فى كل ساعة لم يحسبه حتى اقداشتم روائح عود الحال الى ماثها الناضب ورجوع الدولة الى رسمها الذاهب وهكذا تكون أحوال المقبلين فان الايام اذا غلطت فخنت عليهم رجعت فاعتذرت اليهم والزمان اذا حار بهم خطأ سالمهم عمدا فيستوفون فى الحالين أجر المحنه وزيادة بشكر النعمه ثم يختم لهم بما هو بحالهم أليق وبمقاديرهم أوفق والمحنة اذا كانت بعرض زوال فليست بمحنه كما أن النعمة اذا انتظر بها التغيير فليست بنعمه وانما الانسان من دهره فى يومه فأما أمسه فأجل وأما غده فأمل وكل غم سبب السرور فهو سرور وكل ظلمة كانت طريقا الى النور فهى نور ومن محاسن أيام المحن أن الانسان يعرف بها غش الاصدقاء ويقف منها على أوزان الثقات والاولياء ويميز بين من هو صديق البلاء وصديق الرخاء ومن فوائدها أنها تعلم المرء مقدار العافيه وتعرفه اخراج زكاة الجاه والدوله وتحلى فى فمه ما يجده بعدها من طعم السلامه ومن منافعها أنها تطلع الناس على مقادير قوم لولا المحنة لم يطلعوا عليها وتظهر كفاية أناس لولا غيبتهم وحضور البدل منهم لم يهتدوا اليها والآن عرف الشيخ بحقيقته ووزن بزنته ووقف السلطان والرعية على تفصيله وجملته بحضور غيره وغيبته وانما يعرف حق الافاضل من دفع بعدهم الى عشرة الاراذل ويشتد يده بالخاصه من ابتلى بعده بالعامه وما أغلى الماء على من فقده وأرخصه عند من وجده هذا وقد صقلت هذه الفترة خلائق الشيخ بالتجارب ووضعت فى يده مرآة النظر فى العواقب وهذبت أفعاله من كل شوب وغسلت عنه وضر كل عيب على أنه لم يزل مبرأ من كل رذيله ومخصوصا بكل فضيله ولكن الايام علمها فى التعليم وخاصتها فى باب التنبيه والتقويم فالحمد لله الذى رد الى ذلك الامير جماله وبهاءه وعمر بابه وفناءه وسر شيعته وأولياءه وغم حسدته وأعداءه ولم يفجعه بالعلق النفيس الذى لا يشترى بالاثمان ولا يوزن بالميزان ولا يكتال بالقفزان ولا يرى مثله فى هذا الزمان كما لم ير فى سائر الازمان ثم الحمد لله الذى حول كتبى من التعزية الى التهنيه وأخرج القاضى من ميدان الصبر الى ميدان الشكر وجعلنى رطب اللسان بالحمد لله بعد ما كنت رطب اللسان بانا لله ثم الحمد لله الذى استجاب دعائى ورحم بكائى وعلمنى كيف تطلب الحاجات ومتى تستجاب الدعوات وعرفنى أن الدهر غريم ربما يفى بما يعد وهب لى ربما تم فيما تلد ثم الحمد لله الذى أرانى أهل خوارزم وقد عرفوا ربحان من فقدوه بمن وجدوه

كما عرفوا نقصان من وجدوه عن كان فقدوه وأنشدوا قول حنظلة بن عرادة التميمي

عتبت على سلم فلما فقدته ❊ وعاشرت أقواما رجعت الى سلم

وقول دعبل وترجعني اليك وان تناءت ❊ دياري عنك تجربة الرجال

﴿وكتب الى رئيس سمرقند﴾

وصل كتاب سيدي بعد أن كنت ظننت لتأخره ظنونا أعيذه بل أعيذني بالله من أن تصدق بها فراستي أو تحقق مخيلتي وظن المحب متوزع والشفيق بسوء الظن متولع الكتاب الذى ذكر سيدي لم يصل ولقد كان الكاغد للجواب عنه موجودا والكاتب مشهودا والوقت بحمد الله تعالى ومنه طويلا ممدودا أفهم غير المفهوم وليت شعري كيف سلط على كتبنا حتى اقتطعها دوننا سليك ابن السلكة السعدي وأوفى بن مطر المازني وعمرو بن براقة الهمداني والشنفري الازدي وتأبط شرا الفهمي والسمهري العكلي ومالك بن الريب المزني وشطاط وبرجان وكعب حدر ومالك بن خزيم وعمر الكاب الهذلي وجحدر البكري والمنتشر بن وهيب الباهلي وأبو النشناش الحنظلي والقتال الكلابي وأبو حردبة والحطيم التميمي وأكحل ورزام الحاربان واسكاب والغداف القاطعان وطهمان ومن مثل طهمان وعبد العزيز وعرقل التميميان ووبرة الغفاري وحاجر بن عمرو الازدي هؤلاء لصوص العرب وصعاليكها الذين كانوا يسلبون الناس سلبا ويأخذون كل سفينة غصبا وأما بعد اليوم اذا كتبت الى سيدى كتابا قرأت عليه المعوذتين وعلقت في جيده تميمتين وأخذت من حامله كفيلين أحدهما ذو الجناحين والآخر ذو النورين حاجتي في كذا قضيت بسيدى لازال قيامه بالحوايج يحل ما يعقد ويسهل ما يشدد ولازالت عنايته تفك أسيرا وتيسر عسيرا لاجرم لقد كتب على سجل رق وقلد رقبتي له حقا يوفي على كل حق وان رجلا نقل هذا الدهر اللئيم من المذمة الى المحمده وعلمه انجاز الموعده لرجل يحسن أن يغير الشيم وان يعلم اللئيم الكرم فلا زالت أتحمل لسيدى عارفة تنضاف الى سائر عوارفه وآنف صنيع ينضم الى سالفه حتى تسود حواشي جريدة نعمه على وأياديه الى فأعمل جريدة غيرها وأضيف اليها مثلها

﴿وكتب الى أبي سعيد أحمد بن شبيب جوابا عن كتاب له ورد عليه يبشره فيه بخلاص وزير خوارزمشاه من المحنة﴾

كان كتاب صاحب الجيش ورد مشحونا ببشارتين أوردتا فرحتين وأوجبتا شكرين احداهما وهي كبراهما خبر سلامته وسلامة أحواله ونعمة الله تعالى عليه في جملته والثانية خبر ما أتاح الله تعالى للوزير أبي فلان من الفرج الذى وافى بغتة وورد على القلوب والاسماع فلته فما أدري بأية النعمتين كنت أكبر اعتدادا وأكثر بها المحاسن الايام تعدادا وبأية البشارتين كان سروري أكبر حجما وأعظم جرما ولاية الفرحتين كان قلبي أطرب ولساني بشكر الله تعالى أرطب على أن سلامة صاحب الجيش وان كانت البشارة التى توفي على البشائر والنعمة التى تربي على النعم البواطن والظواهر فانها جرت مجرى الشيب اذا كانت متطلعة متشوفه ومتوقعة متوكفه وردت

على

على شيخ ينتظر موردها وعلى قلب يتنجز موعدها وخبر نعمة الله تعالى على ذلك الوزير وقد جرى مجرى بيضة العقر وقام مقام افتراع البكر ورد والقلوب فيه غير طامعه والنفوس اليه غير منازعه واليأس قد أرتج باب الرجاء والبلاء قد نسخ آيات الرخاء وطول أيام الفتره قد هزم بجيش الهم جيش المسره وكان نعمة خرجت من بيت نقمه وفرحة نبتت في أرض غمه وخبرا سارا أمر على أذن طالما قرعها خبر البلاء وعلى عين طالما باتت على السهر وأصبحت على البكاء والسرور اذا خرج من الكمين كان أنفس للزينه والفضل اذا وجد في ساعة البكاء كان أغرب في السماع والرؤيه والحمد لله الذي جعل صاحب الجيش يهدي البشائر الى مضاعفه وينم على النعم متراكمة مترادفه ويورد على خبر سلامته في نفسه التي هي أعز النفوس على ثم وجاها بخبر سلامة أحب الناس بعده الى لتكون ريح المسرة قد هبت على جنوبا وشمالا وجناح الانس والطرب قد رفرف حولي يمينا وشمالا كأن الخيرات لا تعرف طريقا الى الامن بابه وكأن البشائر لا تحسن أن تطلع على الا من كتابه وخطابه وفهمته وعظم اعتدادي بوروده لصاحب الجيش على أني لو أنصفته لشكرته بلسانين وأحببته بقلبين وكتبت بيدي بقلمين وواليت أيامه ودولته بنفسين كما أنه يحسن الى من جهتين ويبشرني من جانبين ويهدي الى الهدية ذات الطرفين فأما ان نعمته على مثنى مثنى ومكافأتي له عنها فرادى فتلك اذن قسمة ضيزى ولكن متى استوى في فعل محسن وحال شاكر ومتى ربح رئيس على شاعر ومتى استوى من يطلب سائلا ومن يطلب نائلا لا عدمت صاحب الجيش سيدا وسندا ومددا وعضدا وركنا مؤيدا وسنانا محددا وسهما مسددا وسيفا مجردا مهندا وجندا مجندا وعزا مؤبدا سرمدا ولا خلوت منه أبدا

﴿وكتب الى خوارزمشاه﴾

ورد على كتاب الامير مع فلان فلا أدري أيهما كان أشد أسروري بالرسول أم سروري بالمحمول وفهمته ولما عرضته على أصدقائي صار يحسدني عليه أعدائي فلما اجتلوا محاسن الكلام بقلوبهم ومحاسن الخط بعيونهم علموا أن بخوارزم قوما من النجاد الافضل ومن الطراز الاول اذا أخذوا الاقلام كتبوا واذا أخذوا السيوف ضربوا وان كان الامير رأس الجريده وفارس الكتيبه ونكتة المسئلة وطراز الكسوه ووجه الرزمه وصدر الدست وأول التخت وخال الخد ودق الدق ولب اللب وبحسب الامير أن هذا الكتاب وافاني ليلا فأحببت له الليل حب كثير عزه وعشقته عشق جميل بثينه وأبغضت له النهار بغض العاشق الفراق وبغض العروس الطلاق ولقد تركت الاسماع به مشحونه والقلوب مفتونه وأتاني خلال ذلك فرح لا يسعني جلدي منه فرحا ولا تحملني أهوادسر جي مرحا فأنشدت

واذا نظرت الى أميري زادني * ضنا به نظري الى الامراء

ولقد قال لي من لا يدع فضلا الا تنقصه ولا جميلا الا غمصه هذه كتابة الوزير لا كتابة الامير فقلت له مازدت على أن جعلت الفضل خادمه والكمال تابعه ومن خدمه الفضلاء فقد خدمه

الفضل ومن تصرف في عمله العقلاء فقد تصرف له العقل وكيف يخدم الفضلاء غير فاضل أم كيف يرضى الكملة بالمقام على غير كامل وأصدرت الجواب الى حضرة الامير عمرها الله تعالى بوفود الرجاء وملأ رحابها وأبوابها برسل الملوك والرؤساء وصرف اليها زمام كل رغبه وثنى نحوها عنان كل رهبه وجعلت هذه الاحرف جنيبة للجواب وجنائب القول من جنائب الخيل

❁ وكتب الى العامل على البريد بالاهواز ❁

كنت ظننت بك يا أخي ظنا كذبه قبح فعلك وضعف هجرك ووصلك فانك لا تعمل فيهما على قياس واجب ولا تصبر منهما على طعام واحد فلا جرم لقد رجعت في ودي لك وما كنت أرجع في هبه وندمت على ثقتي بك وعهدي بي أن لا أندم على حسنه وهذا أيدك الله تعالى رزقي من كل من أصفيته حبي ووضعت في يديه قلبي فأنا ابدا بين صديق أشكوه وقد كنت أشكره وأعذله وقد كنت أعذره وأرتجع قلبي منه كرها وقد سلمته اليه طوعا حتى لقد اشتغل قلبي بخوف الاصدقاء عن خوف الاعداء واشتغل شعري بالعتاب عن المديح والهجاء حتى لقد صرت أعد سوء الظن حزما وأرى المساهلة غبنا وأحسب المكافأة على القبيح عدلا ومعاشرة الناس بالغش عقلا وان كان هذا ليس جميلا فأنا فيه تلميذ أصدقائي وهم في الجد عليه شركائي

❁ وكتب الى أبي حامد بن روزبه أديب قومس ❁

وصل كتاب شيخي مكتوبا بخط ينطق بغير لسان ويفصح من غير بيان أحسن من كل شيء غير كلام صاحبه وألطف من كل شيء غير أخلاق كاتبه القصيدة قد حفظتها لما لحظتها ورويتها لما رأيتها ولو أجبت عنها لسرقت الجواب منها اذ كانت قد جمعت نشر البديع وضمت أطراف الوصف والترصيع ولو فعلت ذلك لكنت قد أهديت الى شيخي من ماله وخلعت عليه من يده وضربته بسيفه على أني قد طلقني الشعر ولا أقول طلقته وانما الشعر بالطرب أو بالرغب أو بالرهب وما بقي شيء يسر به فأطرب ولا بقي كريم فأرغب ولا بقي وجل فأرهب

❁ وكتب الى أبي زيد جوابا عن كتابه ❁

وصل يا ولدي كتابك القصير جدا المختصر جدا وفهمته ذكرت انك مشتاق الى اللقاء ومستبطئ في ذلك القدر والقضاء والمسافة بيننا صغيرة البقعه ضيقة الرقعه اذا ذرعت بذراع الهوى ومسحت بيد الذكرى وهي بعيدة اذا مسحت بيد التسلي ونظر اليها بعين التغافل والتناسي والبعيد قريب اذا التقى العزم والتوفيق كما أن القريب بعيد اذا التقى التفريط والتعويق فلا تتعلق بأذناب العلل (لو صح منك الهوى أرشدت للحيل)

❁ وكتب الى أبي حامد أيضا الاديب بقومس ❁

ورد على كتاب الشيخ وهو أعز كتاب علي الا أنه كان صغيرا كأيام لقائي له قصيرا كمدة أنسي به على انه لا قليل من البر ولا صغير من الذكر على أن صغير البر ألطف وأطيب كما أن قليل الذكر أشهى وأعذب عاتبني الشيخ عتابا آنساني الرعد القاصف والريح العاصف والبرق الخاطف وأردت جوابه فمقل لساني عنه ذكر أيام تنقض العزائم وتسل الصحائم وما كل انسان

يعطى

يعطى السلطان على قلبه فيقلبه وعلى شيطانه فيغلبه فلم نزغ شيخى قيصا من حسن العشرة ولم يزل يلبسه وأطلق لسانا لم يزل يحبسه أنا بكتاب شيخى اذا ورد على أشد سرورا من المشتاق الى التلاق بعد طول الفراق ومن العاشق بالعناق ومن الاسير بالاطلاق ومن الفارك بالطلاق فليتحفنى به وليؤهلنى له ان شاء الله تعالى

(وكتب اليه أيضا)

كتبت الى شيخى كتابا سامحت فيه يدى وخاطرى وغالطت فى انتقاده قلبى وناظرى لأن رسوله كان أعجل من أير دخل نصفه ومن عامل حضر مشخصه ومن حاج لم يبق بينه وبين الموقف سوى ليلة أو بياض غدوه وهو على فرامخ بعيده وفوق مطية بليده ومن منهزم رأى خلفه سواد الطلب وخاف عاقبة فوات الروح والسلب ومن الحشرى يوم الجمعة وقد سمع الأذان وركب السلطان فلازمنى حتى ضغطنى ضغط الغريم وضبطنى ضبط الخصيم وشغلنى عن بسم الله الرحمن الرحيم فكتبت ويدى ترتعش وقلبى ذاهل دهش وأنا أرى لشيخى أن يستعمل هذا الرسول فى جباية المال واستحثاث العمال واجتلاب الصدقات والجوال فانه يحاسب على اللحظه ويضايق فى اللفظه ويتقاضى تقاضيا يزهق النفس ويقطع النفس فلو عرف ملك الموت سره جعله خليفته وفوض اليه أمره فانه أكره منه لقاء وأشد اقتضاء وحاجتى أن لا يرده شيخى الى فانى أرحم الأرض من ثقله وأحب بطنها وأبغض ظهرها من أجله والسلام

(وكتب تعزية الى أبى بكر)

بلغنى ما قاساه شيخى أيده الله تعالى فى هذه المصيبة من غم يشكى بل يبكى وجزع يضنى بل يفنى والموت خطب ثقل حتى خف وهان على الباقى لما رآه بالماضى وعلى المعزى لما نظره فى المعزى ودخل الجميع تحت قول المتنبى

يدفن بعضنا بعضا ويمشى * أواخرنا على هام الاوالى

وشيخى أعرف بالله وأقرأ لكتاب الله وأروى لاخبار رسول الله من أن يتأدب بغير أدب الله ولا يسلم لقضاء الله ولكن لمفاجأة المصيبة لذعة يستراح منها الى مباثة الصديق والى تسلية الأخ الشقيق فقد يأنس المريض الى العائد وان علم أنه لا يملك شفاءه ولا يدفع بلاءه جعلنا الله تعالى ممن يتنجز بالصبر ما وعده من البشرى والصلوات والرحمة والهدى فانه تعالى ذكره ذكر الصابرين فقال أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون وألهمنا العزاء عما استأثر به والشكر على ما أخاف منه والسلام

(وكتب الى أبى سعيد رجاء بن الوليد الأصفهانى)

كتابى وقد عفا بيننا رسم المكاتبة والمراسله ونسى اسم المطالعة والمواصله والذنب فى ذلك لأحدنا فان كنته فنى المعذره ومن الشيخ الصفح والمغفره وان كان هو فقد عذرته قبل أن يعتذر وغفرت ذنبه قبل أن يستغفر وطفلت عليه بنصبى لسانى نائبا عنه وخليفة له وورد ولدى فلان فنظرت منه وفيه الى أبيه ورأيته قد كسوته رداء جمال وكمال وصقلته بيدى اقبال واقتبال وخرجت نجيبا

أخجل النجباء وابنا احيا الآباء ورأيته

يطلب شأوامرأين قدماحسنا * بذا الملوك وفا تاهذه السوقا

هو الجواد فان يلحق بشأوهما * على تكاليفه فمثله لحقا

أو يسبقاه على ما كان من مهل * فمثل ماقدما من صالح سبقا

وما أجم هذا الولد النجيب على سبقه الى المدى وعلى ارتفاعه فى الذروة العليا وقد رسخ عرقه فى تلك الدرّة الكريمه وفرعت غصونه على تلك الدوحة العميمه لابل لو أقام على مربط الشيخ فرس لما اعتدت له أن يكون جوادا ولو بات فى خزانته سيف لماشكرته على أن يكون حساما فكيف بولده ومن هو قطعة من كبده كانت الايام أمتعنى الله بلقاء الشيخ مديدة قصيره كأن نهارها القصره ظهرا وعصرا وليلها عتمة وفجرا فلما شكرتها ارتجعت فيما وهبت وندمت على ماصنعت وذلك رسم اللئيم فانه اذا شكر على احسان غلط به تنبه للؤمه فأساء وندم على ماسببه من المسرة فساء والكريم اذا شكرته قابل الشكر بالمزيد وتجاوز الصنع القديم الى الجديد فان عادت الأيام بمثل تلك الغالطه وظفرت بتلك الفلته كتمتها شانى وشكرتها بصبرى دون لسانى بلغنى خبر تلك الفترة التى كانت عينا أصابت الاحسان وعيبا لحق الزمان والسلطان فزادذلك فى جراح الايام بى وفى وقائعها بقلبى ثم تذكرت أن الدولة للمحسنين والعاقبة للمتقين وأن الدهر يخطئ ثم يصيب ويذنب ثم يتوب لايبخل على الشيخ بكتبه فلو لم أستفد منها الا خبر سلامته لكانت الضالة التى تطلب والعلق الذى لايعار ولايوهب فكيف وفيها ألفاظه التى تشوّق العجوز الى شبابها والشابة الى أحبابها فما قرأتها قط الا حسد طرفى لسانى على لفظه وحسد لسانى طرفى على لحظه

فوالله ما أدرى أزيدت ملاحة * على الخلق أم رأى المحب فلا أدرى

وأنا وان كنت شاعر اللسان فلست شاعر الخلق ولا شاعر الوفاء والصدق ولا شاعر الصداقة والودّ ولا شاعر الديانة والعقد لا أتلوّن أخلاقى ألوانا ولا أكون على صديقى ومن يشكو الىّ زمانا ولا أكون أخاه أيام دولته وعدوه أيام عطلته وقد غشت المروآت وانثلمت المودّات ومات الوفاء والثبات

﴿وكتب الى ابن العميد الحاكم﴾

كتابى الى الشيخ عن سلامة تمم أتمها منذ ورد علىّ خبر سلامته ونعمة أسبغت علىّ منذ وقفت على ماأسبغه الله تعالى عليه من نعمته ورد علىّ كتاب الشيخ الذى كلّ سطر من سطوره كتاب وكلّ لفظة من ألفاظه باب بل أبواب المفيد باطنه وظاهره البديع أوله وآخره الذى ماورد على الاحسدنى عليه من رآه بيدى وودّ أنه لو كانت عيناه عينى وعلم أنى قد حويت فى الحظوظ بقسم وافر وانه قد حصل منها على غبن ظاهر لازال الشيخ أباعذر كل كلمة سائره وكل فعلة نادره ولا زالت أخلاقه مظنة لحفظ العهد ومحط الرحال الحمد وشريعة موروده لزوار المجد وبابا مفتوحا لمستخرجى الرفد فلان قد غضب علىّ وما أعرف لى ذنبا يستوجب منه غبنا ولا أنسبه مع ذلك الى التجنى ولا أضع فعله موضع الظلم والتعدى ولكن من الذنوب مايظهر لمن رآه ويخفى على من جناه وقد يرى الانسان من عيب غيره مالايراه من عيوب نفسه ولذلك قيل

ان

أن المرائى لاتريك عيوب وجهك فى صداها
وكذاك نفسك لاتريك عيوب نفسك فى هواها

أسأل الشيخ أن يردّ علىّ من صلته مافقدته ويوجدنى من عفوه مانشدته ليكون قد صار طبيبا لاخلاق اخوانه يداويهما من داء الهجران ويصلحهما من فساد الزمان ولتكون نعمه على متفرقة أغصانها ومتلونة ألوانها فان النعمة اذا تكافأت مذاهبها وتعادلت جوانبها اتسع فيها مجال الشكر والذكر وطالت فيها خطوة النظم والنثر

﴿وكتب الى أبى القاسم الابىّ البندار﴾

خرج الشيخ الى ناحية عمله خروج السارق لابل خروج الآبق قد كتم اخوانه حاله ولم يستكفهم أشغاله وخصنى من بينهم بالقسم الأوفر من الكتمان لابل بالقسط الأوفر من الحرمان وما كان يضره لو صحبت ركابه وكثرت بسوادى أصحابه وقد ألزمته الذنب دونى وان كان مقسوما بينه وبينى كان ينبغى لى أن أقيم على بابه حارسا وبكل درب من دروب محلته فارسا وأتعرف خبر رحيله وأقف على كثير ما يأتى وقليله واذا رحل شيعته بجسمى مرحلتين وبقلبى مائتين على أن قلبى قد شيعته حيث هو ومعه فليتفضل بردّه علىّ وان ينفذه بل يقدمه رسولا قاصدا الىّ فان غاية المشيع أن يرجع وعاقبة الضيف أن يودّع ولا يأخذ قلوب أصدقائه فى مرافق أعماله ولا يكثر بشيعيه سواد أشيافه ولا يتركنى بلا قلب فانى أحتاج فى مكاتبته الى قلوب وللنظر فى كتبه الى عيون وللصبر على فراقه الى نفوس ولا يقل هو عندى تذكرة منك وناتب على بابى عنك فانما يحتاج الى التذكرة من ينسى والشيخ بحمد الله تعالى لاينسى ولاينسى

﴿وكتب الى ابن سمكة بقم﴾

أنا الح على شيخى فى السؤال وأتجاوز حدّ الادلال الى حدّ الاملال لأن الذى أسأله لايوجد منه عوض ولايقوم عنه جوهر ولا عرض ومن طلب خطيرا احتمل كبيرا وعلى قدر نفاسة المتاع رغبة المبتاع وبحسب عظم النائل ضراعة السائل وليس برد كتاب شيخى على أضنّ منى به ولا أرغب منى فيه ولا أروى منى له ولا أشكر منى عليه ولا أتوق منى اليه وأظن شيخى يستخشن مس عتابى له وعتاب عن قلب نقىّ وصدر برىّ خير من ملق فوقه برد سابرىّ وتحته غش خفىّ فقد يكتم البغض فى زوايا الهوى وقد ينبت المرعى على دمن الثرى ولولا أنى قد أصبحت تحت نعمة الشيخ مستورا وأصبح لسانى بعدها مقصورا لسألته كتابا كذا ولكنى الى الخروج من الحواصل أحوج منى الى طلب النوافل ولقد نقص شيخى الى الادباء وصغر فى عينى العظماء وصارت أخلاقه لى مرآة أرى فيها الحسن والقبيح وأتبين فيها السقيم والصحيح وثمرة الادب العقل الراجح وثمرة العلم العمل الصالح فأما أدباء أهل زماننا فتطرقوا بالادب الى الجهل حصدوا النقص من زرع الفضل لاتعدم فى كل زاوية منهم صغيرا يتكبر وقليلا يتكثر لايفيد من دونه بخلا ولا يستفيد ممن فوقه جهلا ولو تعلم العلم جهله ولو علم لحفظ علمه والبخل وحده قبيح فكيف اذا قارنه الجهل والجهل بنفسه نقص كبير فكيف اذا كان معه البخل ومن عجائب البخل أنه داء يعدى فان الجواد يبخل

اذا بخل عليه ويحوّل داء غيره اليه فشرّ الأدواء داء أعدى وشرّ العيوب عيب تعدى امتع الله
تعالى شيخي بمحاسنه التي هي بيت المدح ومقيله وغرّة الدهر وتحجيله وأطال بقاءه وجعلني فداءه

﴿وكتب الى أبي بكر النحوي أديب الجبل وأصبهان﴾

بذلت في حاجة الأديب مجهودي واليه تنتهي غاية جودي فان أكن بلغت منها رضاه فذلك الذي
أريده وأتحراه وان تكن الأخرى فالرمية قصرت عن الرميه والسعي وقع دون مقتضى الأمنية
والنيه فانما الذنب لرسوله الذي زعم أنه أكفى وقال لي حسبك وكفى فان الطبيب يخرج من
الدواء مقدار ما يشكى اليه من الداء ذكر الأديب في كتابه أن سوق الأدب كاسده وانما الكاسد
ما اشتري بدون قيمته وقرب ربح تجارته فأما ما لا يشترى ولا يكترى ولا يذكر ولا يسمى فقد تجاوز
الكساد وبار بل باد كتاب شيخي اذا ورد بخطه نظرت منه الى روضة البصر والى نزهة الفكر
ورأيت منه جمال الآراء القلب قبل الطرف وشممت منه رياحين الروح قبل الأنف واني لأشتاق الى
وروده عليّ شوق المهجور الى الوصل والغائب الى الأهل فاذا انقطع عني وانقطع دوني شكات
أملي وفجعت بسروري وجذلي وغزى بعساكر الهمّ صدري وخلا له ظهري وشيخي يتفضل
فينظم الطرق اليّ به ويكون شفيعي الى لسانه وقلمه ان شاء الله تعالى

﴿وكتب الى أبي بكر بن شيرزد﴾

لو علمت بخروج الشيخ لأخذت بحظي من حلاوة تشييعه ومرارة توديعه وقمت بالواجب عليّ من
الأخذ بركابه ومن تسوية ثيابه على أني لو شيعته لأصبحت مشيعا وصديقا وأمسيت معه صاحبا
ورفيقا ولما تركني الشوق أرجع عنه ولا خلالي أخلو منه وكنت أصير زيادة في أشغاله بل
زيادة في عياله فاذا أنا قد طابت الاحيان فأسأت وارتدت الصواب فأخطأت ولقد تركني الشيخ
بجميل عشرته وكريم صحبته أبغض كلّ من أحببته وأباعد كل من قاربته وكأنه انما بعث اليّ
ليفسد الاخوان عليّ فقد ضيق خلقي وان كان وسع رزقي وأفسد أفعالي وان كان أصلح أحوالي
ومن العجب وجود الحرّ في هذا الزمان الذي صار فيه اللؤم سنة متبعه وأصبح الكرم بدعة مبتدعه
ورخص الثناء حتى ما يبتاع وغلا السخاء حتى ما يباع والكلام في هذا الباب شرط يطين يستهلك
الناس مع عزته ويستفرغ الفراغ مع قلته واني لاعتب على شكري للشيخ وأنسبه الى النزارة وهو
غزير والى الصغر وهو طويل عريض ولقد شكرته شكر الوشكرت الزمان به لأصبح لي شتاؤه
ربيعا وجدبه خصيبا مريعا ومدحته مدحا لو مدحت به الفلك لما دار الا عرادي ولا تصرّفت بروجه
الا على اسعادي ولا سعي الا في مصالح معاشي ومعادي وليس يخلو شكري لصنيعة سيدي أن
يكون دونه أو فوقه أو مثله فان كان دونه فالظن بفضل الشيخ أن تكون يده العليا على من عامله
وصنيعته الراجحة على شكر من شكر له وان كان فوقه فقد ربح عليّ الشيخ فليردني الى رأس المال
فلن ربح الرؤساء على الشعراء من المحال وان كان مثله فقد أخذ مني مثل ما أعطى واستأداني كفاء
ما أدى فليستأنف الآن برا أستأنف شكرا وليجدد نعمه أجدد خدمه هذا أيد الله الشيخ مزاح
حمل عليه بطر الغني والشيخ هو الذي أغناني فليحتمل بطري وهذياني وكيف أحاسبه من نفسي

بعض

بعض صنائعه الىّ وروحى بعض ودائعه لدىّ ومن أفعاله الجميلة عندى تغنى كل حساب وتملأ كل كتاب الشيخ صاحب الديوان رفعت اليه حاجتى فاستقبلني بوجه مانع قولهم قناصبور قانع ليعلم أن الكريم ألوف عروف وصدوف عزوف يشكر على اليسير وتتلطف نفسه على الكثير نسخة الرسائل قد حملتها وماتساوى عندى أن تهدى الى أحد أوتحمل من بلد الى بلد ولكن الشيخ اشتهاها شهوة راكب الخيل لركوب الحمار والبغل وشهوة آكل الطبيخ لآكل الخلّ والبقل وتطرّف بطلبها تطرّف الغنى بلبس الوذارىّ وهوغريق فى الوشى والعتابىّ وقادرعلى الديباج الخسروانىّ ولعله أراد أن يضحك منها ندماءه و يتحف بها جلساءه فتكون بابا من أبواب الهزل أوجنسا من أجناس النقل

وكتب الى الوزير بالحضرة

ما أقرب الأشياء حين يسوقها * قدر وأبعدها اذا لم تقدر

كانت أيد الله الشيخ حاجتى فى وعاء المطال وفى ضمان الأيام والليال فما كسبنى فيها الوماث وأرجف لى بها الاخوان قد أخلق ثوب الرجاء لها حتى تمزق وتراجع حسن الظنّ بها حتى تمحق وطابت النفس عنها بعد اليأس منها حتى دفعت زمامها الى الشيخ فأنشطها من عقال التعذر وأقامها من صرعة التعسر وقضاها قضاء سبق الاقتضاء ونمجح باليقين الرجاء فكان غيثا سق صيبه دعوة المستسقى وماء سيحا قد كفى مؤنة المستقى وانما كنت أيد الله تعالى الشيخ مجدا على الطريق مطروحا و بابا من أبواب المكارم مفتوحا لا المجد يحصل ولا الباب يدخل حتى كانت يد الشيخ أول من جنى تلك الباكوره واحتوى تلك المكرمة المذخوره فالحمد لله الذى وفقه لحفظ ماضيه ورفع ما وضعوه ولقد اشترى من الشكر سلعة قليلة الطلاب فياليت اللئيم يشم رائحة أفعاله أو يلاحظ شخص خصاله و ياليت البخيل يعطى من رزقه قيمة خلقه فى سعته وضيقه و ياليت المخالف للوعد تصير المواعيد فى رقبته أوجبالا على عاتقه فلعلها اذا أثقلت ظهره ضيقت صدره فلا يعود بعدها الى وعد يخلفه وحرّ يسوّفه

وليت رزق أناس مثل جودهم * ليعلموا أنهم بئس الذى صنعوا

ثم أخر مارسم الشيخ حمله من الرسائل لانى أردت أن يحصل بخط لايورث العين قذى ولا القلب أذى ولولا أنى رابع الكتاب والشعراء بالهاء لا بالياء لما أخرجت تلك النسخة الى هذا الاحتشاد ولانتدبت الى كل هذا الارتياد ولكنى كابى الذمية لايألو جهدا فى جودة كساها وكثرة حلاها يشترى لها المطوى والملوىّ و يكسوها الدبيقى والمروىّ ويتجاوز فى جهازها الفضة الى الذهب والشعر الى القصب ثم هو مع هذا كله خائف عليها أن ترجع اليه مطروده وعليه مردودة ولوكانت بنته حسناء لزفها ولوأنها من الثياب عاريه ومن الجمال كاسيه ومن الحلى عاطلة خاليه ومن وجوه اجاليه لعلمه أن لها من نفسها شافعا لاترد شفاعته و بائعا لاتنقض بياعته و بعدهذا كله فانى مقرّ على نفسى بالتقصير ومستحق للوم الكثير فان المحال اذا نصر زاد بردا وان الخطأ اذا احتج له صار عمدا فلان قد أصحبته كتابى بالوصايه وضمنت له ما يسعه رجاؤه وشكره من الرعايه

وأرجو أن الشيخ لا يلوم من جرّ اليه حمد الاحرار بزمامة ووقف الثناء والاجر على مدرجة برّه وانعامه وانما أنا دلال من دلالي الشكر وسمسار من سماسرة الثواب والاجر ولم أر لهاتين السلعتين مشتريا أصح من الشيخ عقدا ولا أجود منه نقدا فجهزت اليه باعة البضاعه ودللت عليه الباعه والسلام

﴿وكتب الى تلميذله﴾

ان كنت أعزك الله تعالى لاترانا موضعا للزياره فنحن في موضع الاستزاره وان كنت تعتقد أنك قد استوفيت ما كان لدينا فسقط حقنا عنك وبقي حقك علينا فقد يزور الصحيح الطبيب بعد خروجه من دائه واستغنائه عن دوائه وقد تجتاز الرعية على باب الامير المعزول فتجمل له ولا تعيره عزله ولو لم تزرنا الالتزين نار بجانك كما طالما رأينا نقصانك لكان ذلك فعلا صائبا وفي القياس واجبا

﴿وكتب الى حاكم نيسابور من أصفهان﴾

وردت أيد الله تعالى الحاكم من الوزير على رجل يستطيل اليوم اذا بعدت عنه ويستقصر الدهر اذا قربت منه أبدع في اكرامي بدائع لو كانت كلمات لكانت أمثالا ولو كانت أبياتا لكانت أفرادا وكساني طرازا من الصيانة ضفت على ذيوله ولاحت على صفحات أحوالي غرره وحجوله وخاطبني بكلام كأنما خلق من خلقه حسنا ورقه وكأنما اقتطع من كلامه لطفا ودقه ووعدني مواعيد في محبة العدل والتوحيد ورقاني في غاية تزلق رجل المنى وتقصر دونها همم الورى وتخجل خلفها الدرجات العلا أردت مطالعة الحاكم بهذه البشرى واتحافه بشرح حال هذه النعمى الكبرى ليعلم أن تلك الفترة كانت خيرة وغيره وأن هذه العاقبة كانت دولة وكرّه وأن الدهر أوفانا كيل المسرّه كما أوفانا كيل المضرّه وحمل الينا من الخير مقدار ما تحامل علينا في المكر ومهد لنا أيام اليسر عدد ما مهد لنا من أيام العسر فقد أنصف وهو ظلوم وتكرم وهو لئيم

﴿وكتب الى محمد بن حمزة رئيس خوارزم﴾

قد انتظرت من الشيخ أن يسبقني الى خطبة الوصل كما لم يزل سابقا الى غاية كل فضل فأبى كسله الا أن أسبقه اليها وأغلبه عليها فابتدأته بالمكاتبة حين ضاق مسلك الصبر وحين اتسع مجال النزاع في الصدر وحين رأيت الحظ يضيع بين هيبتي وتغافله والربح يذهب بين أشغاله وتشاغله وقد بلغ الله تعالى الشيخ رتبة لا يضعه معها أن يتواضع ولا يزيد في ارتفاع قدره أن يترفع فليستدم نعمة الله تعالى عليه بأن يرب مودات الاحرار أو في ربابه ويعمر ما بينهم وبينه أوفى عماره وليعلم أن عليه زكاة الشرف اخراجها أغنى للمال وأبقى للحال ومنعها تحقيق للوفر وتعريض لحوادث الدهر وليزد اخوانه على قدر زيادة الله تعالى عنده فان العادة مطلوبه والزيادة في النفوس محبوبه زاده الله تعالى مما عنده وأطلع عليه سعده وأعلى جده وجعل حاسده عبده وورد فلان هذه الناحية فملأ العيون جمالا والقلوب كمالا والاسماع مقالا وغمر الاعداء فضلا والاولياء افضالا ونوالا ورأينا في قميصه رجلا بل رجالا وعجبت من ملك كيف سمح بمفارقة هذا الشخص النفيس لبابه وخروجه من حيز أصحابه ولقد ضيع منه ما لا يوزن به عوض ولا يقوم مقامه عرض وقد رأنه يصيب في كل زاوية من يسير في أقسام النجابه ويجمع بين الفروسية والكتابه فاذا به على النقصان وهو ينتظر الزيادة

الزيادة واذاهو يلتزم خراجا ويحسب أنه يحصل الغلة وأسأل الله تعالى أن يصلح حال تلك البقعة فانى أراها تلفظ الرجال وتنفى عن نفسها الكمال وان أمرا أنفق منه الآباء والأجداد ويخالف به تدبير الأولياء والبلاد لحقيق بأن لا تخشى فاتحته ولا ترجى عاقبته

﴿وكتب الى أبى سعيد رجاء بن الوليد الأصفهانى﴾

وصل الى كتاب الشيخ وعقفته اذلم أطر فرحا لما رأيته ولم أنطح الفلك فخرا وعجبا لما ملكته ولقد استخفنى الفرح به واشتغلت بلحظه عن حفظه وتصرفت من فصوله فى رياض سقتها الخواطر لا الغيوث المواطر وطلعت على شمس البها لا شمس الضحى لا بل روضة الخط أحسن من روضة النبات لان روضة النبات مداس للخف والحافر وطريق للسابل والعابر وتلحظها أعين اللئام وتدوسها أرجل العامة والطغام وهذه الروضة عن أكثر العيون مكنونة وعن أكثر الأيدى مصونة لا يرتع فيها الا ناظر خاصى ولا تمسها الا يد نبيل سوى قال ديك الجن

لو كنت أملك للرياض صيانة * يوما لما وطئ اللئام ترابها

رأيت الشيخ يرفعنى فى خطابه الى غاية تتقاصر عنها قيمتى ولا تطمع نحوها همتى فعلمت أنه يسلفنى نعمته لادخل فى غرامه وأصير واحدا من جملة انعامه وأيكون قد تناولنى بالبر من كل طرقه قولا وفعلا وجوهرا وعرضا ولسانا وبيانا والله تعالى يكافئه ويكفيه ويبقيه ويقيه ويريته كما أريحيه ويرينى ما أحب له فيه

﴿وكتب الى الوزير أبى القاسم اسمعيل بن عباد رحمه الله﴾

كتابى الى الوزير وأنا على بعد الدار سالم فى جملته مستظهر على الأيام بدولته والحمد لله تعالى على سلامتى فى سلامته وصلى الله على سيدنا محمد وعترته اذا رأيت كتاب الوزير وقد ورد على غيرى غرت عليه غيرة الفعل على القول بل غيرة المرأة على البعل ولوددت أن لم يكاتب به غيرى أو من يشكره مثل شكرى فانى مع استقصارى لنفسى فى ذلك قد أتعبت الوراقين بل أتعبت الكرام الكاتبين وأبقيت للخواطر والالسن شغلا طويلا وطرحت عليها عبأ ثقيلا ولقد كانت أيامى بحضرة الوزير قصارا وكانت ليالى بها نهارا وساعاتى فيها أسحارا كما أن أيام فراقه ليال طوال وليلة فراقه تعد بليال وانى بعد صبرى على فراقه لجلد على وقع سهام الهجر واسع المجال فى ميدان الصبر ولقد أصابت عين الزمان وفاقى وسلبتنى حسنتى وهى جزعى بفراق أصدقائى فأجرنى الله تعالى على هذه المصيبة ولا حرمنى عليها جميل الاجر والمثوبة لا يبعدنى الوزير وقد اشتريته بأهل الدنيا ولا يبعدنى عنه وقد قربنى الحب منه ولا يبخل على بكتبه فعهدى به لا يبخل على بفضته ولا بذهبه وليأنف من أن يكتب اسمه فى جريدة البخلاء بعد ما صدرت به جرائد الأجواد والسمحاء ان شاء الله تعالى

﴿وكتب الى أبى الحسن الحكمى﴾

أنا الأمر سيدى الشيخ ممتثل ولقبلة مراده مستقبل ولكن فلان طرقنى والشوق قائده والحب سائقه فليوفر الشيخ علينا يومنا فلا يقدر أن يضمن لنا غدا وليعلم أنه من سلب أخاه ثوب الفرح وأقامه من بين يدى الطاس والقدح فقد قطع عليه طريق السرور وقام بازائه مقام حوادث الدهور

وقطاع الطريق على الناس أقل وزرا من قطاع طريق الطاس والكاس لان الذى يأخذه أولئك من المال قد يصاب منه بديل ويوجد الى العوض منه سبيل والذى يأخذه هؤلاء من العمر ويقطعونه من أيام الدهر لا سبيل الى ارتجاعه ولا التئام لجراحة اقتطاعه هذا والضيف مولاى والضيف عبده فهل يرى الشيخ أن أفتات على مولاى وأن أخالف هواه برواى وقد علم ما جاء فى الاثر من ذم العبد اذا عصى مولاه وخرج الى سخطه من رضاه

﴿ وكتب الى تلميذ له وقد ظهر عليه الجدرى ﴾

وصلنى خبر الجدرى فنال منى وهيج حزنى وراع قلبى وأسهر عينى وهذه العلة وان كانت موجعة فى راى العين فظيعة شنعة فانها الى السلامة أقرب وطريقها الى الحياة أقصد لان عين الطبيب تقع عليها ويد المريض والمعالج تصل اليها وانما هى قرح نبهته الطبيعة ودم أثارته الحرارة وظاهر الداء أسلم من باطنه وبارز الجرح أهون من كامنه وهذه بعد علة تعم الابدان وتشمل الصبيان واذا كانت العلة عامة كانت أكثر طبا ودواء وأخف على القلوب أعباء لان النفس تستريح الى المشاركة وتأنس بالجماعة كما تستوحش من الوحدة ولعمرى انها تورث سواد اللون وتذهب من الوجه بديباجة الحسن ولكن ذلك يسير فى جنب السلامة للروح اللطيفة والنفس الشريفة وفى الشر خيار ومن المحنة الى المنحة صروف ومقدار واذا أخطأت سهام الأيام جانبا وأصابت جانبا فقد مرت أكثر مما أساءت لان الحسنة فيها تستبعد وتستغرب والسيئة منها تنتظر وترتقب ولست أستطيع لك غير الدعاء ولا أكلم فى بابك الاطبيب الأطباء ولا أصانعه عنك الا بالثقة والرجاء لا أسأل صحتك الا من خالق علتك وأرى لك أن تحسن ظنك بربك وتستغفره من ذنبك وتجعل الصدقة شفيعك واليقين طبيبك وتعلم أنه لا داء أدوأ من أجل ولا دواء أشفى من مهل ولا فراش أوطأ من أمل شفاك الله تعالى وكفاك وسلمك وعافاك وبلغك رضاك وحسبك به طبيبا وكفاك

﴿ وكتب الى فقيه من تلامذته ﴾

كتبت اليك من حضرة الغرائب والرغائب وهى حضرة الوزير وأنا متردد بين فائدتين من فعاله ومقاله ومرتع بين روضتين جاهه وماله والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله أجمعين انتظرت كتابك فتأخر وطلبت له عذرا فأعوز وأخذت أحتال صبرا عنك فأعجز وعرضت معاملتك على الود بيننا فأباها وقدمت أفعالك منى الى القلب فما ارتضاها فراجع رحمك الله تعالى ما ظلمته من ودنا واذكر أو تذكر مانسيته أو تناسيته من عهدنا واعلم أنك اذا أنفقت أصدقاءك واحدا واحدا أوشكت نفقتك أن تدعك مفلسا منهم وخاليا عنهم حملت اليك نسخة رسائل الوزير وهى كالحلقة لا يدرى أين طرفاها وكالشمس لا يفضل أولاها على أخراها كلها خيار وكل حروفها اختيار فأعرها من اذا استعارها منك قبل يديك واذا ردها عليك قبل رجليك واعلم أن قدر هذا الكلام فى الكلام كقدر صاحبه فى الأنام فلان قد نصب لنا الحبائل وأراد بنا الغوائل ولقد قرع باب البلاء ووطئ ذنب الحية الصماء وأدخل يده جحر الأسود وقعد للموت بالمرصد ونطح برأسه الجبل واستبطأ الأجل وطرد العافية عن باب داره وأنزل النحس فى جواره واستهدف لسهام الحتف

الحتف ووطيء على حد السيف فلاجرم أصبح نقل كل لسان وضحكة كل انسان وحملت أمهاته سفاتج الى البلدان وأجلت غيرة جهله عن أديمه وقد مرك وعن ماء وجهه وقد سفك وعن ستره وقد هتك وهكذا يكون حال من عرض عرضه السقيم وأصله الائيم لمكر العقلاء وقول الفصحاء وألسنة الشعراء وأقلام البلغاء وليس وراءه لسان تقرع به الآذان ولا عرض يعارض به الاقران

﴿وكتب الى الملك لما أصيب بابنه عن خوارزم شاه﴾

كتبت وأنا مقسم بين فرحة وترحه ومردد بين محنة ومنحه أشكو جليل الرزيه وأشكر جزيل العطيه وأسأل الله تعالى للامير الماضي الغفران والرحمه وللامير السيد التأييد والنعمه فان المصيبة بالماضي وان كانت تستوعب الصبر فان الموهبة في الباقي تستنفد الشكر والحمد لله الذي كسر ثم جبر وسلب ثم وهب وابتلى ثم أولى وأخذ ثم أعطى كتب على المشرق خاصه بل على الدنيا كلها أن تطمس آثارها وتظلم أقطارها وتهب ريح الخراب عليها وتنظر عين الكمال اليها حتى ذبلت شجرة المملكه ووهن ركن الملك وطرف ناظر الدوله وانثلم جانب الدعوه ثم استدرك الله تعالى برحمته خلقه فرد الى الأمير حقه وقرت الدولة في قرارها وعادت النعمة الى نصابها وطلعت الشمس من مطلعها ووضعت الرياسة في موضعها فأنا الآن بين شكاية الأيام وشكرها وبين حرب الدهر وسلمه أبكي وأنا ضاحك وأضحك وأنا باكي العين الا أن الضحك على أغلب والفرح الى من الغم أقرب لأن المصيبة ماضيه والنعمة باقيه رحم الله تعالى الماضي رحمة تهون علينا مصرعه وتبرد له مضجعه وتضاعف حسناته وتمحو سيئاته وأعان الأمير على رعاية ما استرعاه وألهمه شكر ما أعطاه وتولاه فيما ولاه ووالاه جزيل ما أولاه وأيد بالهيبة سلطانه وثبت بالبقاء أركانه وحرس من الغير زمانه

﴿وكتب الى أبي منصور ملك الصغانيان يعزيه في عمه أبي سعيد﴾

كتابي الى الأمير وقد ملك الجزع صبري وعزائي وجعل ناظري في اسار دمعي وبكائي والقلب دهش والبنان مرتعش وأنا من البقاء في الدنيا مستوحش والجفن غرق والقلب محترق وما اجتمع قبله غرق وحرق للمصيبة التي ثلت عرش السلطان وطمست نور الزمان وجعلت الصبر سيئه والجزع حسنه والأسى سنه والاسا بدعه وحق لمن أصيب بمثل فلان أن يصاب بصبره وأن يدفن معها لفرح في قبره وأن يجعل يومه تاريخا لجدع أنف الكرم وركود ريح الهمم وانكسار تاج العجم واذا تفكرت في عظم هذا النازل وارباته على سائر المصائب والنوازل أنشدت

فما كان قيس هلكه هلك واحد * ولكنه بنيان قوم تهدما

واذا تذكرت بقاء الأمير وهو البقاء الذي لا وقع معه لخطب وان كان مؤلما ولا خطة بعده لمصاب وان كان مستعظما أنشدت

اذا مقرم منا ذرا حد نابه * تخمط منا ناب آخر مقرم

وان بيت الأمير الماضي سلفه والأمير الباقي أيده الله تعالى خلفه لبيت عظيم المصائب عظيم

المواهب محنتهم أجل المحن ومنة الله تعالى عليهم أكبر المنن ولن يسقط عرش مثل الامير قائمته ولا يخرب بيت هو بقيته اللهم ارحم الماضى فانك رحيم بالكرام منعم على أهل الانعام واحفظ الباقى من عين الكمال فانها أكبر آفات الرجال وأنفذ سهام الايام والليالى وأطل بقاءه فانه بقاء المجد وأدم عزه فانه عز الشكر والحمد واجعل فداءه من لا يرضى بأن يكون فداءه ولا يفتخر بأن يكون وجهه حذاءه

﴿وكتب الى أبى القاسم بن على صاحب جيش الصغانيان﴾

لم يزل يبلغنى ما يرتفع على يد الامير من الفتوح التى تفتح لها أبواب السماء ويفوح منها روائح العز والسناء فى أولئك الاعداء الذين امتنعوا واشتدت كلبهم وقلة سلبهم ومتاركة المسلمين قديما لهم وبضاعتهم رأسا برأس منهم حتى لقد حقنت الدماء وسكنت الدهماء وأمنت السبل واجتمع الشمل ورجع النافر وعمر الغامر واجتمعت الكلمه واتفقت البيضه وأغمد السيف وركز الرمح وقرت الامور قرارها ووضعت الحرب أوزارها وهذا صنع لم يخص الله تعالى به أهل أفق دون أفق ولا أفرد بعزيمته سكان غرب دون سكان شرق اذ كانت النعم فيه عمت كل من عرف الاسلام وفضله وعادى الشرك وأهله لا زال الامير يرى كل يوم بسيفه فتحا يعظم به الخطب وتستبق فيه الكتب ولا زال الشرك من قتلاه والنفاق من جرحاه والفساد فى الارض من أسراه حتى تملأ فتوحه كل سامع وناظر وتشغل كل كاتب وشاعر

﴿وكتب الى فقيه فى عمارة مسجد﴾

أحق الاماكن بأن يصان ولا يهان وأولاها بأن ينحى عن مدرجة الاختلال ويرفع عن أن تتناوله يد الابتذال مكان بنى ليجمع شمل التعبد ويضم نشر التهجد وترفع منه الحوائج الى من لا يضجر من السؤال ولا يتبرم بكثرة السؤال وهو الكبير المتعال فان صيانة هذا المكان صيانة الدين بل صيانة الاسلام والمسلمين وكبت الكفر والكافرين وما ظنك بموضع هو بيت من بيوت الله ومظنة لقراءة وحى الله تصف فيه الاقدام بين يدى الله ويتميز فيه أولياء الله من أعداء الله وهو من بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه وهو مسكن من مساكن الابرار ومجلس من مجالس الاخيار وحصن من حصون المسلمين على الكفار وجسر بين الجنة والنار دخوله عباده والمقام به سعاده والاعتكاف فيه سنة مستحسنه لا يخترقه كافر ولا يقربه الا طاهر من عمره عمر طريق الآخره ومن بناه بنى له بيت فى الجنه وبلغنى ما أنت فيه من بناء مسجد محلتك ضاعف الله تعالى لك عليه ثوابك وأكرم مآبك ورضى عنك وتقبل منك فتوسع رحمك الله فى نفقتك فانما تعامل وتسلف كريما مخفيا ولا تحاسب نفسك على دخلك وخرجك فانك بصدد أضعاف ذلك من الثواب وانما يوفى المحسن أجره بغير حساب وتذكر قول الله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر

﴿وكتب الى أبى شجاع بن محمد كاتب ابن قراتكين﴾

كتابى وقد وجدت فلا نا لا يضر ولا ينفع ولا يضع ولا يرفع وانما هو مشط يقلبه خصى أصلع وان مجال الشكاية فيه لرحب وان طريق المذمة عليه لسهل ولكنى لا أقطع يدى بيدى ولا أضرب

بعضى

بعضي ببعضي ولا أرمي بسراي عن عناي ولا أتباعد عن قربي الاصل منه ولا أضربه بالسيف الذي طالما ضربت به عنه وزأمي رأسي وان كان أصلع وأنفي مني وان كان أجدع وأما فلان فان الشرق عاطل هو حليته وعريان هو كسوته وجماد هو روحه وأعزل هو سلاحه وأخرس هو لسانه لا جمع الله به عيني ولا قلبي فان عيني بعده لا تقر كما أن قلبي بعده لا يسر

﴿ وكتب الى رئيس نيسابور ﴾

أرجو أن الشيخ لا يلقي أمري بيد الاغفال ولا يسلك بحاجتي طريق المطال ولا يكلني الى غيره في حاجة كتبتها عليه ووضعت عنانها بيديه فمن المحال أن أستمد النهر وانا جار البحر وأن احتاج الى النجم وانا اسري في ضوء البدر وقد كان الشيخ في تلك الحالة الأولى أمهل حتى كأنه أهمل وتغافل حتى كأنه غفل ولست أشكو يومه لاني أرجو غده

﴿ وكتب الى علي بن كامه ﴾

كتابي الى الأمير عن سلامة أسأل الله تعالى أن يديمها لاتوصل الى خدمته بها والحمد لله تعالى ونعمة الأمير علي النعمة الجملة المفصلة الغراء المحجلة التي ان سكت عن شكرها شكرها عني أثرها علي وان كتمتها أفشاها دوني من رآها لدي وانما أنا غرس نعمته ونبات راحته نادمته وانا مقتبل الشباب حديث الاتراب وها أنا قد أجني الكبر بجمامه ولثمني البياض بلثامه واذا عتقت المنادمة صارت سببا دانيا وكانت رضاعا ثانيا لا بل رضاع الخمر أقوى في حكم الفتوة سببا من رضاع الدر لأن رضاع اللبن معروف الامد منقطع المدد ورضاع الشراب ربما دام الشهر والدهر واستوعب المدة والعمر ولأن رضاع اللبن يحرم من طريق النكاح وان كان يعقد قرابة ووصلة من طريق الولاده فهو يعطي من حيث يمنع ويصل من حيث يقطع ويبعد سببا من حيث يقرب نسبا ورضاع الشراب يصل من كل جوانبه ويعقد حرمة من جميع مذاهبه ولان رضاع اللبن يقع بين الاطفال الذين لا يتبينون أحوالهم ولا يعرفون ما عليهم مما لهم ورضاع الشراب لا يقع الا بين الرجال الذين يعقلون كيف يصلون وكيف يقطعون

اقر السلام على الأمير وقل له * ان المنادمة الرضاع الثاني

ان المنادمة التي نادمتني * رفعت عناني فوق كل عنان

وأقل ما في هذه الحال أن أشكرها فعلا لا من حيث أشكرها قولا وهو أن أزور تلك الحضرة الجليلة كما تزار عظام المشاهد وأعتكف فيها كما يعتكف في المساجد فانها وان لم تكن مشهد حرم وصلوات فانها معتكف عطايا وصلات وان لم يكن صاحبها امام خلافة يرجى ثواب زيارته في الآجل فانه امام سماحة ينال ثواب زيارته في العاجل ولكني رجل قد طال ذيلي وازدحم شغلي وقيدت السن رجلي فلا أقل الآن من أن أوجه رسولي وهما قلبي ولساني على ظهر مركبي وهما قلمي وبناني وأن أنظم في شكر نعمة الأمير قلائد لا السارق يسرقها ولا النار تحرقها ولا الماء يغرقها كل ناطق عندها أبكم وكل شاعر بازائها مفحم وسأبلغ من ذلك ما يقيم لي عذرا ويصير لي والعقبي عدة وذخرا ان شاء الله تعالى

﴿وكتب اليه المولى قوموس﴾

كتبت والولاية التى شرفت بالأمير ولم يشرف بها وتسببت له ولم يتسبب لها وصغرت قياما الى شأنه من حيث كبرت قياسا الى مقادير أهل زمانه قد بلغنى خبرها فجررت ذيلى فرحا ورحت لاتحملنى أعواد سرجى مرحا ووددت لو شربت طرباعليه البحر المحيط قدحا وأين بالأمير عن افتراع المنابر وقيادة العساكر وهو من أهل بيت يحكم بالملك صغيرهم ويشيب عليه كبيرهم تقربا هامتهم المنابر النافره وتسكن باعلامهم البلاد الشاغره لم يرضعوا الاثدى ولايه ولم يروا الاتحت رايه ولم يفتذوا الافى حجر سياسة ورياسه فلا زال يترقى ذروة رتبة بعد رتبه ولا زال اسمه يفترع خطبة بكرا بعد خطبه ولا زال الملك سليله ونتيجه والعز صنيعته وخريجه حتى يملك الاقاليم ويفترش السرير العظيم فيعطى القوس باريها ويملك الزعامة من يليق بها ويحسن فيها

﴿وكتب الى أبى طاهر وزير أبى على بن الياس بكرمان﴾

كتبت ولما اتصل بى خبر المصيبة لم أملك من قلبى الاما شغلته بها ولا من عينى الاما بكيت به لها ونزل بى ما ينزل بمن قارعه الزمان عن واحده ونازعه الموت فى بعض نفسه وزل عن يده الذخر الذى ادخره لصروف الزمان وسلب السيف الذى لم يزل يعده للقاء الاقران ثم تنجزت موعود الله تعالى بالصبر والعزاء ثم بالتسليم للقضاء وقلت انا لله وانا اليه راجعون كما أمرت وانتظرت الصلاة والرحمة كما وعدت ولقد كانت المصيبة بفلان جراحة لادواء لها الا الصبر وخسرا نا لاجبر له الا الأجر ولقد سلبته علقا من أعلاق الفضل لا يخاف من حصله غبنا ولا يستعظم له ثمنا (سهم المنايا بالذخائر مولع) ولقد طلق من الدنيا مكارة غرارة ختاره طالما قتلت بعلها وخانت أهلها فها أنا أيد الله تعالى الشيخ جريح يد الدهر ولا طبيب لمن جرحه وسليب يد الموت ولا ضامن لمن اجترحه وقد دفنت يدى بيدى وبكيت على عينى بعينى وأفردت فى نفسى عن نفسى والرزية بمثل فلان رزايا كما أن العطية كانت ببقائه عطايا ولكن لا كثير من المصائب مع التأدب بأدب الله تعالى كما لاقليل من المواهب مع الايمان بالله تعالى رحم الله فلانا الجامع لمحاسن الآداب الشيخ حلما وان كان غض الشباب فلقد احتضر وهو فتى السن واهتصر وهو رطب الغصن وكسوف البدر عند تمامه أوقع وكسر العود عند اعتداله أوجع

ان الفجيعة بالرياض نواضرا ＊ لأشد منها بالرياض ذوابلا

﴿وكتب الى حاجب الوزير أبى القاسم بن عباد حين ورد خراسان وحل اليه نزلا﴾

حملت الى الخزانة عمرها الله تعالى ببقاء الحاجب كما عمر حالى ببقاء الصاحب شيأ من الطين الخراسانى والشراب الخسروانى فليتفضل بقبوله فان الطين تراب لايعد ومعار لايرد على أنى لو حملت اليه حياتى واهديت اليه صومى وصلاتى وكتبت فى صحيفته حياتى وقاسمته عمرى وجعلت له حظى من سعود دهرى ووضعت ذلك كله بين طبق من قلبى ومكبة من صدرى ما كنت الا بالعجز موسوما وعلى التفريط ملوما وانما جلبت هذا اليسير الحقير النزر الصغير من داره الصغرى الى داره الكبرى وحولته الى يده اليمنى من يده اليسرى فان رأى الحاجب أن يتواضع بنا ويخفض جناحه

جناحه لنا فعل ان شاء الله تعالى

﴿ وكتب الى أبي محمد العلوي ﴾

كتابي عن سلامة أسأل الله تعالى للسيد مثلها بل لا أرضى له ضعفها ووصل كتاب السيد المشحون لطفا وبرا المفيد فخرا وذخرا الموجب الحمد لله شكرا الذي كل حرف منه فائده بل كل نكتة بل كل فقرة بل كل تصنيف وخطبة تشغل بتخليدها الاقلام وبحفظها الافهام ذكر السيد في كتابه أن أهل اصفهان تزاحموا عليه واستعاروا كتابي اليه وذكروا اني أكتب من أخذ قلما ونثر كلما وهذا باب ماقرعته وشأن ما تبعته وصناعة مادرت حولها فان كان الاقبال ساق الى هذه الغريبة والاتفاق أعطاني هذه الرغيبه فما أرد نعمة الله تعالى اذا صارت الى ولا أدفع في نحر السعادة اذا طلعت على ولا شك أن هذه ثمرة محبتي للعترة الطاهره صلوات الله تعالى عليهم أجمعين وقد كنت أذهب في رد العدوى الى حكم الخبر في العدوى والهامة والصفر والآن اتهمت من رواه وكذبت من حكاه وتأولت أن السيد أعداني بكتابته وأعطاني بعض براعته بجمع اسمي مع اسمه ويجعل فهمي جنيبة لفهمه الحاجة التي استبطأت فيها السيد انما خرج كلامي مخرج الادلال وليس بعجب تسحب الشيعي على الرافضي ولا تحكم المحف على السخي سمعت كلام فلان ومثل ذلك الكلام يسلي الأخرس على بكمه ويفرح الأصم بصممه ولمثله رزق الصمت المحبه وأعطى الانصاف الفضيله ولكن ماذا أقول في معايب قوم هم جيراني في الدار واخواني في النجار وبيضتي التي تفلقت عني وغيضتي التي التفت حولي وبلدهم عشي الذي درجت فيه وبيتي الذي خرجت منه فمحاسنهم الى منسوبه ومساويهم علي محسوبه

وهل أنا الا من غزية ان غوت * غويت وان ترشد غزية أرشد

وبودي لو وجدت لهؤلاء القوم في درج الفضل أدنى مرقاه ورأيت لهم في مساعي السبق أقل مسعاه بخطوات الخطوة ميلا وادعيت القليل جليلا ولكن ادعاء الفضل من غير معونة نقيصه كما أن الاقرار بالنقص من حيث الاعتذار فضيله والقتال عن العسكر المنهزم ضرب من المحال وتعرض لسهام الآجال

ولو أن قومي أنطقتني رماحهم * نطقت ولكن الرماح أجرت

على أني أحمد الله تعالى اذ كان قائل ذلك الكلام في الأصول كاذبا وفي الفروع ناصبيا ولو كان لنطقه حظ من الطراوة والطلاوه أو برز كلامه في معرض من القبول والحلاوه لصار شبكة من شباك الشبهه وبابا من أبواب الضلال والفتنة وحبالة من حبائل الشيطان ورقية من رقى البهتان ولفتح علينا بابا يفسد المذهب ويورث التعب والله تعالى الطف بالاسلام وأرحم للأنام من أن يعطي عدوه سلاحا يغلب به اولياءه وينصر به اعداءه ذكر السيد شهادة الوزير لي واعتداده بي وهذه نعمة طالما ادرعت جمالها وتسربلت سربالها وجررت أذيالها لا ازال الفضل ببقاء ذلك السيد نابت المناكب مقبل الجوانب عامر الطرق بالجائي والذاهب ولا سلب الله تعالى الزمان جماله بذكره ولا العباد دنياهم بطول عمره ولا زال جاهه مبذولا وبابه مأهولا وفضله مأمولا وسيفه على أعداء الله تعالى مسلولا وعدوه بحسده مقتولا ولا زال المشرق يفاخر به الغرب والعجم

تفاخر به العرب · بل لازالت اصفهان تفاخر به البلاد واهلها يباهون به العباد

وهذا دعاء لو سكت كفيته * فانى سألت الله فيه وقد فعل

ولم يبق الا أن يرزق عمرا يسع نعمته ودهرا يساوى قيمته فان هذا الزمان يضيق عن نفسه وان كان يتسع لشخصه وكأن الله تعالى لم يخلقه الا ليعلم خلقه كيف يحيى ميت الكرم وكيف يرد ذاهب الهمم وليلزم حجته من جحد احياء الموتى وقال بقدم الدهر والدنيا فان من قدر على أن يحيى ميت الخلق قدر على أن يحيى ميت الخلق وليكذب عبيد بن الأبرص فى قوله (وغائب الموت لا يؤوب) ولبيد بن ربيعة فى قوله

ذهب الذين يعاش فى اكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

فقد رأينا من يعيش فى كنفه الاعداء فكيف الأولياء ويرد بحره المفحمون فكيف الشعراء

﴿وكتب الى قاضى القضاة﴾

كتابى الى القاضى عن سلامة من الله تعالى بها بعد اليأس منها وقربها بعد البعد عنها واهلنى لها أضعف ما كنت أملا واسوأ ما كنت عملا وأقبح ما كان بينى وبين الله تعالى اثرا حين انحلت عقدة الرجاء ولحظتنى عين البلاء وأمرضنى طبيب الأطباء وبعدت على مسافة الشفاء وتقاصرت عن علاجى خطوة الدواء وأفلست من العافية كما أيسرت من الحمى وقربت من الآخرة كما بعدت من الدنيا ووقفت على جسر قدامه الوفاه وخلفه الحياه ونظرت الى المنية عن عين كريه نظرها حديد بصرها وعرفتنى الأيام أن ابن آدم ضعيف التركيب منتقض الترتيب دواؤه داؤه وبقاؤه فناؤه وأعضاؤه أعداؤه كفاه موتا أن يبقى فيهرم وحسبه داء أن يصح ويسقم ثم أراد الله تعالى أن يرى عبده رحمته بعدما أراه قدرته فاقامه من صرعته واستله من مخالب علته وأزال عنه يد المنية بعد ما اشتبكت به فله الحمد برا عفوا غفورا رحيما شكورا يأخذ حكمة وعدلا ويعفو رحمة وفضلا ويعرض عبده ليعتبر ويعافيه ليشكر ثم لا يغلق باب الدعاء ولا يحسم مادة الرجاء ولا يديم مدة البلاء وصلى الله تعالى على سيدنا محمد خاتم الأنبياء وعلى آله الطاهرين الاذكياء كان ورد على كتاب القاضى فاستظهرته حرفا حرفا وقبلته ألفا ألفا وضممته الى الصدر والنحر وسجدت له حين رأيته سجدة الشكر وما أظن سبب تأخره كان عنى الا شدة شوقى اليه وفرط حرصى عليه فان الحرص شوم والحريص محروم وهذه عادة الدهر معى وقديم صنعه بى فانه اذا علم أنى أحب أمرا ناطه بالعيوق ووضعه موضع بيض الانوق وأبعده وهو غير بعيد وشدده وهو غير شديد وأنا بعد اليوم لا أقر للدهر بما أقترحه عليه وأطلبه لديه فلعلى أخدعه عن طبعه وأختله عن سوء صنعه ومن ذا يخادع الأيام أو يغالط الحظوظ والأقسام فلان قد ولى قضاء كذا عرفه الله تعالى بركة ولايته ولا جعل هذا الأمر أقصى غايته وجعل ولايته منفعه وعزله فراغا ودعه ولا جعل شغله محنه ولا فراغه عطله أجر الله تعالى القاضى على المصيبة بفلان فلقد كنت بحياته قرير العين شديد الركن يؤنسنى ان جمعت بينى وبينه بقعه ويسرنى أن تضم اسمى الى اسمه صنيعه وكنت أعده لى جناحا وسلاحا وفى ظلمات الخطوب مصباحا وصباحا فغصبنيه دهر طالما غصب فلم يطالب وسلبنيه قدر طالما سلب فلم

يعاتب

يعاتب ولولا كراهتي للاعتراض على القضايا والتحكم على المنايا لقلت أعوت فلان الفلاني ويعيش فلان الفلاني خطب منكر وبدل أعور وسبحان من له في كل قضية ألطاف نعرفها فنثبتها في فضله ونعمته ونجهلها فنردها الى عدله وحكمته فانما كان نجما من نجوم الأدب هوى أو غصنا من غصون العلم دوى فانا لله وانا اليه راجعون ثم انا لله ورحم الله المتوفى رحمة تغسل أوضاره وتحط أوزاره وألحقه بالطيبين الطاهرين من آل يس وفرق بينه وبين النواصب والضالين الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ولا زال القاضي يعزى عن احبابه ولا يعزى عنه ولا به ولا كان عليه طريق للنوائب ولا على جنبته معبر للمصائب

﴿وكتب الى قاضي سجستان حين نكبه أميرها﴾

اذا ما الدهر جر على أناس * كلاكله أناخ بآخرينا

فقل للشامتين بنا أفيقوا * سيلقى الشامتون كما لقينا

أما بعد أيد الله تعالى القاضي فانه لم يحسن الى غيره من أساء الى نفسه ولم ينصر أصدقاءه من خذل حوباءه وانما يحب المرء أخاه بما فضل عن محبته لروحه التي له خيرها وعليه ضيرها وكانت محنة القاضي محنة شملت الانام وخصت الكرام ووجب على كل من اشتم روائح العقل وميز بين النقصان والفضل أن ينفطر لها ألما وان يبكي عنده ادما وخلص الي من ذلك ما أضحك مني الاعداء وأبكى لي الاصدقاء حتى رحمني من كان يحسدني وحتى عجب من جزعي من كان يصبرني وحتى غضضت طرفا طالما رفعته وقبضت بنانا طالما بسطته وحتى عزيت كما يعزى الثكلان وسليت كما يسلى اللهفان وأنا بعد ذلك أستصغر فعل نفسي وهي جزعة هلعه وأستقل سفح عيني وهي سخينة دمعه وكان يجب على مقتضى هذه الجمله وأساس هذه البنيه أن أحضر مجلس القاضي فأصابره نهارا وأساهره ليلا وتكون المحنة بيني وبينه أحملها عنه ويحملها عني ولكني علمت أن والينا هذا رجل ينظر الى الذنب الخفي ويتغابى عن العذر الجلي وله أذنان واحدة يسمع بها البلاغات وهي كاذبه وأخرى يصم بها عن المعاذير وهي صادقه وليس بينه وبين العفو نسب ولا له الى التثبت طريق ولا مذهب ولو تعرضت لسخطه بعد ما عرفته من شططه لتحملت دونه الوزر في ظلمي ولكنت مقدمته الى ذمي ومن قعد تحت الريبة ركبته ومن تعرض لظنة نالته

ومن دعا الناس الى ذمه * رموه بالحق وبالباطل

وأقل ما كان ينبعث من حضوري أن ينشب هذا الجواد وثبة يصون القاضي عنها ويبتذلني لها فاكون قد ضررت نفسي ولم أنفع غيري فاذا بالمحنة قد تضاعفت على القاضي ضعفين وتكررت عليه كرتين يرى يولي من أوليائه داء لا يقدر على دوائه ويرى وقودا لا يصل الى اطفائه ويبقى في حالة متصلة بحاله ثلمة لا يمكن سدها ومحنة لا يستوي له ردها فلما مثلت بين تخلفي آمنا وحضوري خائفا عدلت بين طرف الرؤيه ووزنت بين مقداري المحنه فرأيت أن أميل مع السلامه وأقنع من العمل بالنية وأغتفر عهدة التفصيل لصحة الجمله فغبت وكلي غير جسمي شاهد وغبرت وما أنا الا مشاهد وبعدت وقلبي قريب وباينت وقلبي سهيم وأغضيت على عين كلها قذى وانطويت على صدر

كله شجا وانصرفت بقلب ساخط راض وأغمضت بجفن ضاحك باك وقلت

فان تسجنوا القسرى لا تسجنوا اسمه * ولا تسجنوا معروفه فى القبائل

ولقد نسجت فى ذم الظالم حللا لا يبليها الماء ولا يجففها الهواء ولا أغطى عليها الظلماء والمغبون من احتقب الاثم والغارم من غرم العرض والرابح من محنته فانيه ومثوبته باقيه ولو أنصف الظالم لكان يعزي ولو أنصف المظلوم لكان يهنى جعل الله تعالى هذه الحادثة بتراء عقماء ليس لها مدد ولا لليوم منها غد وجعل العمل بها آخر عهد القاضي بالعسر وخاتمة لقاته لريب الدهر ولا حرمه فيما نزل به مثوبة الصابرين ولا أخلاه فيما بعده من مزيد الشاكرين برحمته

وكتب الى مسكويه وقد تزوجت أمه

العاقل أعزك الله تعالى لا يرى المحنة اذا تخطت دينه محنه ولا يرى النعمة اذا تعلقت بذنب خطيئة نعمه ولا يريد الشرف الا بالتقوى ولا يرى الضعة الا ماوضع من رتبته فى الدار الأخرى وبلغني ما اختارته الوالدة صانها الله تعالى فحمدت الله تعالى الذى رزقك والدا يلزمك حق أبوته ووعدك أخا لا يحملك حمل أخوته وقد كنت أسأل الله تعالى أن يبارك لك فى حياتها والآن أسأله أن يجعل لك بوفاتها فان القبر أكرم صهر وان الموت استر ستر ولا تذهب نفسك حسرات على ما سبقك عليه الدهر وغلبك عليه الرزق فلا حمية فيما أحل الله ولا مضايقة من حيث وسع الله وللانسان اباء والحمد لله الذى كان العقوق من جهتها ووقع الجفاء من جنبتها فانك بررتها صغيرا وبلغت مرادها كبيرا فاجتمع لك بران ووقع لك على الله أجران

وكتب الى صديق له على ديوان الخراج

الايام أيدك الله تعالى بيني وبينك تراجمة لى عن صحة وفائك وشهود عندى على صدق اخائك وأقل حقوقك على يلزمني أن لا أشغل لسانى بغير شكرك ولا قلبي الا بذكرك ولو تجاوزوا طبقات أهل مودتك فى ميدان المقه وتنازعوا خصل الانس والثقه رجوت أن أكون سابقا ليس له سابق ولا يذكر معه لاحق وأن تجلى الغاية منى عن محبة مرباة بالوفاء وعن شكر مرضع بالدعاء وقد بلغني خبر سعيك لفلان فى العمل الذى هو دون قدره وان كان فوق أعمال عصره فشكرتك عنه وان كان شكرك أوفى وأملا وبايفائك حقك أحق وأولى وأردت أن أكل شكرك اليه ولا أتطفل فيه عليه فكرهت أن تطوى صحيفة الشكر ولم يجر لى فيها اسم وأن تختم جريدة المشاركة ولم يكن لى فيها قسم فذكرته لك وأنت له أذكر وشكرتك عنه وهو لك منى أشكر على انى أرغب بذلك الحر عن التلطخ بأوضار الأعمال فانها مزالق أقدام الرجال وضنا به عن تخاليط الأيام وصيانة لمحله عن مدانسة الأوهام ونعمتك عليه مقتسمة بيني وبينه بل أكثرها لى دونه فما ظنك بعارفة واحدة تكسبك شكرين وتستعبد لك حرين وجدير بمن هطلت عليه سحائب عنايتك ورفرفت حوله أجنحة رعايتك أن ينبو عنه سيف الزمان مفلولا ويرجع عن ساحته عسكر الزمان مهزوما والله عز وجل أسأل أن لا يحرمك نعمة عدالها بها عنق ودود ومنة تفقأ عنك عين حسود أخبرت أنك أيدك الله تحدث نفسك بزيارتى وانه ليسرنى أن أخطر ببالك ويسوءنى أن أصير

زيادة

زيادة فى أشغالك ولا تجشم نفسك فان خيالك فى كل ليلة نائب عندى عنك وان لم يكن فيه ولا فى الدنيا كلها عوض لى منك

﴿وكتب الى أبى محمد العلوى﴾

كتابى عن حضرة الوزير وأنا راتع فى فضله مستدر من الايام بظله معترف نعمة الله تعالى على به وقد كنت أشكو الى السيد ما منيت به من ضعف احتمالى لاعباء من الوزير على وسوء مجاورتى لاحسانه الى وكنت أخشى أن أكون سببا لحرمانه غيرى من نزاع الآمال اليه ووفود الشكر عليه فيقدر أن كلا منهم يكفر النعمة كفرى ويستروح الصنيعة سترى (والكفر مخبثة لنفس المنعم) فقصدته هذه الكرة لاقيم عذرى وأقوم ببعض شكرى وأحط عن رقبتى تلك الاعباء التى قد تحملتها لا بل قعدت نحوها طريحا فما هو الا أن وردت حضرته حتى انثال على من عطاياه الغزار ومن نعمه الغرائب والابكار ما صير أمسى أبغض يومى الى ويومى أكرمهما على حتى لم تبق زاوية من زوايا الافضال الاجال لى منها قدحا وأجرى باسمى عليها سهما ولولا أن بعض الشاكرين يسلف الشكر قبل أن يستحق عليه وينتحل البر قبل أن يسدى اليه ويجعل ذلك استجلاب رزق وايجاب حق واقامة سوق لا لكنت أقتصر على هذا المقدار شكرا ولا أضاعفه عشرا ولكنت لا أرجع عن هذا الميدان الواسع بمقدار هذا الطلق ولا أرى هذا الغرض البعيد بمثل هذا الرشق بل كنت لا أنصرف وفى الجفير نبل ولا أنقطع وفى القريحة فضل ولا أرضى من نفسى الا بأن أصبح محسورا وأمسى مبهورا

فقد وجدت مكان القول ذا سعة ❊ فان وجدت لسانا قائلا فقل

وما ظن السيد برجل ليس لعطائه اسم غير الجزيل ولا لفعاله نعت الا الجميل أول لقائه بشر وآخره بر ومقدمة فعاله الى زواره بشرى وساقتها نعمى أكثر ما يكون نوالا أشد ما يكون السائل سؤالا وأكثر ما كان الحافا أكثر ما كان الزائر الحافا وأسهل ما كان حجابا وأطلق ما كان وجها أزحم ما كان شغلا وأضيق ما كان وقتا وأخصب ما كان نوالا أجدب ما كان مالا وأعدل ما كان فى القضيه وأحكم ما كان بالسويه أخص ما كان المحكوم عليه وسيله وأنفذ ما كان حيله وأوسع ما كان نطاقا أضيق ما كان الخطب خناقا وأسمح ما كان حلما أعظم ما كان الجانى جرما وأجرأ ما كان مقداما أهول ما كانت الحروب نجما والعساكر عظما وأضحك ما كان سنا أشد ما كان قلبه حزنا وأسمع ما كان عساله لمن استفاد بحاله لا يصارف فى عطائه ولا يحاسب على آلائه قد تكافأت أقسام فضله وتناظرت محاسن قوله وفعله فلم يشغله السخاء عن الشجاعه ولا صرفه الحلم عن السياسه ولا ثنى عنانه علم الحديث والاثر عن علم الكلام والنظر ولا قدح فى هيبته ما أشربته القلوب من محبته ولا بخس الرياسة حقها من حيث وفى العشرة حظها فهو القوى من غير عنف واللين من غير ضعف والشجاع الا أنه سخى والحافظ الا أنه ذكى واللغوى الا أنه نحوى والسلطان الا أنه تقى والسائس الا أنه أريحى يسكت حلما الا حصرا وينطق علما لا هذرا ويحلم كرما لا غفله ويمنع نظرا لا تقتيرا ويقدم شجاعة لا خرقا ويتوقف حزما لا جبنا

كل حسنة من حسناته واقفة على حد ما دونه تفريط ولا وراءه افراط يخرج مكارمه فى أقصد الافعال
ويزن أفعاله فى كفة الاعتدال

لا عيب فيه يعاب الا أننى * أمسى عليه من المنون شفيقا

بل عيبه انه فى زمان لا يسعه وفى عالم لا يستحقه و بين قوم يفعل ولا يقولون و يحسن ولا يستحسنون
و يبصر ولا يستبصرون ويروى ولا يروون ومنع واجب الاستحسان قطع مواد الاحسان
وتضييع حقوق النعمه داعية من دواعى النقمه وأقل ما عنده أن عطاياه قد صيرت المفحم شاعرا
وجعلت الضعيف سائلا كالمنهل يقصر رشاؤه و يعذب ماؤه فيشرب منه العطشان نهلا والريان
عللا وكالطعام يحسن فى العين و يطيب فى البطن و يخف على القلب فيأكله الجائع تغذيا
والشبعان تفكها والحمد لله الذى أرانى بهذه الحضرة الاغنياء يعملون عمل الفقراء والملوك يحترفون
حرفة الشعراء وما رأيت حضرة أكثر منها داخلا راجيا ولا خارجا راضيا ولا أجمع فيها بين وجهين
مختلفين من بلدين متباعدين قد فرق بينهما الاصل والنسب وجمع بينهما القصد والطلب
فوردا وهما أعرى من الحيه وصدرا وهما أكسى من الكعبه ودخلا وهما أخلى من الراحه وخرجا
وهما أغنى من الشمسه حتى لقد صارت مجمع الرجال ومثابة العطاء وملقى الرحال وموسم الشعراء
وقرارة ينصب اليها العلم والأدب وقبلة يهوى اليها العجم والعرب وما فيهم الا من يود لو أصبحت
جوارحه ألسنة تشكر وقلوبا تحفظ وتذكر هذا وفى شواهد أحواله ما يغنى عن استماع أقواله
وشاهد العيان أقوى من شاهد البيان ودليل البصر أوضح من دليل الخبر وناوس كسرى
أمدح من شعر زهير بن أبى سلمى ولو جحدوا كذبتهم العواقب ولو سكتوا أثنت عليها الحقائب جمع
طبقات أهل الفضل رجلان اما اليه ظاعن واما بحضرته قاطن فالظاعن يحسد القاطن والقاطن
يستبطئ الظاعن فقد نفضت اليه البلاد رجالها وأبرزت له جمالها وألقت له الارض أفلاذ
كبدها وحسبك بالغلاء جالبا وبالاحسان جاذبا ومن صادف ثمرة الغراب لم يفارقها أبدا (ومن
وجد الاحسان قيدا تقيدا) ولقد أصلحنى هذا السيد وقربنى الى الناس بل أبعدنى لانى بعده
لا أستنام الا العظيم ولا أرعى الا الحميم ولا أستكرم الكريم ولا ألوم اللئيم لأن الناس كلهم
فى عينى بعده لئام فكيف أعيب ما اجتمع عليه الأنام ومن أحمد مراده وصادف من الماء والكلا
مراده لم يشرب الا من عفوه ولم ينل الا من صفوه ولم يلق دلوه الا فى جمه ولم يرتع الا بين غدير
وروضه فها أنا أصبح وأمسى بين السرور والجذل وأتقلب بين العل والنهل وأردد الطرف بين الحيل
والحول قد استوفيت على الأيام حواصلى و بقاياى وضممت على مطالبى منها اعناى و يسراى
وأصبح أعدائى وهم بالحاجة الى أوليائى كما أصبح أصدقائى وهم بالحسد لى أعدائى فلا طريق الى
الفقر ولا منفذ فى سهام الدهر والى الله تعالى المعذرة من لسانى العيى وخاطرى البكى وقد أسأت
مجاورة هذه النعمة بكفرها وسودت وجه هذه العارفة بقلة شكرها وسوء الشكر أول منازل الكفر
وقلة التهدى للنشر والاذاعه أول طبقات الجحد والاضاعه وقد رأيت بهذه الحضرة أقواما كنت
شاهدتهم على باب سيف الدولة ومنهل الصبا عذب وعود الشباب رطب وذكرت بهم مآرب هنالك
وأياما

وأ ياماسلبتهاسلبا ونزعت من يدى غصبا ودهرا كأنى كنت أقطعه وثبا فلما رأيتهم قدهاجروا الى هذه الحضره وجعلوها من بين الدنيا هجيره علمت أن الكرم يتوارث بين الكرام وانه انحدر الى أصفهان من الشام وأن العلم والأدب يتيمان ليس عليهما غيره وصى وأن المروءة والسيادة أعيان ماهما سواه ولى وأن المغرب لسيف الدولة رحمه الله والمشرق لحضرة الوزير أيده الله

أرض مصرّدة وأرض تثجم * منها التى رزقت وأخرى تحرم

واذا نظرت الى البلاد رأيتها * تثرى كما تثرى الرجال وتعدم

فأما آل أبى طالب فانهم ينزلون منه على سيف التشيع وسنانه وعلى يد الحق ولسانه وما ضرّهم مع حياته أن لا يعيش لهم الاشتر وما ضرّهم مع عطائه أن لا تردّ عليهم فدك وخيبر غيرة منه على الشرف أن لا يصان عن الابتذال رحله وأن لا يحفظ فيه وله أهله ذهابا بنفسه عن اتباع الأنام وتقليد الايام فى اهانة الكرام . واكرام اللئام

ان الكريمة ينصر الكرم ابنها * وابن اللئيمة للئام نصور

فلا جرم أن الأيام تتطفل عليه من السعود بمالم يقترحه عليها وتخرج له من خبايا الصنع الجميل مالم يقدره لديها لما رأته يخرج زكاة نعم الله تعالى عليه ويستظهر باحراز ودائع الله تعالى لديه فعنده فى كل يوم نعمة تصغر النعم وتتعب فى أداء شكرها اليد والفم

وما بلغت آمالنا منه رتبة * تراها رضا فى قدره المتجدّد

وقد علم السيد أنه ليس من فرق الاسلام فرقة الا وقد هبت لاهلها ريحه ودالت لها دوله كما اتفق المختار بن أبى عبيد للكيسانيه ويزيد بن الوليد للغيلانيه وابراهيم بن عبيد الله للزيديه والمأمون لسائر الشيعه والمعتصم والواثق للمعتزله والمتوكل للنواصب والحشويه وما بلغنا أن أحدا من أصحاب تلك الدول زاد فى عدد تلك النحل ولقد قتل المختار أهل الكوفه وبعث كتبه ورسله الى أهل البصره فما قدر أن يزيد جمجمة واحدة فى عدد جماجم الشيعه ولقد رفع المعتصم سوطه ووضع سيفه وصلب وصادر وسلب ووعد وأوعد فما اعنه الدهر بحاجته وقامت العوائق عليه فى وجه بغيته وهذا الرجل لم يزل يستدعى بقوله وفعله ويستعين على عمارة المذهب بجاهه وماله ويجرّد لسانه والسيف مغمد ويغمد لسانه والسيف مجرّد حتى اذا علم الله صدق نيته ومضاء عزيمته ورآه لا يريد الارضاه ولا يسلك الا طريق هداه جمع عليه القلوب المتعاديه وألف له الاهواء المتباينه فدخل الجميع دين الله أفواجا وتقاطروا على استجابة الدعوة فرادى وأزواجا فلم يبق فى نواحى سلطانه أحد من النواصب الا وقد غاصت عليه الرحمه وخلصت له الدعوه فهو مبتدئ بالدرس قد نبغ أو متوجه فى العلم قد بلغ وان أحدهم ليدخل فى الحق تحسنا فيجد بركة الدين حتى يعتقده تدينا والناس بالزمان والزمان بالسلطان واذا أراد الله أمرا كان وما أقرب البعيد اذا صادف أسبابا ووافق دعاء مستجابا وما أسهل الصعب اذا حضره التسديد واكتنفته العصمة والتأييد وان رجلا يحيل طباع الزمان وينقض بنية البلدان ويقطع الناس عن عادة المنشا والف الاخوان والآبا ويصير حدا بين النار والجنه وبرزخا بين البدعة والسنه لعظيم حجم الهمه واسع ذرع

البسطه بعيد مضرب العزم والنيه نابت مناكب الحول والقوه سالك فى طريقة لم يسلكها من قبله ولن يسلكها من بعده وشتان بين من يصطاد وحش الفلا و بين من يصطاد قلوب الورى وما أبعد ما بين من يبنى البنيان ومن يبنى المقالات والاديان وأين من يعمر الرساتيق والامصار ممن يعمر الجنة ويخرب النار لا بل أين من يفترع عذارى الجوارى ممن يفترع عذارى المعالى ولكن كل قوم على مقاديرهم يدركون وكل حزب بما لديهم فرحون هذه أيد الله السيد شهادة ما أقمتها حتى أعددت لتعديلى فيها مزكيين وهما السودد والكرم ونصبت لقبولها منى قاضيين وهما النعم والنقم وكتبت بها سجلا حرّرته بيد الصدق وطبع بخاتم الحق وحضرته من توفيق الله تعالى أذن تسمع وعين ترى فمن رضى بقولى فانما مدح نفسه وزكى حسه وأشرف من الحق من قبله وأحسن من الحسن من فعله ومن غضب فلا أرضاه الله فانما حط من الحق ما يرضاه الله وباب الاحسان مفتوح فمن شاء دخله وحمى الجميل مباح فمن اشتهى فعله وليس على المكارم حجاب ولا يغلق دونها باب

اذا أعجبتك خصال امرئ * فكنه تكن مثل ما يعجبك
فليس على المجد من حاجب * اذا جئته زائرا يحجبك

﴿وكتب الى تلميذ له وقد استعار نسخة رسائله ينسخها فتمادى﴾

أنت مشغول بنسخ ما استعرته من الرسائل ولا يسع القلب الواحد لكل هذه الشواغل وغيرك من أصحابنا حريص على نسخها ولو كان القلم يمينه والقرطاس جبينه والثمن دنياه ودينه فأعرهم أعزك الله تعالى فالى أن تتفرغ لها قد فرغ غيرك منها وحصل اليوم شكر المعير وغد الفائدة المستعير فاذا أنت قد أفدت واستفدت وأبدأت فى الربح وأعدت واجعل تعجيل ردها الينا كفارة لما جنيته من حبسها علينا

﴿وكتب الى خوارزم شاه﴾

بعدما كان الامير مد الله فى من تقريبه لى وتحفيه بى سمة طار فى الناس ذكرها وفاح بين العالم نشرها وتوجهت الىّ المطالب وقصدنى الراغب والراهب وصرت مثابة من مثابات الوسائل وصار بابى سوقا من أسواق الحاجات والمسائل نزغ بيننا الشيطان ودبّ الينا الحدثان وكسدت عند الامير تلك السوق التى لم أشكره فى نفاقها ولم أعاتبه على كسادها والأمير بكرمه يقيم لى فى الظاهر رسم الانعام ويعظم قدر وتوفره على نصيبى من الاعظام والناس يحسبون أن حظى من قلبه حظى من ظاهر قربه وأن محلى من ضميره فى المحبه كمحلى من ظاهره فى الرتبه فلست أعدم كل يوم مستشفعا بى اليه ولا يعلم هوانى عليه ومستعينا بجاهى عنده ولا يشعر أنى أقوى أسباب الخيبة له فان رددتهم ظنوا بى الظنون ولاموني وهم لا يعلمون وان أجبتهم ظلمت الامير وظلمتهم أما ظلمى للامير فتعريضه لرد الرسائل واقامته مقام المانع الباخل وأما ظلمى لهم فبيعى المغشوش منهم وتشرى فى عالديس عندى عليهم وانى لابغض الظلم من نوع فكيف من نوعين وأكره أن أكون مسيئا الى واحد فكيف الى اثنين وحاجتى الى الامير أن ينزلنى من لقائه وبشره منزلتى من
مكنون

مكنون صدره وأن يسمني مع ابعادى عنه كما يسمني بتقريبي منه وأن يجعل هذه الاخرى سبيلا لسلامتي كما جعل تلك الاولى سببا لغنيمتي فانى شاكره على هذا الجفاء كما شكرته على ذلك البر والاحفاء فان كل اللسان أو تعذر على خاطرى الاحسان سرقت من كلام الامير ثم رددته عليه فأكون قد بعثت منه بره وأهديت اليه ملكه وأصير عيالا عليه فى مقاله كما طالما كنت عيالا عليه فى ماله

﴿وكتب الى كاتب صاحب الجيش جوابا عن رسالة مدحه وعاتبه فيها﴾

فهمت كتابك الذى هو أشرف كتاب الى قد رصع بأظرف عتاب على وما كان أحوجك الى أن تجعل كلامك عيانه وتحلى ظرفك الناصع ببهائه فلا تشوبه بالعتاب ولا تكدره بمر الخطاب فتكون قد أدبتنا بصمتك وعاقبتنا بعفوك فكفاك سلاحك قراع الحلم دونك فالمرء بما يبلغ الاحسان من العقوبة مالا تبلغه الاساءه ودخلت المسرة مداخل تنبو عنها المساءه على أنى ما أجهل منفعة العتاب ولا أنكر مرافقته بين الاحباب ولا أشك فى أنه يطرى خلق الود ويجلو غبرة العهد ويداوى أدواء القلوب ويترجم عن خفيات الغيوب وأنه الانموذج بين الأولياء والأعداء والجسر بين المدح والهجاء والمصلح للعشرة الفاسده والمقرب بين الديار المتباعده ولهذا اشتقت لفظة العتبي وهى الرجوع الى الرضا ولكن اذا كان مصدره عن شكايه ومنبعه عن جنايه ووقع عن فترة فى الود عرضت أو قلة فى الانصاف حدثت جمع الشمل وجدد الوصل وصقل ما صدئ من العشره وأزال ما وقع من الفتره واذا كان مصدره عن تجرم تجن كان مفتاحا لباب الفرقه ومكدر الصفو المودّه وترجمانا عن لسان القطيعه وانما هو دواء اذا لم يصادف داء استحال داء واذا صادفه كان شفاء وقد كانت هذه الواحدة منك فلتة وقى الله شرها فمن عاد الى مثلها اقتلناه بسم القطيعة وهو أشد الحتوف وضربناه بسيف الهجر وهو أمضى السيوف ولولا أنى لا أستخير مقابلتك ولا أرعى معارضتك لزعمت أنك الظالم المتظلم والمجرم المتجرم وانك لما عرفت جرمك وتذكرت ظلمك وعلمت ما وجب عليك من العتاب الذى هو أبلغ العقاب ورأيت أنك قد ارتكبت من القطيعة جريرة قد أحلت عرضك الالسنة الواقعة فيك وأهدفت جانبك للظنون المظنونة بك أخذت أخاك قبل أن يأخذك وشكوته قبل أن يشكوك وبرزت هاربا فى زى طالب وخرجت جانيا فى معرض عاتب وتكلمت بجراءة المنصف وتحاجو رالظالم وأدليت بحجة البرىء وأنت عين الجارم حتى لقد كدت أن تشككني فى نفسي وتغلبني على علمي وتجعل لوهمي سلطانا على فهمي لولا يقيني بباطلك ومعرفتي أن الاساءة فى شقك والله تعالى المستعان على صديق نحن منه بين اثنتين اذا صارمنا أذاقنا مرارة صده وسامنا بشاعة فقده وصغرت بيننا وبينه وطاب اللقاء وأقفرت بيننا وبينه معاهد الاخاء ودبت لنا وله عقارب القطيعه وهبت علينا وعليه رياح الجفوة الفجيعه واذا صالحنا نسب الينا المظالم وتجرم علينا الجرائم وعلى ذلك فصلحه أحب الينا من حربه وبعده أثقل علينا من قربه

يكل تداوينا فلم يشف ما بنا ﴿ على أن قرب الدار خير من البعد

ذكرت أنك مترجح مني بين وصل واعراض ومرتبك من عشرتي بين انبساط وانقباض ولقد صدقت في الاولى ولا أقول كذبت في الأخرى سقى الله أيامنا التي عاشرتنا فيها عشرة قصرت عن تناولها يد الدهر وطرفت عن ملاحظتها عين القطيعة والهجر وجلت عن أن تثلمها أنياب السعاه ونبت عن أن تغضي فيها معاول الوشاه حتى لقد دخلنا من الانس مداخل لا تطردها الحشمه وقتلنا من الوصل مراشر البين والغيبه حتى اذا أمنت عليك الدهر الذي لا يؤمن وائتمنت عليك العيش الذي لا يؤتمن خالفتني الى الود فهدمت منه ما بنيته وسبقتني الى الوصل فعوجت من أطرافه ما سويته وأبرزت مصون الوفاء للغدر ووضعت ربقة الأخوة في يد الدهر وسلطت على مازرعته يد الوفاء حاصدا من الجفاء وذكرت بعد هذا كله أني أستاذك في الهجران والصد وتلميذك في الوفاء وحسن العهد وأنك عرفتني ثم أنكرتني واستلنت مسي ثم استوعرتني وهذه دعوى قد سلمت أولها وأنكرت آخرها وأنا فيما عرفته لك ولست فيما أنكرته عليك فان العمر أقصر مده والزمان أصغر مسافه من أن أخترمهما معك بالعتب والعتاب وأستهلك نفسي منهما ومنك من تكليف الابتداء واقتضاء الجواب فان المودة اذا كانت لا تنبعث الا بالاستبطاء ولا يمشي أمرها الا بالعتب والاشتكاء كانت كالعلق النفيس يحتوى غصبا ويؤخذ سلبا وكان المطالب فيها كالمصادر على قلبه وكالمستنزل كرها عن حبه وأنا بعد هذا أبرأ اليك من عهدة خاطري العليل ولساني الكليل وكيف ينبعثان لي في عتابك وهما مقصران في مدحك وكيف يسرعان في حربك وهما بطيآن في صلحك هذا وطريق مدحك نهج قصد وطريق عتابك وعث وعر وجانب صلحك مورق مشرق وجانب حربك مهول غلق واني لآخذ القلم لاكتب به عتابك فيتشظى علي ويسقط من يدي وكيف تساعدني بناني على ما يخالفني فيه جناني وكيف يطيعني بعضي فيما يعصيني فيه كلي ولو كنت أحمد بن يوسف في البلاغه وعبد الحميد بن يحيي في اتساع الكتابه وجعفر بن يحيي في الاختصار وأبا الربيع في التوسع والاكثار وأبا العيناء في العارضه وأبا العتاهية في البديهه وابن المعتز في التشبيهات وأبا نواس في الخمريات والطرديات والعتابي في المعاتبات والنابغة في الاعتذارات وصريع الغواني في الاستعارات والفرزدق في الفخريات وجريرا في المهاجاة وغلبت في المخاطبة صعصعة بن صوحان وقمت في الفصاحة خالد بن صفوان ونطقت بيتيمة ابن المقفع مرتجلا وأتيت بعجوز آل رقبة مبتدعا وبعذراء آل خارجة مقتضبا وضرب بي المثل في المقامات لا بسحبان وائل وبوهي به في العي عندي لا بباقل وحفظت حفظ الشعبي وحاضرت محاضرة ابن القرية النمري وأبدعت ابداع أبي تمام الطائي ووعظت عظة الحسن البصري وجادلت جدل النظام في الكلام وصنفت تصنيف الجاحظ في الجد والهزل وأربيت على اياس بن معاوية في الذهن والعقل وبهرجت الأصمعي روايه وزيفت أبا عبيدة حفظا ودرايه وعلمت أمير المؤمنين عليه السلام الحلال والحرام ولقنت شريحا القضاء والاحكام وصرت الذي زاده الله بسطة في العلم والجسم ووفقت توفيق سليمان في الحكم وأخذ عني بطليموس علم الهيئة وأرسطاطاليس علم الفلسفه وبلنياس باب الطلسم والحيله وقرأ علي سيبويه نحو البصريين والفراء نحو الكوفيين

واختلفت

واختلفت الى الهند فى تعليم الحساب ودرس على أبو عثمان المازنى علم التصريف والاعراب واقتبس منى الخليل عروض الشعر وكان هاروت وماروت تلميذى فى السحر وضرب على قالب خطى خط ابن مقله وتوارث الكتابة أهل بيتى كما توارثها بنوا ثوابه وأمليت على ابن الكلبى شجرة النسب وعلى أبى عمرو بن العلاء أيام العرب وأوتيت الحكمة وفصل الخطاب وكنت الذى عنده علم من الكتاب وعددت فى الراسخين فى العلم عددا وقال لى موسى هل أتبعك على أن تعلمنى مما علمت رشدا ثم حملت بعد هذا كله على أن يعضى بى فى عتاب الاخوان لسانى أو يجرى فيه بنانى لقصر عن ذلك عنانى ولا ارتبك فيه عقلى وبيانى ولعييت والحق معى وانقطعت والحجة لى وما أعتذر الى أحد من عيين بليت بهما وخلقين ركبت منهما جبنى عن الاصدقاء وجرأتى على الاعداء رأيتك أيدك الله تعالى قد تواضعت لى فيما تجلببته من الفضل الذى لو صح لى لكنت فيه جنيبتك ولسلكت فيه طريقتك وأنت بحمد الله تحسن أن تأخذ ما فوقك بما تحتك وأن تمدح نفسك بما تمدح به غيرك وأن تتواضع وأنت ترتفع من حيث يرتفع غيرك وهو يتضع وأن يخصك فى المراتب الكبر من خص غيرك الكبر ولست أقول انك صادق فأدعى لنفسى فضلا ولا انك كاذب فأناقض لك قولا ولكنى أضع بيننا قول الأول

وعين الرضى عن كل عيب كليلة * ولكن عين السخط تبدى المساويا

ولولا أنى أكره أن ننسب جميعا الى التقارض فى الثناء وأن نقعد تحت قولهم من ضيق الصدر سرعة الجزاء لوصفتك ببعض ما فيك من المحاسن التى أنت فيها عريق صريح وغيرك فيها دخيل دعى وأنت لها نسيب قريب وغيرك عنها أجنبى بعيد وبعد فأنا والله معتد للايام بنصيبى منك متحمل لها شكر العارفة فيك منافس فى نعم الله تعالى على بك لا أفتح عينى على أحب منك الى ولا أضم جناحى على أعز منك على ولا أقرأ لك كتابا الا يهون على ما قبله ويزهدنى فيما بعده

﴿وكتب الى رئيس دامغان﴾

أنا أغار لما بينى وبينك أيدك الله تعالى من ذل الملق ومن عشق التشوق واقشعر لك غصا العتاب وأتسرع لك بخشونة الجواب اذ كانت الحال بيننا مبنية على أساس الصدق ومصونة بحمد الله تعالى عن شوائب المذق وليس بعد العتاب الا التقدم الى الصله أو النكوص الى القطيعه وانما هو جسر عن يمينه العتبى والرجعى وعن يساره النوى والشكوى فلا تفتح من التجوز بابا أغلقته يد الوفاء ولا تبع من الحفاظ جانبا حمته قضية الود والاخاء ولا يحتج فى الباطن بحجج هى أضعف من قلب العاشق وأوهى من دين المنافق وأرق من أمانة الفاسق واعلم أن كلام من ينصر الباطن لا يولد الا مخدجا ولسانه لا يكون الا لجلجا وأقصر ما يكون بنانه اذا طال لسانه وأنزر ما تجده عقلا أغزر ما تجده قولا فان الباطل يصغر من حيث يكبر ويقل من حيث يكثر وليس طلاقة اللسان بغير الحق الا أذى للسامع وحجة على القائل وسلاح لكل جاهل وجناية على كل عاقل وكل قليل سد ثلمة الحاجة فهو كثير وكل كثير وقع دون الكفاية فهو قليل يسير وشبكة المحال أوهى من أن يتشبث بها رجل محق وكيد الباطل أضعف من أن ينفذ فى حق وحسب الكاذب بفعله شتما

و بقلبه خصما وبالسكوت عنه ذما وقد خرقت فيك حجاب الحياء له ولبست لك ثوب المكاشفة فان أدبك ذلك فؤدب الحر العاقل اخوانه ومرآة زمانه وسوط الفرس الجواد عنانه وان أبيت فما أنا باخع نفسي على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا

﴿وكتب الى خوارزم شاه﴾

كتبت الى صاحبي بتلك الناحية يعرفني انتشار مالي بها وتمزق شمل كاتبي فيها وما كنت أظن بقعة يجوز فيها للامير ختم أو ينفذ له فيها حكم تعلو به للباطل راية أو يكون به للظلم على العدل ولاية ومن العجائب أنا كتسب الدرهم في بقاع لم أنبت فيها ولم أخرج منها ثم يؤخذ مني في عشي الذي فيه درجت و بيتي الذي منه خرجت وأن أحمله فاقطع به لجج البحار وفيافي القفار و يسقط مني على باب الدار هذا وقد علم الأمير أن والدي رحمه الله تعالى خلف على مالو خلفه على أهل بلد لكفاهم ولو فرقه على فقراء الدنيا لاغناهم فما زالت صروف الدهر بخوارزم تقاتلني جهرا وتخاتلني سرا حتى خرجت منها أعرى من حيه بعدما كنت أكسى من بصله وأفقر من الحجر بعدما كنت أغنى من الكعبه وأعطل من المحرم بعدما كنت أحلى من الشمسه قد كسرت كسر الجوز وقشرت قشر اللوز وجرى علي في مسقط رأسي و مجمع أسرتي ومقطع سرتي من الغرم الثقيل ما كان من الثقل أثقل ومن الذل الطويل ما كان من الطول أطول ومر على رأسي مالو مر على رأس الشاب لشاب ولو نزل بالحديد لذاب على أني حيثما كنت تاج على خوارزم معقود وشرف لها معدود ومشهد فيها مشهود ومقام من مقاماتها محمود وكل من رآني مدح بلدا كنت من أهله وفدى والدا أنا من نسله وعهدي بمثلي يغنم فصرت اليوم أغنم فسبحان من جعل القصر المشيد بئرا معطله وجعل الغنائم غنيمه وصير السالب سلبا وحول الراكب مركبا وأدار الفلك فيما يدل على اضطرابه و يترجم عن خرقه وانقلابه ومثلي أيدك الله تعالى اذا ابتذل استوحش واذا استوحش أوحش ومن وطئ العقرب أوجعته وان أوجعها ولسعته وان لذعها ومن فل السيف برأسه انكسر منه أكثر مما كسر وخسر أكثر مما خسر وان من باعني لقليل البصيرة بالبيع والشراء ردئ المعرفة بأبواب الأخذ والعطاء مستريح مما تعبت له نفوس الكرماء نائم عما لم تزل تسهر له عيون العقلاء والسلام

﴿وكتب الى أبي سعيد أحمد بن شبيب لما شارف نيسابور﴾

مرحبا يا اقمر الطا ✽ لع في جنح الظلام

مرحبا بالأسد الور ✽ دو بالجيش اللهام

مرحبا بابن شبيب ✽ وأياديه الجسام

مرحبا بالرجل الأو ✽ حد من بين الأنام

مرحبا بالكاتب الجز ✽ ل و بالحبر الهمام

قد نجونا منك يابـ ✽ ـين فودع بسلام

سبقني أيد الله صاحب الجيش قلمي فلم أملك عنانه و جمح بي خاطري فلم أضبط زمامه فكتبت هذه الأبيات وحلتي بيد الطرب وتماسكي في قبضة العجب والعجب وخرجت من ربقة الوحشه وهي

شبكه

شبكة الغم والدهشه حتى لاحت لى رايات اللقاء وفاحت روائح الالتقاء وعلمت أنى قد رزقت على الدهر دوله وأعطيت على الغم كره ووردت البشارة التى جعلتها تاريخ احسان الدهر وغرة وجه العمر ودرياق القلب والصدر وعلمت أن الله تعالى لم ييسر هذه القدمه ولم ينلنى هذه العزمه الا وقد أراد بى خيرا واعتمد لى احسانا وبرا وقدر أن يثلج صدرى ويشد بها أزرى ويقوى ظهرى وينتصف لى من دهرى ويهزم عساكر الزمان عنى ويفرق شمل الحدثان دونى ويرزقنى النظر الى وجه من صنعنى وخرجنى واصطنعنى فتعلمت الترسل من نثره وأصبحت شاعرا برواية شعره ووطئت بساط الملوك بعنايته أولا وراضعتهم الكاس بجميل نظره ثانيا هذا من دقاق آثاره لدى ومنسى صنائعه الى وانما ذكرت قلا من كثر وأشرت بلمحة الى بدر فالآن حين أجر ذيل الفرح وأتسربل الجذل والمرح وأرى أهل نيسابور خاصه وأهل المشرق عامه أن خوارزم بيت الرجال ومعدن الكمال ومنبت الفضل والافضال وأن فى الزوايا خبايا وفى الرجال بقايا وأن البقاع متساهمة فى الفضل ومتفاوتة بمقادير الأهل وودت أن صاحب الجيش يركب النجم السيار ويمتطى الفلك الدوار ويطوى المنازل طى الرداء ويصل الغداة بالعشاء بل وددت أن الريح تحمله أو أن البراق تنقله وأن الخضر يصحبه خليلا وسليمان بن داود عليهما السلام يرافقه زميلا ليصغر حجم الانتظار وتقل مدة بعد الدار

ولا أعتد فى الدنيا بيوم * يمر ولا أراك ولا ترانى

وها أنا أيد الله تعالى صاحب الجيش سيف طرير وسنان شهير ولسان على الاعداء مسلول وسلاح على حساد النعمة مصقول اذا ورد أيده الله تعالى لزمت بابه وصحبت ركابه وكنت بوابه وقد أعلمت من سألنى عن صاحب الجيش أنه رجل طلع به النجم مره ودار به الفلك فلته وولدته أمه غلطه وسعد به الزمان خلسه فهو فى الرجال علم وفى الكمال عالم وفى الزمان وأهله غريبه وبين الدنيا وبينها يتيمه قد كنت سألت صاحب الجيش حاجة صغرت عن أن تلحظها أجفانه أو يجرى بقضائها لسانه ولكن الحاجة على قدر السائل لا على قدر الباذل والهبة تصغر وتكبر فى وزان الطالب لا فى وزان الواهب والصغير اذا احتيج اليه كبير كما أن الكبير اذا استغنى عنه صغير ولو تبارى أهل الشكر فى رهان وجروا نحو الغاية فى ميدان لبرزت فى الحلبة الأول وكنت فيما بينهم الاغر المحجل

ولو أن للشكر شخصا يبين * اذا ما تأمله الناظر

لصورته لك حتى تراه * فتعلم أنى امرؤ شاكر

وصلت الجارية فقبلتها بالطاعه ورددتها بالدالة عليه فى الساعه لان فلانا صديقى قد ملكها وأنا أكره أن أعاشر رجلا له فى دارى غلاف وأن تكون عندى مضربة لها غيرى عن لحاف فما أقبح بالحر أن ينادم من شركه فى حرمته وسبقه الى باكورته فيجلس فلان على لبد ويجتمع سيفان فى غمد

❋ وكتب الى صاحب جيش خوارزم وورد عليه كتابه بخبر علته يعتذر اليه من ترك العيادة ويتوجع له من العلة ❋

هذا كتابي أطال الله تعالى بقاء صاحب الجيش عن سلامة الامن الاهتمام لعلته ومن التذمم لترك عيادته ومن العتب على الأيام الجارية الراكدة الفاتره الظالمة الجائره فيما دهمت به الكرم وأهله والفضل وشمله والحمد لله تعالى لا على انه حمد مستزيد فيما نابه مستعذ بالشكر لما أصابه ولكن اقامة لرسم العبوديه وسلوكا في نهج البشريه وصلى الله تعالى على سيدنا محمد وآله خير البريه ورد على كتاب الشيخ صاحب الجيش بعد قرم هزني وتطلع طويل لوروده أقلقني واستفزني وبعد أني حاسبت لتأخره عني نفسي على ذنوبي واستدركت عليها عيوبي وجلت في زوايا جناياتي عليه واساآتي اليه أنظر بأيتها استحققت أن أطوى في أدراج الجفوه وأجلس على قافية التغير والنبوه اذ كنت أعلم أن صاحب الجيش أعرق في الكلام نفسا وأصدق في الفضل حسا من أن يعاتب وفي الصبر فضله أو يؤاخذ وللاحتمال جهه فلما كاد الكرب أن يستحوذ على خاطري ويستوعب حساب صدري وصبري طلعت على النجمي في أثناء البشرى وانفرجت لي ضبابة التخمين عن نور اليقين ووصلت الى السعاده تكنفها الزياده وفضضت الكتاب الكريم عن كل ما أجذل النفس وسرها وبرد العين وأقرها حتى وصلت منه الى خبر العلة فدارت بي الارض وهي ساكنه وأظلمت على السماء وهي مسفره وضاقت على الدنيا وهي واسعه فقلت قبح الله تعالى الدهر فانه على ذوي الكرم الب وعلى الفضل وأهله حرب وللؤم واللئام حزب وللاديب ورهطه عدو معاند وللجهل وذويه ولي معاضد ثم رجعت الى أدب الله تعالى ذكره فوجدت ساحة الصبر أوسع ومطية الدعاء أجمل فقلت اللهم ارفع عن مهجة المكارم اذاها وادفع للمجد عن تلك النفس النفيسة والروح الأريحية ما يبيح حماها وتصدق علينا وعليه بهذا الواحد الذي بقاؤه جسر بين دولة الفضل وكرة الجهل وبرزخ بين مدا الجود وجزر البخل ثم أنشدت

ماحال من كان له واحد * يعرض عنه ذلك الواحد

وأنا أتوقع كتاب صاحب الجيش بخبر العافيه فان تأخر كنت جنيبه في العله وان ورد عمرت المساجد صلاه وملأت الفقراء والمساكين زكاه وصمت حتى تعاتبني بطني سغبا وقمت حتى تخاصمني رجلاي تعبا وصليت صلاة اماميه وعبدت عبادة علويه ولم أفعل مافعله ابن نوفل حيث قال في أبي شبرمة

فغزوان حر وأم الوليد * ان الله عافى أبا شبرمه

جزاء لمعروفه عندنا * وما عتق عبد لنا أو أمه

فسأله جاره عن غزوان وأم الوليد فقال سنوران في الدار فاعتد بعتق رقبتين وهو يعتق سنورين ولكن أفعل مافعل قيس بن معاذ مجنون بني عامر حيث يقول

انا جهلنا خلناك اعتللت ولا * والله ما اعتل الا الظرف والادب

واذا اتصل بي خبر العافية الذي هو عندي عافية الدين والأدب والفضل والحسب قلت

وما أخصك في برء بتهنئة * اذا سلمت فكل الناس قد سلموا

أردت

أردت أن أركض الى حضرة صاحب الجيش ركضا يتقدم الايغال ويقتل الخيل والبغال حتى أصل السير بالسرى وأجمع بين العصر والاولى فأشاهد نعمة الله تعالى عليه وعلينا به في افراقه من علته واكتسائه ثوب عافيته ثم تطيرت لنفسي من أن أنظر الى ولى نعمتي وبه آثار الصفره والى جسمه وبه بقايا الفتره هذا بعد أن جمعت منتشر أسبابي ووضعت رجلي في ركابي ورفعت عصا السفر وسلمت نفسي الى القضاء والقدر وأنشدت قول الفرزدق

ونعود سيدنا وسيد غيرنا * ليت التشكى كان بالعواد

ثم أتبعته قول أبي الطيب المتنبي

حتى الكواكب أن تعودك من عل * وتعودك الآساد في غاباتها

ولقد جنت الأيام على الاحرار جرما عظيما وأتت الى الكرام فعلا ذميما وترجم الدهر بأنه لئيم لا يحب كريما جعل الله تعالى هذه العلة آخر علل الكرام وخاتمة جنايات الايام ولا أراني الله بعدها في صاحب الجيش الا ما يضحك منه العلا ويطلق وجه الغنى ولا يخجع بسلامته الدين والدنيا .

(وكتب الى أبي الحسن المعروف بالبديهي الشاعر زعم يعبث به)

است أعاتبك عافاك الله تعالى لأن العتاب يصلح منك أو يجمل فيك أولأن جهلك جهل يعالج بالعذل أو يداوى داؤه بالقول كلا عافاك الله تعالى جهل الناس عرض وجهلك جسم لا يزول الا بالفعل ولا يقع دواؤه الا من الكف والنعل ولكني انما أردت بهذه الرسالة أن تتوجه عليك الحجه وأن تنقطع عنك العلاقة والعله وان كانت ترد منك على عين عمياء وأذن صماء وقلب لا يعرف النقصان الا في ماله ولا يحس بالألم الا في جسمه ولا يجد للنقص مسا ولا للعيب وقعا ولقد عققت هذا الكلام بك وضيعته فيك ووجهته منك الى من نزه عنه العتب لغباوته والشتم لحقارته ولو قدر الكلام على عقوبته من صنعه وتوصل الى تضييع من ضيعه لعاقبني بأن يطيل هجراني ويكون هذا آخر عهده بلساني وبناني فها أنا المظلوم الظالم والمخاصم المخاصم ظلمتني بلؤمك فظلمت الكلام بلومك وخاصمتك في جهلك فخاصمني العقل في عذلك فيا من جمع على مصيبتين ووضعني على طريق الظلم من جانبين ويا من أبت العجائب فيه أن تردني الا من طرق شتى وأن تقع الامثنى مثنى وليس محنتي فيك بأعظم من محنة الحق الذي لم تزل تعبث به حتى لو تجسم نفسا لسعيت في ذمها أو تمثل دارا لجهدت في هدمها كأنك لم تخلق الا لتطمس عين النور وتقلب أعيان الامور فتجعل الضوء ظلمه وتعكس البدعة حتى كأن سوفسطا استخلفك على جحد ما يدرك عيانا ويعرف ايقانا فأنت وارثه في الباطل وناصر جهله على كل عاقل وحتى كأن الله أنزل عليك قرآن ضلاله وبعث اليك رسول جهاله وقال لك خالف الاجماع وأنت على السنه وعاد الصواب وأنت في الجنه وأوحش الاحرار وأنت أصل الحريه وباين الناس ومنك منبع الانسانيه وانصر اللؤم وأنت الكريم وناقض الحكماء وأنت الحكيم لو علق القبيح بالثريا لصعدت اليه ولو دفن المحال في تخوم الأرض السابعة لغصت عليه الجميل عدوك تحاربه والسداد ضده من أضدادك لا تقاربه ولا تناسبه فأنت العكس الا أنه يمشي على رجلين والجور الا أنه ينطق

بلسان وشفتين والجهل الا أنه مخاطب والعيّ الا أنه مثاب معاقب لو سئلت عن يحيى بن زكريا لذكرت أنه زنى ولو ذكرت فى القائم ادّعيت انه مضى ولو استخبرت عن ابليس ذكرت انه سجد لآدم ولو نوظرت فى عيسى نفيته عن مريم ولو أنشدت شعر امرئ القيس لنسبته الى الافحام ولو ذكر أبو جهل حكمت له بالاسلام ولو استحسن كلام من بدقلت انه ميت الخواطر فاتر النوادر ولو سمعت خطب أمير المؤمنين على عليه السلام استعييت بيانه ولو مررت بايوان كسرى استقللت بنيانه ولو رأيت بناء ارم ذات العماد استصغرت شأنه ولو أجرى حديث الحسين بن على عليهما السلام صوّبت رأى قاتله وعذرت فعل جادله ولو حكى قول فرعون أنا ربكم الأعلى قلت ما أخطأ ولا تعدّى ولو سمى ابن عباس نفيت عنه علم التأويل ونحلته الجهل بمتن التنزيل ولو خوطبت فى التراويح أخذت بابتداعها الشيعه ولو عد الاجبار والتشبيه ألزمت دينهما المعتزله ولو أنشدت (ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد) ما رضيت نظمها ولو أسمعت لا يذهب العرف بين الله والناس ما استحليت طعمها ولو حلم الأحنف بن قيس استخففت عقله واستعظمت جهله ولو استفتيت فى فريضة ادّعيت فيها اجماع الأمّه واتفاق الائمه ولو أعيد حديث ذى القرنين واستيلاؤه على الخافقين احتقرت سعيه ولو تعجب الناس من بناء الهرمين أخذت تذكر انتقاصه ووهنه ولو استبدعوا صنعة الخليل العروض أخذت تزعم أنه ما أحدث أمرا ولا افترع بكرا ولو استحسنوا وضع كليلة ودمنة وصفت أن أمثالها غثه وأن حكمها رثه ولو فضل التوحيد أفردت به النصارى ولو عيب الثنوية برأتهم من عيوبهم ماني ولو غنيت بألحان ابن شريح ومعبد قضيت عليهما بأنهما من بابة التوبة والعباده ومن شريطة النسك والزهاده ولو مدحت العافيه أسهبت فى ذمّها كما لو فضلت السعادة أكثرت فى شتمها ولو شاهدت الهند عبتهم فى ضعف العزيمه كما لو دخلت بلاد الصين لمتهم فى رداءة الصنعه ولو عاينت العرب رميتهم بضيق البيان واللغه وقلة العارضة والبديهه ولو قرأت سيرة عمر بن الخطاب رضى الله عنه زدت فيها سنن المتعه ولو عثرت بحديث يزيد بن معاويه عددت فى فضائله يوم كربلا والحرّه ولو قرئ بين يديك القرآن عارضته بنوادر أبى العبر وبكلام يجبب الغلط ولو لحظت السماء قلت ما أسوأ ما دحيت ولو درست أيام الفرس هجوتهم بقلة السياسه وضعف التهدى للعماره ولو خوّفت بيوم القيامة ذكرت انه يوم قصير صغير وأن الخطب فيه يسير حقير ولو فوتحت فى حديث العنقاء حلفت انها باضت وفرّخت فى بيتك ودرجت فى وكرك وأنك طالما سقيتها وأطعمتها وطالما أسرجتها وألجمتها ولو عظم أمر التنين وحكى الخلاف فى اثباته بين المصدقين والمكذبين أقسمت انك اصطدته من البحر بشبكتك ورميت به فى السحاب بقوتك ولو عدت أنساب العرب شهدت أن الشرف فى سلول وجرهم وفى عدىّ وتيم وأن هاشما فى قريش اذناب كما أن دارما فى تميم أوشاب غايتك أن تزعم أن هشام بن الحكم ناصبيّ وان أبا الهذيل العلاف نابتيّ وأن أبا بكر الأصم شيعيّ وأن واصل بن عطاء حشويّ وأن سليمان الأعمش خارجيّ وأن عبد الحميد بن يحيى أميّ وأن رؤبة بن العجاج أعجميّ وأن اياس بن معاويه عاميّ وأن معاوية أوّل من أحيا السنة وأمات البدعه كما أن الحجاج أوّل من سن الرحمة ونسخ القسوه وأن النابغة الذبيانى لم يحسن الاعتذار

كما

٥

كما أن أبا نواس لم يصف الخمر ولا الخمار وكما أن أبا بكر الصنوبرى لم ير الأنوار ولا الأزهار وأن طفيلا الغنوى ما ركب كما أن أعشى قيس ما شرب وأن العفاف هندى كما أن السخاء رومى وأن الوفاء تركى كما أن العقل صقلى وان التشيع شامى كما أن النصب كوفى وأن التجار أقل خلق الله كذبا كما أن الملوك أصغر الناس هما وانه ليس شئ أقل تخالفا وتناقضا من روايات المحدثين ولا كلام أقل سخفا وهجرا من أشعار المناقضين وأن ابليس أصاب فى تفضيل النار على الطين فاذلك جعل من المنظرين الى يوم الدين وأن هاروت وماروت قد أحسنا فى عصيان الرب ومواقعة الذنب فاذلك صارا فى السحر امامين وللخلق معلمين وأن الدين لعبة لاعب كما أن التوحيد كذبة كاذب وأن الوحى أساطير الأولين وأن السنة ارجاف المكلفين وأن العالم يركب متن عمياء وأن الموحد يخبط خبط عشواء وأنك من بينهم الذى خص بالعلم القديم وأخبر بالنبأ العظيم ولو أنك زهير لانفت من أن تقول

وأعلم ما فى اليوم والامس قبله * ولكننى عن علم ما فى غد عمى

وكذلك لو كنت زيادة بن زيد ما قلت

اذا ما انتهى علمى تناهيت عنده * أطال فاملى أم تناهى فأقصرا

وأنك لو سمعت عليا يقول سلونى قبل أن تفقدونى سألته حتى يقول دعونى فقد أحمتمونى وأنك لو أمدت بك الملائكة ما قالت سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا وأن أباك آدم لو أعين بك ما لعب ابليس به ولا أنف من السجود له وأن عمك قابيل لو رآك ما أقدم على أخيه هابيل وأن أمك حواء لو رأتك نشزت على أبيك عشقا لك ورغبة فيك وأن العجم عرب اذا كنت فيهم كما أن العرب عجم اذا بنت عنهم وأن الرياض انما اكتسبت طيب ريح لأنها استمدت من نكهتك وأن النجوم انما أعطت ضوءها من ضوء غرتك وأن الخيل ما اختالت فى مشيها الا لانها حملتك وأن الطير انما حنت أصواتها لأنها عشقتك وأن البحار انما ماجت وزخرت هيبة لك وأن الجن انما توحشت وخفيت لأنها حسدتك وأن الشمس انما جعلت مبصره والقمر انما جعل آية ممحوه لان الشمس تواضعت لك بالتأنيث والقمر نازعك فى التذكير وأن عدى بن الرقاع تحول فى هيكلك ونطق على لسانك حيث قال

وعلمت حتى ما أسائل واحدا * عن حرف واحدة لكى أزدادها

وأن هذا البيت معه طفيلى وفيما بين شعره دعى وأنت أحق به وأملك له منه وانك نظرت الى عيب كل ذى صناعة من وراء ستر صفيق حتى عرفت مخاريق المنجمين بكذبهم فى الاحكام وغلطهم فى حوادث الايام وعرفت اختلاف النحويين بتخالف الكوفيين والبصريين وانهم لو أبصروا الرمية خرج السهم سديدا ولو عرفوا الطريقة كان المقصد قريبا وأن الخلاف دليل على ركوب المحال وأن ليس بعد الحق الا الضلال وعرفت ابطال الاطباء بمناقضة الرومى الهندى وتكذيب الفارسى اليونانى وأن عيش البدوى فيما فيه موت الحضرى وأن الذى يموت على أيديهم من المرضى أضعاف من يعيش ويبقى وعرفت تخبط اللغويين بافتنان لغات القبائل وتباين ألسن

أهل المياه والمنازل فلغة عدنان غير لغة قحطان ولغة خندف غير لغة قيس عيلان والمعدى يقول ان هذين لساحران والحارثى يقول ان هذان لساحران وعرفت عناد الفلاسفة بادعائهم قدم الطينه وانكارهم مايعاينونه فى أنفسهم من الدلاله وقلت كيف يعرف غيره من أنكر نفسه وكيف يستنبط الغائب مالايرى الحاضر وعرفت جهل المهندسين بجهلهم جذر العشرة وهى أس العد وأول منازل العقد وقلت كيف يعرف الكثير من لم يعرف القليل وأنى يحكم الفرع من لم يحكم الاصل وكما لا يجهل الواحد من عرف العشره فكذلك لا يجهل العشرة من عرف المائه وعرفت حيرة المحدثين بتناقض رواياتهم واختلاف كلماتهم وأن أحدهم يثبت الرواية ثم ينفيها ويجلد بالكبيرة ثم يرخص فيها ويحل الشئ ثم يحرمه ويصغر الاثم ثم يعظمه وعرفت شك المفسرين بأن أحدهم يسمع قول الله تعالى بلسان عربى مبين وقوله وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ثم يقول استبرق فارسية وسجيل أعجميه وسندس عبرانيه وناشئة الليل سريانيه وأن هذان لساحران حارثيه ثم عطفت بعد هذا كله على نفسك فقلت أنا الطبيب الذى لا يعوزه من شفاه ولا يعرض من داواه والنحوى الذى لا تختلف علماه ولا تنقض باولى قوله أخراه والمحدث الذى لا تتناقض رواياته ولا يثبت ما نفاه والفيلسوف الذى لا يحمل طبيعة على شريعه ولا يختص بعلم عقل دون علم رياضه والمهندس الذى يعرف الجذر الاصم ويهون العقد الاشد والمنجم الذى قلبه كتابه وعينه اسطرلابه قد جمعنا واياك أيها الراضى عن نفسه والغضبان على غيره والعاشق لفعله والمبغض لافعال دهره فلا جزاك الله خيرا لا عن الحق عدوك ولا عن الباطل صديقك أما الحق فلانك هدمت مناره وطمست آثاره وأما الباطل فلانك أبرزته فى معرض الفضيحة حتى هتكت أستاره وكشفت عواره ونشرته حتى ظهر مضمره ونصبته حتى ظهر زهوه وانما يقبل الناس من الباطل مايشبه الحق ويأخذون من الكذب مايحاكى الصدق فأما الباطل الذى تبصره العين العمياء وتسمعه الأذن الصماء ويستوى فى ابراز شخصه النور والظلماء فانه ينهى عن نفسه وينذر الابصار والبصائر بعينه وينادى بنقص من نطق به فيا من لا يقبله الباطل ولا الحق ولا يناسبه الجور ولا العدل الى ماذا أنسبك بعدهما والى أين أذهب بك عنهما رحمك الله تعالى

وهذا دعاء لو سكت كفيته * فانى سألت الله فيك وقد فعل

فلو قسم الله تعالى من الرحمة جزا لا يتجزأ لما جعلك كما جعلك ولا خذلك كما خذلك وانى لأعلم أن دعائى هذا أول خائب وأن سهمى فيه غير صائب ولكنى أصانعك به وأسخر منك فيه فأقول رحمك الله تعالى أنا لو سلمت لك أنك انسان نفيت عن نفسى الانسانيه وصححت عليها البهيميه أعلى منك فى النقص حكمه وأعظم منك فى الجهل طبقه فشر من الجهل نصرة الجهال وأسوأ من الضلالة الاحتجاج للضلال لا ترضى أن تصير فى صناعة تلك ذنبا وقد كنت فيها أصلا ولا بأن تكون تلميذا وقد كنت قديما فيها أستاذا تواضع بنار حمك الله تعالى فان التواضع خلق من أخلاق السلف وشيمة من شيم أهل الشرف وتصدق علينا ببشرك فان الله يجزى المتصدقين وأحسن فان الله يحب المحسنين ولا ين اخوانك فى فعالك وقوالك فلو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك ولولا انى رحمنى الله تعالى لا أقول بالرجعه ولا أذهب مذهب التناسخيه لظننت أن جميع ما انطوى من العالم

يقول

تحوّل فى هيكلك وانحصرت محاسنهم فى شخصك ولظننت أنك يونس بن فروة الذى قيل فيه

أتى بن فروة يونس وكانه * فى كبره أير الحمار القائم
ماالناس عندك غير نفسك وحدها * فالناس عندك ماخلاك بهائم

فلقد أعجبت بنفسك الخسيسه التى لاتستحق العجب وأحببت منها مالا يساوى الحب حتى كأن كسرى أنوشروان حامل غاشيتك وكان قارون وكيل نفقتك وكان بلقيس ذات العرش العظيم دايتك وكان مريم البتول أمتك وحتى كان ريح عاد هبت من غضبك وحتى كان العود وجميع الملاهى وضعت لطربك وحتى كان المريخ يستقى من صولتك ومضائك وعطارد يستمد من لطفك وذكائك وحتى كان زرقاء اليمامة لم تنظر الا بمقلتك وكان لقمان لم ينطق بغير حكمتك وكانك بنيت منارة الاسكندرية من آجر دارك ووضعت ملعب سليمان عليه السلام من بقايا ملعب صحنك وكانك علمت زيادا السياسه وأفدت عبد الحميد الكتابه ولقنت يحيى بن خالد الفصاحه وألقيت على الحسن البصرى المحبه وعلى الحجاج بن يوسف الثقفى الهيبه وحتى كانك زرعت غوطة دمشق وشققت أنهار البصره وهندست كنيسة الرها ووضعت قنطرة سنجه وحتى كان سد يأجوج ومأجوج بيديك والامر فى خروجهم موكول اليك وليس بين الامة وبين أن ينسفوا زرعهم وضرعهم ويجوسوا برهم وبحرهم الا لفظة من ألفاظك ولحظة من ألحاظك وحتى كان فضائل أمير المؤمنين على عليه السلام من فضائلك مسترقه وعجائب بنى اسرائيل من عجائب صنعك ملتقطه وغرائبهم من غرائب فعالك مستنبطه وحتى كانك جعلت صخرة موسى عليه السلام عتبة بابك وحتى كان ألحان داود عليه السلام بعض مايسمع فى محرابك وحتى كانك جعلت من مائدة عيسى بن مريم غداءك ومن كبش اسحق عشاءك وحتى كانك أمرت شداد بن عاد ببناء ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد وحتى كان خالد بن الوليد قاتل تحت رايتك وقتيبة بن مسلم فتح البلاد ببركة دعوتك وحتى كانك وضعت التقويم لآدم بن يحيى وحللت الزيج الأول وعدلت الطبائع الأربع وحتى كأنك كشفت لبطليموس الفلك حتى نظر اليه ومثلت لجالينوس تركيب الجسد حتى وقف عليه وحتى كأنك أورثت بنى أسد العيافه وبنى مدلج القيافه وعلمت شقا وسطيحا الكهانه وحتى كأنك علمت حاتم بن عبد الله السخاء والسموأل بن عاديا الوفاء وقيس بن زهير المكر والدهاء واياس بن معاوية الفطنة والذكاء وأخذ عنك سيف بن ذى يزن أخذ الثار والادراك بالأوتار وحتى كأنك دعوت لبنى اسرائيل حتى جعل الله فيهم أنبياء وملوكا وآتاهم مالم يؤت أحدا من العالمين ثم دعوت عليهم حتى ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله وحتى كأن خاتم الخلافة فى خنصرك وحساب الدنيا دخلها وخرجها فى بنصرك وحتى كأن الشمس تطلع من جبينك والغمام ينـدى من يمينك وكأن البحر يمد اذا أمرته ويجزر اذا زجرته وحتى كأن كسرى أنوشروان صاحب نفقة اصطبلك ونمرود بن كنعان قهرمانك على ولدك وأهلك وحتى كأن تكريت محل دارك والدرة اليتيمة أخس سوارك وحتى كأن رستم بن دستان عجز عن مدّ قوسك واسفنديار بن كرستاسب ضعف عن حمل سيفك وترسك وحتى كأنك فى ملك وملك يصغر بينهما ملك سليمان بن داود عليهما السلام ويقصر

معهما قصر غمدان ويضيع فيه ما تاج كسرى بن ساسان ويتضع عنه ما جبرية فرعون وهامان وحتى كانك لا أحد أعلم منك فأضرب به مثلا ولا أعلى منك فأجعله غاية وأمدا ومن شبهك به فقد رد الوصف اليك ووفره عليك والفرد لا يشبه بغيره والراجح لا يوصف بعين تقاصر عن رجحان قدره واذا أردت أن تعلم أنى فى ذمك جاد وفى مدحك لاعب وأنى فى الشهادة عليك صادق وفى الشهادة لك كاذب فانظر الى تهافت قولى اذ لا ينتك وجاملتك والى اصابتى الغرض وحزى المفصل اذ كاشفتك وصدقتك وذلك أن الصادق معان ومأخوذ بيديه والكاذب مخذول مغضوب عليه وما كان الله تعالى ليوفقنى لفصل الخطاب وأنا أجامل من لا يعرف قط اجمالا ولا تجملا وأفاضل من لم يناسب مذ كان افضالا ولا تفضلا والفصول التى قصرتها على مدايحتك ولينت فيها مس القول لك فانما هى عوذة عوذت بها هذه الرساله وطلسم حسن صنت بفتحه هذه المقاله فعوذت أحسن الأشياء بأقبح الأشياء وسترت بنقصان المدح كمال الهجاء على انى قد غالطت أسماع الناس وأبصارهم وسحرت بهذا البيان خواطرهم وأفكارهم فهم يحسبون أنى أجدت وانما الصدق أجاد ويقدرون أنى أحسنت وأصبت وانما قصدى الحق أحسن وأصاب فلو شتمتك بالترهات صارت قوارع ولو نلت من عرضك بنصف لسان وفم كان كلامى قلائد وخير المدح والهجاء ما كان له راو من نفسه ومصدق من ذاته

وان أحسن بيت أنت قائله * بيت يقال اذا أنشدته صدقا

يا غداة الفراق وكتاب الطلاق ياموت الحبيب وطلعة الرقيب يا يوم الأربعاء فى آخر صفر ويا لقاء الكابوس فى وقت السحر يا خراجا بلا غله ودواء بلا عله يا أثقل من المكتب على الصبيان ومن كراء الدار على السكان يا أبغض من لم ولم ومن لا بعد نعم يا بغلة أبى دلامة وحمار طياب وطيلسان ابن حرب وضرطة وهب يا قدح اللبلاب فى كف المريض يا نظرة الذل الى البغيض يا كنيف السجن فى الصيف يا شرب الخمر على الحشف يا وجه المستخرج يوم السبت يا افطار الصائم على الخبز البحت يا جشاء من أكل كليه وفساء من أكل قنبيطيه يا وكف البيت الشتوى فى كانون وعلى الكانون يا فراش الجرب المبطون يا ليل العزبه ووقت العشق والافلاس والغربه يا خجل الضرطة وجواب الغلطه يا كمد المقمور ودهشة المصبور يا أقذر من ذباب على جعر رطب ويا أذل من قراد فى است كلب يا أشأم من دم نبى يا انتن من بول خصى يا شرب الترنجبين على الريق فى تموز يا عقب التخمة على اثر الحجامة فى غرفة بغير كوه يا طلعة ملك الموت فى عين الكافر وقد ختم عمره بالكبائر يا دخول الطفيلى بيت المروزى يا نظرة العنين الى البكر وقد عجز عنها واستشعر مخايل الغضب منها يا قرع الغريم الباب ومعه جريدة الحساب يا حوض دكاكين الدباغين ومنهج حوانيت القصابين يا مغيض ماء الحمام يا كوز حانوت الحجام يا وجه المانع وقفا المحروم يا شخص الظالم فى عين المظلوم يا ألأم من اللؤم وأشأم من الشؤم وأقل من المعدوم وأوخم من غم المبرسم المحموم يا غم الدين ووجع العين ويوم البين يا أوحش من زوال النعمة بعد كفرها وأقبح من ارتجاع الصنيعة بعد شكرها يا فم من أكل السمك فى الشمس ولم يغسل يده وخمار من تقيأ ولم يغسل فمه يا أبرد من كافورة فى الثلج مدفونة فى يوم شمال قره وفى وقت بكره فى جبل من جبال ارمينية

ارمينيه يا أثقل من جبل زومى تحت ثلج حولى فوقه عساكر فى وسطه قوافل لا بل يا أثقل من منادمة طفيلى على الندماء مقترح فى الغداء والعشاء محمش للساقى قاطع على المغنى يواثب ويزنى لا بل يا أثقل من الحق عليك وأبغض من الانصاف اليك يا جواب الحجاب وعبوس البواب يا مهاجرة الصديق يا نظرا الى زوج الام على الريق يا سوء القضاء وجهد البلاء ودرك الشقاء يا شماتة الاعداء وحسد الاقرباء وطوارق الأرض والسماء وملازمة الغرماء وعربدة الجلساء وخيانة الشركاء وغش الاصدقاء وملاحظة الثقلاء ومسئلة البخلاء ومحادثة البغضاء ومشاغبة السفهاء ونصرة الضعفاء وعداوة الأمراء ومزاحمة السعداء يا كرب الدوا • يا من لو كان اللؤم يلد كان أباه ولو كان يولد كان أخاه ولو شارك شريكا ما عداه يا بيع المتاع الكاسد وجوار الجار الحاسد وسماع المغنى البارد يا مطبوخ الافيثمون وحب الاسطيفون يا ليلة المسافر فى كانون الآخر على أكاف بأس تحت مطر وبرد قارس يا من لو نظرت اليه السماء وهى تمطر أقلعت ولو طلعت الشمس بوجهه ما طلعت يا خيبة من رأى السراب فظنه شرابا وندامة من نظر الى الحطاة وهمه صوابا يا من هو دليل على أن الله تعالى جواد حيث أطعم مثله ورزقه يا من هو حجة الملحد على الموحد فى قوله الذى أحسن كل شئ خلقه يا من احتماله أصعب من عد الرمل ومن عدد النمل ومن رأى شعرة سوداء بالليل والصبر عليه أشق من الصعود الى السماء على سلم من زبد وحبال من شهد والنظر اليه أبشع من النظر الى ذبح الانبياء عليهم السلام ونبش قبور الشهداء والأولياء جعلت فداءك من الخير لا من الشر هذا كله مصانعة لك ورفق بك وذلك لأنى شبهتك بأشياء تنقص فى باب الذم عنك وتأنف والله منك ولقد ظلمتها بك اذ كان قد تفرق فيها من المعايب ما اجتمع فيك ومن لى بشئ يوازيك وشبيه يضاهيك ومن أين أجد اللؤم منتظما والقبح مجتمعا والجهل مجتمرا والشؤم محتفلا والنقص محتشدا فى هيكل واحد وفى شخص ماثل وانما يجد الواصف ما يسمع وما يرى ويحيل المشبه على ما كان أو يكون فى الورى قد شبه الله تعالى نوره بنور المصباح والمشكاة والزجاجة وان كانت الثلاثة قاصرة عنه فى الصفة رحمك الله تعالى دع لليونانية من الحكمة ما تنفق به سوقهم واترك لبنى العباس من التملك ما تغشى به أمورهم وأبق للشمس والقمر من الحسن بمقدار ما يطلعان به ويلوحان فيه وهب للريح العاصف والرعد القاصف من الصولة قدر ما يسمع به صوتهما ويصح به اسمهما ونعتهما وارفق بالارض من خطواتك وارحم الجبار من شدة سلطانك وانظر الى النساء من وراء حجاب ومن خلف برقع والا خرجن عن عشقك من ستر الله وقطعن أيديهن وقلن حاش لله فلا تعرض اماء الله لسخط الله ولا تفرق بينهن وبين عباد الله ولا تحمل الحرائر على خشونة الطلاق ولا تذق المماليك مرارة الاعتاق ولا تزد فى شغل الكرام الكاتبين ولا تسود صحف العالمين ولا تشمت ابليس بنا ولا تعطه مرادة فينا ولا تمش فى الأرض مرحا انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولا لى رحمك الله حوايج فان قضيتها كنت قد تسلفت شكرى ورضاى وان رددتنى عنها فقد رأيت انموذج سخطى وشكواى قد اتفق الناس على ضياع النسخة الأولى من كتاب العين فأمله علينا وأجمعوا على ذهاب قراءة أبى بن كعب وعبد الله بن مسعود فأخرجهما الينا وتخالف الناس

في المهدي" وشكوا في السفياني" وفي الأصفر القحطاني" فعرفنا متى يخرجون فاني أعلم أنهم اليك يختلفون وفي أمرك ونهيك مترددون وبمشورتك يغيبون ويحضرون والكيمياء فقد علمت انه أنفقت فيه الأموال وتعب له الرجال ثم لم يحصل لهم منه الا أماني" مسوّفه ومواعيد من خرفه فما عليك لو علمتناه وأغنيت الفقراء وزدت الأغنياء وأرحت الناس من الضرب في البلاد ومن الكد والاجتهاد ومن أن يخدم الفقير غنيا ويتخذ بعضهم بعضا سخريا والزيج الأكبر فقد انقطع وانقرض أهله وهو من مفاخر الروم علينا ومن محاسنهم دوننا فاعمل في اصلاحه ولا تدع النصارى يفضلون المسلمين في ابداعه ومسجد دمشق فهو حسنة يباهي بها أهل المغرب أهل المشرق فابن لنا مثله ولا تثبت علينا فضله فاغاهي ساعة من هندستك وجزء تستعمله من أجزاء حكمتك وقد زدت عليه وبنيت ضعفيه وآل أبي طالب قد علمت أنهم مسلوبون حقهم ومغضوبون ارثهم فتقدم الى غلامك الدهر بأن يرفع رايتهم ويرد اليهم ولايتهم والفلك قد زعموا انه خرف فاردد شبابه وأعد عليه من الشبيبة ثيابه وقد سمعت قول ابن عباد من نكد الدنيا منفعة الأهليلج ومضرة اللوزينج وتجعل في اللوزينج منفعة الاهليلج فاذا بك قد جعلت الناقص كاملا وأضفت الى العاجل آجلا وليس يخفى عليك تطاول العراق بعبد الله بن هلال الهجري" صديق ابليس فأرنا رحمك الله تعالى من عجائب صنعتك ولطائف فكرتك ما يكسد به سعرهم ويهدم به فخرهم فان ابليس تلميذك تعلم منك وأخذ عنك وشتان بين من يدعي أن ابليس من اخوانه وبين من يعتقد أنه من غلمانه وهل استنظر ابليس الى الوقت المعلوم الا ليدرك زمانك ويرى برهانك وهل حسد آدم الا عليك وهل عاداه الا فيك ولعلك تنكر قولي خرف الفلك ولولا خرفه ما كان القمر سماويا وأنت أرضي" ولا كانت الملائكة روحانية وأنت بشري" ولا كانت السماء تظل" والأرض تقل وأنت أكبر منها قدرا وأكرم منها نجرا ولا كانت الدنيا تنضم عليك وأنت الدنيا ولا كنت عند الناس بعض الورى وأنت الورى ولا كنا نسميك ونكنيك ذهابا بك وبقدرك عن الاسامي والكنى اني وفقدك فلا شيء أعز على منه ولا أحسن منه ما سمعت قول علي بن جبلة في أبي دلف

انما الدنيا أبو دلف * بين باديه ومحتضره
فاذا ولى أبو دلف * ولت الدنيا على أثره

الا غضبت عنك عليه واعتقدت أنه سرق صنعتك وأعار أبا دلف مدحتك ولا سمعت قوله

انما الدنيا حميد * وأياديه الجسام
فاذا ولى حميد * فعلى الدنيا السلام

الا غضبت لو عرفت قبره فرجمته أو عرفت بيته فهدمته ولا سمعت قول ليلى

فتى كان أحيي من فتاة حيية * وأشجع من ليث بخفان خادر

الا قلت فكيف لو رأت ليلى اخانا فتعلم أين دعواها من دعوانا ولا أنشدت قول ابن ابي السعلا في الرشيد

أغيثا تحمل الناقة * أم تحمل هرونا
أم الشمس أم البدر * أم الدنيا أم الدينا

ألا

ألا رحمتك عما قطع عليك طريق استحقاقك ومدح غيرك بمحاسن أخلاقك وأما قول الطائي

تسوّد أقوام وليسوا بسادة * بل السيد المقدام سلم بن نوفل

فلا شك أن الشيطان تكلم به على لسانه حتى أبرز وصفك في غير أوانه ولو رآك علم أن سلم بن نوفل لا يسوّد وأنت حيّ وأما قول زهير

لو كنت من شيء سوى بشر * كنت المنوّر ليلة القدر

فاني والله أعجب منه كيف قاله في غيرك ولم ترمه جهنم بشرارها ولم ترجمه الملائكة بأحجارها وأعجب منه قول من قال في معن بن زائدة

سبحت معدّ وجه معن سابقا * لما جرى وجرى ذووا الاحساب

كيف يسبق غيرك في حلبة أنت في عدادها وكيف يكون غيرك سابق جيادها أنت رحمك الله تعالى من أيدي هؤلاء الشعراء الكذابين مرحوم وفيما بينهم مظلوم سلبوك علاك وهي حلاك ونحلوها قوما سواك والمدح الكاذب ذمّ والبناء على غير أساس هدم والكلام يرجع الى مظنته والمدح ينصبّ الى قرارته كما قال أبو الطيب المتنبي

واذا الفتى طرح الكلام معرّضا * في مجلس أخذ الكلام اللذ عني

وكفاك بفضلك مادحا لك وحسبك بانفرادك مقارها دونك هذه رحمك الله هدية أهديتها اليك بل هديّ من العرائس جلوتها عليك ومامهرها الا فقدك ولا ثمنها الا بعدك فاذا وهبتها فقد وفيت المهر وأرضيت العروس والصهر فسبحان من أرانيك ولك صهر مثلي وأنت ختن لي وعهدي بالناس يخطبون الكرائم بالكرم ويطلبونها بحسن الاخلاق والشيم وأنت خطبت هذه الكريمة بلوم نجرك وصغر قدرك وعهدي بهم يحملون المهور في أموالهم وأنت جعلت مهر هذه من عرضك الخلق اللبيس الممزق وأعجب مافيها أنك اذا طلقتها لم تطلقك واذا أطلقتها من حبالك لم تطلقك فخذها مبارك لك فيها فبئست العروس وزوجها شرّ منها

﴿وكتب في نكبة نيسابور ووواليها حسام الدولة أبي بكر بن عبدوس بعض عدول نيسابور﴾

وصلت الرسالة التي كل الرسائل دونها في الكتبه كما أن كل كاتب دون كاتبها في الرتبه ووافقت مني قلبا معمورا بل خرابا بالهمّ وجسما مضلا بل مكدودا بالسقم فشفت القلب حتى نسي همه والجسم حتى طلق سقمه واذا صدرت الموعظة من قلب سليم ولسان حكيم وردت على أذن واعيه وعين كالئه واذا عرف الطبيب الداء عرف الدواء ولئن كانت الأيام سلبتني من المال علقا خطيرا لقد أبقت لي منك عوضا كبيرا ولئن كانت صادرتني على ثوب يبلى ودرهم يسلى لقد وهبت لي من مودتك مالا يبلى اذا استعمل ولا يصدأ اذا أهمل ولا يفنى اذا ابذل ولا يخلق اذا ابتذل على أني قد تعوّدت ضربات الزمان حتى صارت لا توجعني وألفت صواعقه ورواعده حتى صارت وان قربت مني لا تسمعني ونكبت حتى ما أبكي لنكبه وفرحت حتى ما أضحك لفرحه ولقد

رماني الدهر بالأرزاء حتى * فؤادي في غشاء من نبال

فصرت اذا أصابتني سهام * تكسرت النصال على النصال

فها أنا الجريح المقطع والفوق المرقع والغرض الذى رمى حتى دمى وضرب حتى نقب وأصابته
السهام حتى لا يتوجع لها ولا يحس بها وطالما أرادت الأيام أن تحركنى فوجدت بحمد الله صخرة
راجحة ونفسا متماسكة وقلبا لا تقلبه السراء ولا الضراء ولا يغيره الدواء ولا الداء ولقد أقبلت الأيام
علىّ فما استقبلتها افرحا ومرحا وأدبرت عنى فما شيعتها جزعا ولا هلعا ولبست لكل حال لبوسا اما
نعيما واما بوسا وعما أحمد الله تعالى عليه أن هذه الواقعة لم تثلم قدرى وان كانت فلّت وفرى
ولا حلت عقد صبرى وعزائى وان كانت حلت عقد ملكى وثرائى وانى أصبحت يوم اجتماع جيشها
علىّ وزحوف عساكرها الىّ والوجه طلق واللسان ذرب ذلق واللون مضىء مشرق والقلب
متماسك متمالك وسدد الصبر متقاطر متدارك لم ألاحظ الفائت بعين تدمع ولم أقابل النازل
بنفس تهلع ولا عثر لسانى ولا قلبى فى ميدان كلام ولا قصر همى ولا همتى عن غرض فى مرام ذكرت
أيدك الله سلفى رحمهم الله تعالى وانك بقيتى منهم ومذكرى بهم وموصلى قلبى عنهم وصديق الوالد
والد وان لم يلد وترب الولد ولد وان لم يولد ومن صادق أخا ولم يصادق أباه فانما أخذه أبتر الذنب
مجهول الاصل والنسب ومن صادقه قبله سلفه فقد ضم على الحبل يديه من كلام طرفيه وعرف
صديقه من جانبيه رحم الله تعالى أولئك القوم الذين

ورثت سيوفهم وبقيت فردا * وما نفع السيوف بلا رجال

فلقد خلفتهم بخير سلف وورثتهم خير خلف أطال الله تعالى بقاءك على حالة أرضاها الله
وأرضاك فيها ولا أستزيدك عليها وهذا الدعاء محال فانى لو رأيتك امتطيت السماكين وانتعلت
الفرقدين وملكت الخافقين واستعبدت الثقلين وتناولت الشمس والقمر بيدين ووطئت
الفلك برجلين ما بلغت ما أريد وكنت أستزيد وأستعيد

﴿وكتب الى أبى الحسن بن عبد العزيز قاضى جرجان وقد خرج منها﴾

فان أك قد ودعت نجدا وأهله * فما عهد نجد عندنا بذميم

جميع ما حصل لى بهذه الحضرة من تنزيل وانزال ومن اقبال علىّ وانثيال ومن قول جميل وفعال
فانما فعل بى واتفق لى لاحسان الوزير كان الىّ وتوفره كان علىّ وبذله لى الرغائب التى لا تسمع
بها الانفس بمثله ولا تزل الا عن مثل يده فهو الذى قومنى قيمة صارت لى بين الملوك قيمة عدل
وقضى لى بشهادة أصبحت فى العباد والبلاد قضاء فصل ونظر الىّ أهل هذه الحضرة بعينه ووزنونى
بمثل وزنه ووضعونى فى الكفة التى وضعنى فيها وأهلونى للمرتبة التى أهلنى لها وعلموا أنه الحاكم الذى
لا تنقض حكومته والشاهد الذى لا تجرح شهادته والرجل الذى لا اختيار مع قوله ولا نظر مع أمره
ولا خلاف عليه ولا رجوع الا اليه وانه لا يشترى من المتاع الا ما يخرج من نار الاختبار صريحا
صحيحا ولا يرضى من القداح الا ما يخرج من كف المجيل معلى لا منيحا فضربوا على سبيكته
وسلكوا فى طريقته ونسجوا على منواله وحذوا على مثاله فوصل الىّ نواله وان كان لم يصل الىّ
ماله وحصل لى بره وان لم يخرج به أمره وشيعتنى بركات حضرته بعيدا عنها كما كانت تستقبلنى
وتكنفنى قريبا منها فكل جميل أطرفته فمنسوب اليه وكل خير رزقته فمن آثار لسانه ويديه

ان

ان تبوأت غير دنياى دارا * وأتانى نيل فأنت المنيل

وانما الملوك شعراء يتناقضون فعلا لا قولا وفرسان يتسابقون أنفسا لا خيلا فالحمد لله الذى جعلنى أفارق تلك الحضرة فلا تفارقنى عوائد فضلها ولا يحسرهنى نصيبى من ظلها واياه أسأل أن يطيل بقاء الوزير على حالة أرضاها فوالله ما أرضى له الأرض خطه والا السماء ظله ولا الدنيا خزانه ولا الشمس طلعه ولا الدهر خادما ولا الفلك حاجبا ولا السعد رسولا ولا السيف قلما وان يحرس على الدين جماله ويبلغه فى الدارين آماله

﴿وكتب الى بعض أصدقائه﴾

كتابى وقد كنت أحب أن ينظر سيدى الى وقد لبست جمال هذه الدوله وتشربت حالى ماء هذه الحضره ورفعت طرفا طالما غضضته وبسطت باعا طالما قبضته فيعلم سيدى أن غراسه قد أغر ومراده قد تيسر وأن علاجه حالى قد هزم الداء وجلب الشفاء بعد ما أعيا الأطباء وغلب الدواء فان فرح الطبيب بعافية المريض أشد من فرح كل أخ قريب وكل حميم وحبيب الآن حين انقطعت عن الملوك وأبوابهم فقد كان لى عذر فى ورود النهر قبل ورود البحر وفى الاجتزاء بالتيمم قبل وجود الماء الطهر وعهد سيدى بى وأنا رتاد غير أرضى وأرتع فى غير روضى وأطلب الرزق خارجا من دارى فالآن قد نزعنا تلك الثياب وأغلقنا ذلك الباب ونسخنا ذلك الكتاب

وكنت زبيريا فأصبحت شيعة * لمروان وارتد الهوى لابن بحدل

هذا وقد انثال على من الخير بهذه الحضرة ما ترك بيانى حسيرا ولسانى قصيرا والنعمة اذا زادت على الوظيفة مسكنه والسرور اذا أفرط مقطعة ومسكته والناطق اذا تحير أبكم والشاعر اذا خرج عن مقدار استحقاقه مفحم فلا زال السيد يبتدع برا ويقصد بقوله وفعله خيرا ويكفيه شرا ونصره الله تعالى على دهره فانه لئيم ظفره قبيح فى الأحرار أثره

﴿وكتب بعد محنته ورجوعه الى خراسان الى كاتب خوارزمشاه وقد نكب﴾

كتابى وأنا بين محنة قد أدبرت ونعمة قد أقبلت وولى قد ملك وعدو قد هلك والحمد لله الذى ابتلى ثم أبلى فأنعم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله الأكرمين ورد كتابك ولست أقول غمنى وأهمنى بل أقول أعمانى وأصمنى تذكر أنك امتحنت وأنت برىء ونكبت وأنت محسن لا مسىء وأى ذنب أعظم من أن تشكر بالفضل أهل النقص وأى جرم أشنع من أن تنزل بالفهم فيما بين طبقات أهل الجهل وما للطائر الكبير والقفص الصغير وما بال الدرة اليتيمه ترضى بالصدفة اللئيمه وانما الأدب جناح فهلا طرت به من الوكر الصغير الى الوكر الكبير وهلا اذ كانت آلتك انجعت بها مكانا تكمل فيه حالتك وما نزلت بك هذه النازلة الا ليقلعك بها السعد من يد النحس من تلك البقعة الناقصة أهلا المنتنة جهلا فأبشر ولا تتهم الله تعالى فى مصالح خلقه ولا تقنط من رزقه فانه انما يرتاب المبطلون ولا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون واياك أن تفل هذه الحادثة غربك أو تكسر حدك أو تضرع خدك أو تثلم ركنك أو تسىء بالله تعالى ظنك فانما كانت صاعقة أحرقت ثوبك ومست بعضك وسلم الله وله الحمد منها روحك وصان فيها لسانك وقلبك وورائك

الدهر الطويل وخلفك صنع الله الجميل ووعده بجميل صنعه كفيل وقد خرجت الى الدهر من نوبة العسر فهو غريمك الآن في اليسر واذا رأى جلادتك على وقع سهامه وصلابتك على تصريف أيامه جاءك معتذرا وهرب اليك مستترا وأسا باليمنى ما جرح باليسرى ووزن عليك بالسنجة الكبرى ما اتزن منك بالسنجة الصغرى فانتظر الفرج فانه منتظر واصبر فان الدهر لا يصبر

﴿وكتب الى أبي محمد عبد الرحمن بن أحمد من نيسابور﴾

كتبت الى الشيخ من داره التي طالما تصرفت بها على أمره ونهيه وتقلبت فيها بين افضاله وفضله وحالي ببركته تعلقني بذيل الدولة الساميه وانتمائي الى الحضرة العاليه عن يميني السلامة وعن يساري العافيه ولا تزال كتبي ترد على الشيخ بكلام ان لم تكن في أدنى طبقات الجوده كانت في أولى طبقات الرداءه وانما يروي الناس أحد الكلامين ويتمسكون في الرواية بأحد الطرفين فاما حسن جيد معجب وأما ردي معجب ولقد أولاني الشيخ من الصنع العميم ومن الاحسان الحادث والقديم ما تركني أهذي بمدحه وأحتلم بوجهه وأتصبح باسمه وأتفاءل بذكره وأحتلب ضرع الشعر بذكر بره ولن أستعين على شكر تلك النعمه ولا أمسك بيدي طرف تلك الخدمه بمثل الاعتراف بالتقصير عن الواجب والقصور عن أداء المواجب وانما النعمة مطية شرود ولن ترتبط بمثل الشكر ولن تنفر بمثل الكفر وانما الشيخ أب بر وأهل الأدب أبناؤه وسمسار كبير وطبقات أهل العلم والفضل حرفاؤه فمن أحسن الى أحدهم فانما أحسن اليه وأفضل عليه واستحق المكافأة من لسانه ويديه وليشكر عنا أهل الصنعة اذا أحسن بنا وليعلم أنه قد حصل له ما حصل لنا وقد أحسن الي فلان في كذا والشيخ هو الذي مهد لي عنده موضعي وسهل لي مسلكي ووطأ لي في تلك الحضرة لسانا وأقام لي بها ميزانا لا زال الشيخ زرا كما كأهل الدهر محكا في الخير والشر تخدمه الانام بل الايام وترجوه الكرام كما تخافه اللئام وتعشقه السلامة والسلام

﴿وكتب الى أبي منصور كثير بن أحمد﴾

كتبت الى الشيخ من داره التي ما ينغصها علي الا بعده عنها وخلوها منه وقد كثرت كتبي اليه كثرة نعمه علي وتواترت تواتر أياديه الي وعهدي بتفضل الشيخ يسلك طريق الابتداء والطريق محرم فكيف صار الآن لا يسلك طريق المكافأه والطريق معبد قد سمع الشيخ أخباري بالحضرة وأني اكتلت بالصاع الاوفى واتزنت بالسنجة الكبرى ضعف ما كنت وزنت بالسنجة الصغرى واسترجعت باليمنى ما كنت أعطيت باليسرى وفلان قد وصلت الي بركات اتصالي به وأنا في غير حضرته وأخذت ماله وان لم يخرج من خزانته وأستغفر الله من حطي الدنيا كلها حضرته والناس بأجمعهم رعيته والملوك بأسرهم شيعته والاحرار عياله وحاشيته فأما أعداؤه فرحومون من ألم الحسد ومقتولون بسيف الغم والكمد سكوته أفصح من كلامهم ومنعه أندى من نوالهم وحجابه أحلى من لقائهم وعبوسه أحسن من ابتسامهم وغضبه أنفع من رضاهم ويسراه أسد من يمناهم وبخله أفضل من عطاياهم

﴿وكتب الى أبي القاسم المزني وقد صالح أخاه﴾

كتابي

كتابي وانما الشيخ بازعتيق كان طار عن أهله وفرع عميم كان انقطع من أصله فردته أيام السعادة الى بيته وضمت اتفاقات الاقبال بعضه الى بعضه ونعم المعلم الدوله ونعم الدليل السعد والسعاده وأنا أعرف الشيخ معرفة يقين وغيري يعرفه معرفة ظن وأنظر اليه بعينين وسواي ينظر اليه بعين والرجال كثير ولكنهم قليل والدهر بأشخاصهم جواد وبحقائقهم بخيل وقد كنت أحسب أني اذا هربت من نعمته على وانهزمت من عساكر احسانه الى خففت رقبتي من طوق صنائعه وخلت يدي من بعض ودائعه وتنفست الى الفراغ مده واسترحت من تواتر الاعباء وتناسق النعماء ولو ساعة واحده فاذا نعمته لي عبر صد حيث كنت وعلى مدرجتي أينما قطنت أو ظعنت أهرب منها وتتبعني وأرحل عنها وتشيعني فنها الطلب ومني الهرب فلا عدمتها طالبا ولا زلت منها هاربا ولا زال الشيخ يستقبل باحسانه كل نازل ويشيع به كل راحل وأطال الله بقاءه على حالة ترضيني له وفيه فوالله ما أرضى له الا بالرضى ولا أنزل فيه الأوراء الغاية القصوى ولا أستعظم له ملك الدنيا ولا ملك الورى ولا تزال كتب الشيخ ترد بما يحيي ميت مالي بل ميت آمالي وتطرى خلق حالي وترد الماء فيما نضب من جمالي ولسان العناية ناطق ووسم الاحسان على الاحوال لائح وطريق الجميل نهج واضح وللشيخ صنائع أرجو أن لا أكون أعياهم لسانا ولا أقصرهم بالشكر بيانا ولا أسوأهم لنعمته جوارا ولا أقلهم باعبائها نهوضا ومن كبر الانسان كبر شكره ومن شرف الكلام شرف من رواه ونشره وانما السيد بطاعة عشيرته والأمير بصلاح رعيته والممدوح بالسنة شيعته

﴿وكتب رحمه الله﴾

طالت محنة فلان حتى كأن حبسه الأبد الذي ليس له أمد وكأن عطبه يوم القيامة الذي ليس له غد واني أكره للسيد أن يكون زحلي حظوة العفو جمادي حركة الصفح لا يحل عقده ولا تتحامى عن فريسته يده فان ذلك يقوى عزم عدوه على مقارعته ويثلم رجاء وليه لمراجعته ولعمري ان الأسير الكبير وأكبر من الأسير من أسره ثم أعتقه وأشجع من الأسد من قيده ثم أطلقه

﴿وكتب أيضا﴾

تركي مكاتبة الشيخ وهي معترضة لي غم وحسره واقدامي عليها قبل استطلاع رأيه فيها خرق وعجله ولما اكتنفني الحالان سلكت طريقة بينهما متوسطة لهما فاقتصرت من الكتاب على الرقعه ومن التفصيل على الجمله فان أكن قد أحسنت فالقليل من الاحسان يقبل وان أكن أسأت فالقليل من الاساءة أمثل موصل الرقعة فلان وهو تام في آلته ناقص في حالته جديد ثوب الجمال خلق ثوب الحال خال من الأدب عاطل من النشب وسبيله أن يوزن في كفة كماله لا في كفة حاله

﴿وكتب أيضا﴾

تأخر كتابك ياسيدي فطرق لسوء الظن طريقا الى وفائك وفتح للتهمة بابا الى اخائك واني لا كره الود يعمره التلاقي ويخربه التنائي وأبغض الصديق يضع مقاليد البغض والحب في يد البعد والقرب وأنا الذي أصاب عهدك بعينه وأفيدك بحسن ظنه وياعجبا للدهر كيف فطن لمحلك من قلبي وكيف أطلع على غيبي ومازال الدهر يقرطبني سهمه في كل شيء أحببته ويعارضني في

طريق كل مرادطلبته حتى لوأحببت الموت لابقانى ولوأردت الحرمان لأعطانى ولوآثرت الفقر لأغنانى ولوعاديت الباطل لوالاه وعادانى

ولقد عجبت للدهر فى تصرفه * وكل أفعال دهرنا عجب
يباين الدهر كل ذى أدب * كأنما ناك أمه الأدب

﴿وكتب الى أبى القاسم الحسن بن على﴾

انقطع كتابى عن الشيخ لتصاريف الاحوال اليه وتكون الأسفار والأطوار عليه لأنه كان مشغولا بكتائب الأعداء عن كتب الأولياء و بمقارعة الامراء عن مطالعة الادباء (والسيف أصدق أنباء من الكتب) فلاجرم انه قد أسفرت آماله عن المساعى الغر وعن الآثار الزهر وعن الفتح والنصر فافترع مملكة طالما خطبت فما نكحت وطلبت فما وجدت

بكر فما افترعتها كف حادثة * ولاترقت اليها همة النوب
و برزة الوجه قد أعيت رياضتها * كسرى وصدت صدودا عن أبى كرب

وعلى قدر الهمة تكون مقادير الآثار وفى دون القيمة يكون افتراع الابكار وشتان بين من افتض عذارى الجوارى و بين من افتض عذارى النواحى لابل شتان بين من صارع مملوكه تحت اللحاف و بين من صارع مملكة تحت الرماح والاسياف لابل شتان بين من أفعاله ثيبة وطريقه مسلوكة قد سبق اليها وشورك فيها و بين من

ترفع عن عون المكارم قدره * فما يفعل الفعلات الاعذاريا

والشيخ أدام الله عزه على قضية فعله وشريطة فضله ذو الكفاية للسبق فى الحلبتين والتحلى بالحليتين فهو فارس القلم واللسان ثم رب السيف والسنان

قد كان يوم ندى بجودك باهرا * حتى أضفت اليه يوم ضراب
و بديهة أنت ابتدأت طريقها * لولاك لم تكتب على الكتاب

والحمد لله تعالى الذى ألحق زماننا بالأزمان وان فضل الزمان راجع الى فضل أهل الزمان وعلى مقادير الأيام تكون محاسن الأنام وان ذكر أهل العراق فى رجالهم الفضل بن سهل ذا الرياستين وعلى بن أبى سعيد ذا القلمين واسحق بن كنداج ذا السيفين وصاعد بن مخلد ذا الوزارتين وقبلهم طاهر بن الحسين ذا اليمنين ذكرنا ذا الكفايتين وزدنا عليهم للواحد اثنين لأن أولئك انما ضربوا بأسيافهم والدنيا شابه والخلافة مقبله والأيام مساعده والسعود قائمه والنحوس نائمه ونحن دفعنا الى زمان هرمت فيه الدوله وفترت الدعوه وكسدت السلعه وبطلت الصنعه وضاقت المملكه وكل القلم وقل الدينار والدرهم وأنشدنا

أتى الزمان بنوه فى شبيبته * فسرهم وأتيناه على الهرم

وانما الناس بالاحسان والاحسان بالسلطان والسلطان بالزمان والزمان بالامكان والامكان على قدر السكان

وأنت عبيد الله أكبر همة * وأكرم من فضل ويحيى وخالد

أولئك

أولئك جادوا والزمان مساعد * وقد جاد ذا والدهر غيره ساعد

هناه الله تعالى بما أولاه وبارك له فيما أعطاه وأراه فى أولاه وأخراه وفيمن والاه وعاداه ما يريد ويهواه وأتاه مما يسمعه ويراه مايقترحه ويتمناه وأرانى فيه مايرضاه وأرضاه حتى أرى الدهر وهو عبده ومولاه والسيف يتبع مراده وهواه والاقبال وهو يسلك طريق خطاه والموت وهو سلاحه ويداه يفنى من أفناه ويبقى من أبقاه ويرى فى الآمال والآجال مايراه وأطال بقاه وجعلنى فداه

نحمدك اللهم ياعظيم الافضال على ما علمت نوع الانسان من حسن البيان وأنت الأكرم ونتلو آيات شكرك ياجزيل النوال على ما ألهمته من جواهر الحكمة وزواهر العرفان مالم يكن يعلم ونستهديك ايصال صلات رحمة مقرونة بالتعظيم واهداء عوائد منحة تحية وأضوع تسليم على الانسان الكامل الذى خصصته بأبهر الآيات وأبلغ الحكم سيدنا محمد أفضل مبعوث بأجل كتاب الى أشرف الأمم وعلى آله معدن البلاغة وعنصر الذكاء وأصحابه ينابيع المعارف وشموس الاهتداء ﴿وبعد﴾ فقد تناهى طبع هذه الرسائل البديعه الحالة من مراتب البلاغة والبراعة فى منزلة رفيعه التى جعلت ألسن فطاحل البلغاء عن درك شأوها حصيره وأيدى مصاقع الخطباء والأذكياء عن مطاولة حسن بيانها قصيره المنسوبة لركن الأدب الوحيد وعماد الفضل العميد العلامة الشهير والفهامة الكبير الامام المحقق والجهبذ المدقق أبى بكر الخوارزمى الذى لايزال وابل انشائه على رياض الآداب فى كل عصر يهمى رحمه الله وطيب ثراه على ذمة الشهم الهمام الأمثل والملاذ الأمجد الأكمل (حضرة السيد محمد عبد الواحد الطوبى) كان الله له وبلغه أمله بالمطبعة العامرة العثمانيه التى محل ادارتها بحارة سوق الزلط بمصر المعزيه أدام الله على مديرها ومنشيها النعم الوفيه وبلغنا واياه كل أمنيه وقد وافق حسن الختام أواخر ذى الحجة الحرام الذى هو لعام اثنى عشر وثلثمائة وألف ختام من هجرة سيد الأنام عليه وعلى آله وأصحابه أفضل الصلاة وأزكى السلام ماتوالت الليالى والأيام



